

تأليف

دكتور

رجب محمد عبد الحليم

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

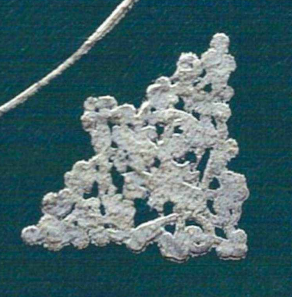
بجامعة القاهرة وجامعة السلطان قابوس

يطلب من

مكتبة العلوم بمسقط

مسقط

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



الأباضية

في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة

تأليف

دكتور

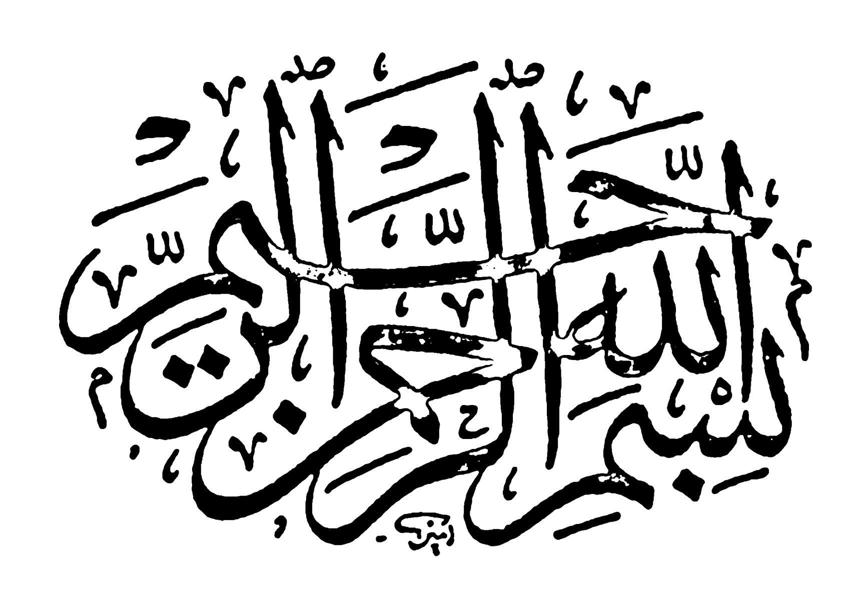
رجب محمد عبد الحليم

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بجامعة القاهرة وجامعة السلطان قابوس

مسقط

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على

محمد بن عبدالله خير الانبياء والمرسلين

الى يوم الدين .

تقديـــــــم

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لانبي بعده وعلى آله وصحبه التابعين له في قصده وبعد ، فقد وقفت على كتاب ''الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة'' للدكتور رجب محمد عبد الحليم ، ومن أسف فإننى لا أعرف شخص هذا المؤلف ، ولاعلم لي بنشأته وحياته ، لكني تأملت الكتاب فرأيت العجب العجاب . ولاشك أن الانسان عنوانه لسانه ، وترجمانه بيانه ، وقد رأيت ما احتوى عليه هذا الكتاب فوجدت أمرا رائعا وعلما واسعا ، لقد اطلع هذا المصنف على جمل غريبة وأحوال عجيبة ، جمع شوارد والتقط فرائد ونظم قلائد وألف أوابد ، لقد تبين أنه كثير الاطلاع حسن الاتباع ، ومع هذا فانه في غاية الانصاف منزها عن الغلو والانحراف ، يسوق القصة حسبما كانت بلا زيادة ولانقصان ، وهذا شأن أهل المروءات الذين لم تؤثر فيهم الأهواء والعصبيات ، فإن الكامل في الأحوال من لايقلد الرجال . ومن ثم فقد صاغ الأخبار في قالب الاعتدال ، وذكر القوم بما هم عليه من حسن الحال ، كلام تهش له الأسماع وتنشط إليه الطباع ، فحق له الشكر الجزيل والثناء الحسن الجميل .

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه   لن يذهب العرف بين الله والناس

وإني لأشكر السيد الجليل محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي على اهتمامه بنشر هذا الكتاب وإخراجه الى عالم الوجود ، فان هذا السفر من الكنوز الثمينة التي يحق بها الاعتناء ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

محمد بن شامس البطاشي
قاضي محكمة الاستئناف بمسقط
سلطنة عمان

مقدمـــــــة

موضوع الأباضية في مصر والمغرب وقيام علاقات بينهم وبين اخوانهم من أباضية عمان والبصرة من الموضوعات الهامة في التاريخ الاسلامي . ورغم ذلك فانه لم يلق العناية الكافية من الباحثين والدارسين ، ربما لغموض الموضوع وصعوبته ، وربما لندرة المصادر والمراجع أو لصعوبة الحصول عليها . ولذلك لا نجد أحدا تناول هذا الموضوع بالبحث أو الدراسة من الكتاب والمؤرخين قدامى ومحدثين ، مع أن بعضهم تصدوا للحديث عن الدول الأباضية التي قامت في عمان وفي بلاد المغرب ، ولكنهم أغفلوا جانب العلاقات التي قامت بين أباضية هذه البلدان اغفالا تاما ، ولم يتحدث أحد منهم سواء في القديم أو الحديث عن هذه العلاقات ، حتى الأستاذ جودت عبد الكريم يوسف الذي تصدى للتأريخ لعلاقات الرستميين الخارجية ، فانه فصل القول في علاقاتهم بجيرانهم الأقربين ، فتحدث عن علاقات الرستميين بالأغالبة في تونس ، وبالأمويين في الأندلس ، وبالأدارسة في المغرب الأقصى ، وببني مدرار في سجلماسة ، وبالممالك السودانية التي تقع جنوب الصحراء الكبرى ، ولكنه للأسف لم يكتب لنا شيئا عن علاقات الرستميين باخوانهم من أباضية المشرق سواء في عمان أم في البصرة .

وكما أغفل المؤرخون الحديث عن هذه العلاقات ، فانهم أغفلوا أيضا الحديث عن الأباضية في مصر ، وعن علاقتهم بأباضية عمان والبصرة ، رغم أنه كان للأباضية في مصر نشاط كبير ، وكان لهم

فيها العلماء البارزون الذين وصلوا الى درجة الفتيا ، وكان لهم وجود قوي حتى انهم تدخلوا أحيانا في مجرى الأحداث السياسية فيها . والحقيقة أن كل ماتركه لنا قدامى الكتاب والمؤرخين في هذه المجالات ، مجرد اشارات عابرة خلال الحديث عن علماء المذهب في هذه البلدان ، مع أن الموضوع في غاية الأهمية ، لأنه يبين لنا كيف وصل المذهب الى مصر ، وكيف انتشر فيها ، وكيف وصل الى بلاد المغرب وحقق فيها نجاحا مذهلا .

ولم يكن هذا النجاح الا ثمرة لجهود متواصلة بذلها دعاة المذهب الذين وصلوا من البصرة الى هذه البلاد مدفوعين في ذلك بأسباب عديدة ، منها مايتصل بتعرضهم في البصرة وعمان لاضطهاد بني أمية وبني العباس ، ومنها مايتصل برغبتهم الشديدة في نشر أفكارهم مهما صادفهم من مشاكل ، ومهما قابلهم من صعوبات ، مما دفعهم دفعا للجوء الى البلدان النائية لنشر دعوتهم وبث أفكارهم فلاقوا النجاح كله ، ساعدهم على ذلك ماكان يمتاز به مذهبهم من اعتدال ، وما كان يدعو اليه من اصلاح ومساواة وعدالة ، وما كان ينادي به من تطبيق لهذه المبادىء في ضوء أخوة الاسلام التي تجمع الجميع ولاتفرق بين عربي ومصري وبربري .

وقد لاقت هذه الدعوة أرضا خصبة وخاصة في بلاد المغرب ، حيث كان البربر يعانون معاناة شديدة من سوء معاملة عمال بني أمية لهم ، مما دفعهم الى الثورة ، كما دفعهم لاعتناق الأفكار الأباضية بكل يسر وسهولة ، على يد هؤلاء الدعاة الذين وصلوا الى بلادهم منذ مستهل القرن الثاني للهجرة ، وقاموا بجهود كبيرة في بث المذهب وفي ارسال بعض الشباب من المصريين والمغاربة لتلقي أصوله على أيدي

أشياخه في البصرة . ولما عاد هؤلاء الشباب الذين سموا بحملة العلم قاموا بنشره بين مواطنيهم في همة كبيرة ، فازداد انتشاره وكثر أتباعه .

ولم يكن الدعاة وحملة العلم هم الوسيلة الوحيدة لنشر المذهب في مصر وبلاد المغرب ، بل كان الحج فرصة أو وسيلة أخرى دعمت استجابة الناس وساعدت على بث المذهب فيما بينهم ، حيث كانوا يتلاقون في مكة والمدينة ، ويقوم علماء المذهب بالدعوة الى مذهبهم من خلال القاء الدروس والمواعظ والاجابة على الاسئلة واعطاء الفتاوي ، وعن طريق المناظرات التي كانت تقوم بينهم وبين غيرهم من علماء المذاهب الأخرى .

أضف الى ذلك ماكان يقوم به التجار من نشاط كبير في الارتحال والانتقال بين عمان والبصرة ومصر والمغرب مما أدى الى دفع الحركة الأباضية دفعا قويا للامام ، حتى انتشر المذهب بين كثير من المصريين ، وحتى اعتنقه عدد هائل من البربر في بلاد المغربين الأدنى والأوسط ، مما أدى في النهاية الى قيام دولة أباضية في هذه البلاد استمرت ردحا طويلا من الزمن .

وبقيام هذه الدولة ، كان لابد أن تقوم علاقات بينها وبين أباضية عمان والبصرة ، وكان علينا أن ندرس هذه العلاقات بكافة أشكالها السياسية والمذهبية والثقافية والتجارية ، لنرى كيف دعمت هذه العلاقات من أواصر الصداقة والقربى والاتصال والترابط بين أباضية هذه البلدان رغم تنائي الديار وصعوبة الاتصال .

ففي مجال العلاقات السياسية ورغم ان مصر كانت ولاية تتبع دولة سنية المذهب ، الا أنه كان لابد من متابعة علاقة الأباضية فيها باخوانهم

من أباضية البصرة وعمان ، كما كان علينا أن نرى كيف أثرت العلاقات السياسية التي قامت بين أباضية هذين البلدين في مجرى الأحداث في بلاد المغرب ، وكيف دعمت هذه العلاقات تلك الدولة الأباضية التي قامت على يد بني رستم في هذه البلاد .

وفي مجال العلاقات الثقافية كان لابد أن نتناول هذه العلاقات ، لنرى مدى مساهمتها في تنشيط الفكر الأباضي وإثراء الفقه الخاص بهذه الفرقة الهامة من الفرق الاسلامية ، وكيف تبادل العلماء اللقاءات والزيارات ، وكيف تبادلوا الكتب العلمية والفقهية وعقدوا مجالس العلم والبحث والمناظرة ، وخاصة أثناء لقاءاتهم المتعددة سواء في بلادهم أم في بلاد الحجاز أثناء موسم الحج ، مما أدى الى تنشيط الحركة العلمية ودعم الترابط وتقوية التواصل بين أباضية هذه البلدان .

وفي مجال العلاقات التجارية كان علينا منذ البداية أن نتحدث عن الطرق التجارية التي ربطت بين عمان والبصرة من جانب ، ومصر وبلاد المغرب من جانب آخر ، لنرى كيف كان تعدد هذه الطرق وتنوعها عاملا هاما في زيارة التبادل التجاري بين هذه البلدان ، وكيف كانت مصر بحكم موقعها ، الوسيط التجاري بين أباضية المشرق والمغرب ، مما دفع بالنشاط التجاري الى قمة الازدهار ، وكيف أدي هذا الازدهار الى دعم الحياة الاقتصادية في الدول الأباضية التي قامت في عمان وبلاد المغرب .

وكان لابد لهذه العلاقات المتعددة والمتنوعة أن تتمخض عن نتائج هامة تتصل بدعم الدولة والحركة الأباضية ، وبنشر المذهب بين كثير من الناس ، وبقيام وحدة فكرية جمعت بين أباضية عمان والبصرة ، وأباضية مصر والمغرب ، وبمساهمة الأباضية في هذه البلدان في نشر

الاسلام بين كثير من البربر الذين كانوا لايزالون على الوثنية ، وبين كثير من أهالي بلاد السودان الغربي والأوسط .

وفي سبيل بحث هذه النقاط ودراستها دراسة كافية وعميقة ، كان لابد لنا من أن نحصل على المصادر والمراجع اللازمة لهذا البحث وتلك الدراسة . وقد واتتنا الفرصة ، أقصد فرصة وجودنا في سلطنة عمان ، كي نطلع على كثير من هذه المصادر والمراجع الخاصة بالفكر الأباضي تاريخا وفقها ، كما اطلعنا أيضا على كثير من المصادر والمراجع التي كتبها مؤرخو السنة والشيعة ، لنتعرف على موضوعنا من كافة زواياه وأبعاده ، ولنصل الى الحقائق مجردة من كل زيف وبهتان ، سواء تلك الحقائق الخاصة بقيام المذهب الأباضي في البصرة ووصوله الى عمان ، وانتشاره بين كثير من المصريين وبين معظم أهالي المغربين الأدنى والأوسط ، أو بتلك الحقائق التي تتصل بالعلاقات السياسية والثقافية والتجارية التي قامت بين أباضية مصر والمغرب ، وأباضية عمان والبصرة ، والتي كان لها صداها البعيد كما أشرنا في توطيد الحركة الأباضية ونشر المذهب ونشر العروبة والاسلام بين كثير من الوثنيين .

وحتى نحقق هذه الأهداف ونصل الى هذه النتائج ، فقد بذلنا غاية جهدنا ، فاذا كنا قد وفقنا ، فما التوفيق الا من الله ، واذا كنا قد قصرنا أو أخطأنا ، فما الكمال الا لله وحده ، لانطلب العون الا منه . عليه أتوكل واليه أنيب .

رجـــب محمد عبد الحليـــم

تمهيـــد تاريخـــي

ظهور المذهب الأباضي في البصرة وانتقاله الى عمان

الحديث في هذا الكتاب كما هو واضح من عنوانه هو عن الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة . ومن البداية نود أن نقول أن المغرب الذي نقصده في هذا الحديث هو المنطقة التي تمتد من برقة الى مدينة تلمسان وتشمل ما يعرف الآن باسم ليبيا وتونس والجزائر ، وهي البلاد التي كانت تعرف فيما مضي بالمغربين الأدنى والأوسط أو بافريقية والمغرب الأوسط . ومن الطبيعي قبل أن نتحدث عن الأباضية والمذهب الأباضي في مصر وفي بلاد المغرب التي حددنا موقعها على النحو الذي أشرنا اليه ، وعن علاقات أباضية هذه البلاد بأباضية عمان والبصرة ، أن نلقي نظرة سريعة على نشأة هذا المذهب في البصرة وعن انتشاره في عمان ، وأن نشير أيضا في عجالة الى الأسباب التي جعلتنا نجمع في هذا الحديث بين عمان والبصرة من جانب ، وبين مصر والمغرب من جانب آخر .

أما عن نشأة المذهب الأباضي ، فمن المعروف أن هذا المذهب من المذاهب الاسلامية الهامة التي سبقت في النشأة غيرها من المذاهب الأخرى سنية أو شيعية ، كما أنه لم يعرف بهذا الاسم في المصادر الأباضية الا في الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة ، وقد قبل الأباضية بهذا الاسم منذ ذلك التاريخ لأنه غلب عليهم بمرور الزمن ، وصار علما يلتفون حوله ، ولم يجدوا فيه مايحط من قدرهم أو ينال من كرامتهم ، وإنما كانوا يطلقون على أنفسهم قبل ذلك اسم جماعة

المسلمين [١] أو أهل الدعوة [٢] ، أو أهل الاستقامة [٣] ، وقد سماهم أعداؤهم من الخوارج المتطرفين باسم القعدة احتقارا لهم ، لأنهم طبقا لوجهة نظر هؤلاء الخوارج قعدوا عن الجهاد في سبيل الله بمحاربة الولاة والحكام الظالمين [٤] .

وكان هؤلاء القعدة قد رأوا القعود عن الحرب وعن رفع السيف ضد إخوانهم المسلمين عقب موقعة النهروان التي وقعت بين الامام علي ابن أبي طالب وجماعة المحكمة الذين عارضوه لقبوله التحكيم وقالوا «لا حكم الا الله» ، واشتهروا باسم المحكمة أو الشراة أو الحرورية ، وأطلق عليهم خصومهم من أرباب الدولة الأموية اسم الخوارج [٥] .

---

(١) جماعة المسلمين اسم أطلقه الأباضية على أنفسهم ويعتبرونه وقفا عليهم دون غيرهم ، أما بقية المسلمين فيصفونهم بالموحدين . أنظر ، عوض خليفات : نشأت الحركة الأباضية ، عمان ، الأردن ، سنة ١٩٧٨م ، ص ٥٨ ، جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرسمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة ١٩٨٤م ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) أهل الدعوة اسم تسمى به الأباضية بجانب اسم جماعة المسلمين بعد أن افترقوا عن الصفرية في أوائل الربع الأخير من القرن الأول الهجرى ، انظر ، عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٨٤ ، ٩٥ ، جودت عبد الكريم يوسف : ص ٤٠ ، ٤١ . أما اسم الأباضية فهو نسبة الى أحد شيوخ القعدة ، وهو عبد الله بن أباض التميمي الذي لم يرد له ذكر في المصادر قبل عام ٦٣هـ/ ٦٨٢م . وكان ابن أباض هذا هو المناظر والمدافع قولا عن آراء القعدة في عصر عبد الملك بن مروان وتبادلا الرسائل التي حفظتها لنا المصادر . وكان هذا الدور لابن أباض بسبب قوة قبيلته التي يمكن أن تحميه من بطش بني أمية ، فضلا عن قدرة ابن أباض في المناظرة والمجادلة . انظر ، عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٨٣ ، ٨٥ .

(٣) القلهاتي : الكشف والبيان ، تحقيق وشرح د . سيدة اسماعيل الكاشف ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٩٨٠م ، جـ ٢ ص ٤٧١ .

(٤) عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٦٧ .

(٥) أطلق الناس على المحكمة اسم الحرورية نسبة الى قرية حروراء التي كانوا قد لجئوا اليها عند انفصالهم عن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقب عودتهم من معركة صفين . (انظر ، المبرد : الكامل ، ص ١٣٦) ، أما الشراة فتعني الذين باعوا أرواحهم واشتروا الجنة بخروجهم عن حكام الجور وجهادهم لهم ، كما فعل أبو بلاد مرداس بن حدير التميمي عندما ثار ضد ولاة بني أمية عام ٦١هـ . (انظر ، الدرجيني : الطبقات ، تحقيق ابراهيم طلاي ، قسنطينة ، الجزائر ، سنة ١٩٧٤م ، جـ ١ ص ٦ ، الرقيشي : مصباح الظلام ، مخطوط رقم ٧٩٢ بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي ، ص ٣٠ ، أحمد مهني صالح : هذه مبادئنا ، مسقط ، سنة ١٩٨٧م ، ص ٥٦ ، صالح بن أحمد الصوافي : الامام جابر ، ص ٢١٤) .

وقد تطورت الأحوال بجماعة المحكمة الذين ظلوا على عدائهم وصدامهم مع الدولة الأموية الى الانقسام الى فرق ثلاث هي الأزارقة والنجدات والبيهسية منذ عام ٦٤هـ/٦٧٣م ، وأضيفت اليها الفرقة الرابعة ، وهي الفرقة العروفة باسم الصفرية منذ عام ٧٥هـ/٦٩٤م ، واتفق أصحاب هذه الفرق الأربع فيما بينهم على آراء واختلفوا في أخرى وكفر بعضهم بعضا (٦) ، واصطدموا بالدولة الأموية مرات عديدة ، وتصدت لهم قوات الخلافة وأخضعت شوكتهم وقضت على زعمائهم ، وكان ذلك على يد المهلب بن أبي صفرة العماني وعلى يد قومه من الأزد العمانيين (٧) . وعندما حاول بعض زعمائهم اللجوء الى عمان تصدى لهم العمانيون وقاتلوهم وقتلوهم (٨) .

وعلى ذلك فالأباضية أو جماعة المسلمين لم يشتركوا في هذا الصراع الذي دار بين هذه الجماعات الأربع التي حملت وحدها اسم الخوارج وبين قوات الخلافة الأموية أو العباسية ، وانما اعترضوا هذا الصراع منذ البداية ، وأخذوا يبثون أفكارهم في سرية وهدوء ، وخاصة بعد أن التفوا حول امام لهم هو جابر بن زيد الأزدي العماني الذي كان قد رحل من عمان وسكن البصرة وكون مدرسة أخذ يبث

---

(٦) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢١٤ ، ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق د . محمد ابراهيم نصر ، د.. عبدالرحمن عميرة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٢ ، جـ ٥ ص ٥٢ ــ ٥٤ ، القلهاتي : الكشف والبيان ، جـ ٢ ص ٤٢٣ ــ ٤٣١ ، المبرد : الكامل ، جـ ٢ ص ٢٠٧ ــ ٢٠٩ ، ٢١٤ .

(٧) اليعقوبي : تاريخه ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ابن اعثم الكوفي : الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ ، جـ ٣ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، جـ ٤ ص ١٩ ، ٢٠ ، ٤٢٢ ، الطبري : تاريخه ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٥ ص ٦٢٠ ، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١١٨ .

(٨) أبو زكريا الأزدي : تاريخ الموصل ، تحقيق د . علي حبيبة ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة سنة ١٩٦٨م ، ص ١٥٥ ، النويري : نهاية الأرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٧٦ ، جـ ٢١ ص ٥٢١ ، ٥٢٢ .

فيها آراءه ، ويعلم فيها من وفد اليه من مريدين وطلاب علم (٩) .

ولم يكن جابر بن زيد ممن عرف عنهم الميل الى التمرد أو الثورة ، فلم يعرف عنه أنه كان ضمن الذين خرجوا على الامام علي بن أبي طالب أو اعتزلوه أو تمردوا عليه ، اذ أنه ولد في عمان في الفترة مابين عامي ١٨ ، ٢٢هـ ، ثم رحل الى البصرة يطلب العلم وهو شاب في زمن لانعرفه ولايمكن تحديده ، والأغلب أنه رحل اليها بعد سن العشرين حيث كان شابا يستطيع تحمل مشقة السفر والترحال . والمعروف أن التحكيم الذي أدي الى انفصال جزء من جيش (علي) عنه وقيامهم بمعارضته والخروج عليه كان في رمضان من عام ٣٧هـ/ مارس ٦٥٨م ، وحدثت معركة النهروان التي أكدت هذا الانفصال وكرسته في عام ٣٨هـ/ ٦٥٧م (١٠) .

وعلى ذلك فان جابر بن زيد اما أنه لم يكن موجودا في البصرة عند وقوع هذه الأحداث ، أو أنه كان موجودا ولكنه لم يشارك فيها على أي نحو من الأنحاء ، لأن كتب التاريخ السنية والشيعية والأباضية لم يرد فيها ذكر لأي شيء يتعلق به أو حتى مجرد ذكر اسمه في تلك الفترة ، ولم يسمع أحد شيئا عن جابر بن زيد الا بعد انتهاء هذه الأحداث بحوالي أربعين عاما عندما أتي الحجاج بن يوسف الثقفى الى العراق واليا عليه من قبل عبد الملك بن مروان في عام ٧٥هـ/ ٦٩٤م .

أما مايقوله الدكتور عوض خليفات عن علاقة جابر بن زيد بحركة القعدة وأنه اتصل بهم وكان أحمد مفكريها البارزين منذ بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري وقبل مقتل أبي بلال مرداس بن حدير

---

(٩) سالم الحارثي : العقود الفضية في أصول الأباضية ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٣ ، ص ١٠٣ .

(١٠) رجب محمد عبدالحليم : تاريخ عصر النبوة والخلافة الراشدة ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، سنة ١٩٧٨م ، ص ٤١٢ .

التميمي في عام ٦١هـ/ ٦٨٠م (١١) ، فليس عليه دليل ، وماساقه الدكتور خليفات كدليل من أن جابرا كان يصلي الجمعة في المسجد الجامع في البصرة خلف عبيد الله بن زياد ، وأن جابرا كان يقول لهم ''انها صلاة جامعة وسنة متبعة'' ، فهو دليل غير صحيح من وجهين : الوجه الأول ، هو أنه روي هذا الخبر عن كتاب العقود الفضية في أصول الأباضية ، وهذا الكتاب لم يعطنا المصدر أو المرجع الذي رجع اليه صاحبه عند ذكره لهذا الخبر ، والوجه الثاني ، هو أن عتاب القعدة لجابر لم يكن لصلاته خلف زياد وابنه عبيد الله ، انما كان لصلاته خلف الحجاج كما ذكر صاحب كتاب العقود الفضية نفسه (١٢) . وقد تواترت الأخبار الصحيحة من أقدم المصادر بصلاة جابر بن زيد خلف الحجاج وحده ، ذكر ذلك أبو المؤثر الذي عاش في القرن الرابع للهجرة ، وعنه أخذ صاحب بيان الشرع (١٣) ، وصاحب المصنف (١٤) ، وصاحب مصباح الظلام (١٥) ، مما يبين أن الدكتور خليفات قد استدل بغير دليل .

كما أنه لادليل على تزعم جابر لجماعة القعدة في حياة أبي بلال الذي كان في الغالب هو شيخ القعدة الحقيقي حتى قتل عام ٦١هـ/ ٦٨٠م ، وما ساقه الدكتور خليفات من أن زعامة جابر لجماعة القعدة كانت نتيجة لاتصاله بأبي بلال ، فان ذلك أمر مشكوك فيه ، لأن هذا

---

(١١) نشأة الحركة الأباضية ، ص ٨٠ .

(١٢) سالم الحارثي : العقود الفضية في أصول الأباضية ، ص ٩٧ .

(١٣) أبو عبدالله الكندي : بيان الشرع ، مسقط ، وزارة التراث سنة ١٩٨٤م ، جـ ١٣ ص ١٦٦ .

(١٤) أبو بكر الكندي : المصنف ، مسقط ، وزارة التراث سنة ١٩٨١م ، جـ ٥ ص ١٨٥ ، ٣٦٨ .

(١٥) الرقيشي : مصباح الظلام في شرح دعائم الاسلام ، مخطوط رقم ٣٦٨ بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

الاتصال لم يرد الا عند صاحب كتاب بيان الشرع كما قال الدكتور خليفات نقلا عن سالم الحارثي صاحب العقود الفضية (١٦) ، وهذا الاتصال لا يدل على زعامة جابر حسبما جاء عند الحارثي (١٧) ، وانما يدل على تقدير أبي بلال لعلم جابر وفقهه ، ويذكر الدكتور خليفات نفسه أن أبا بلال كان شيخا للقعدة في البصرة بعد معركة النهروان (١٨) .

ولايعتد أيضا بما قاله الرقيشي واعتمد عليه الدكتور خليفات من أن ''أبا بلال وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون الا بأمر امامهم في دينهم جابر بن زيد العماني رحمه الله ومشورته'' (١٩) ، لأن الرقيشي مصدر متأخر ، اذ أنه عاش في القرن الثاني عشر للهجرة ، كما أنه لم يشر الى المصدر الذي أخذ عنه هذا الخبر ، اذ اكتفى في ذلك بقوله ''بلغنا'' ، مع أننا نراه كثيرا ما يذكر مصادره في غير هذا الخبر . ولذلك نرى الدكتور خليفات نفسه يتحفظ في قبول هذه الروايات التي استقاها من هذه المصادر ، ويقول أن القعدة قد اتفقوا على أن يتولى جابر أمرهم ''اذا صحت هذه الروايات'' (٢٠) .

ولو كان جابر هو زعيم القعدة قبل مقتل أبي بلال كما استنتج الدكتور خليفات ثم تحفظ في هذا الاستنتاج ، لخرج ضمن من خرج من المعارضين لحكم بني أمية الى بلاد الحجاز للدفاع عن البيت الحرام

(١٦) عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٩٢ .
(١٧) العقود الفضية ، ص ١٠٧ .
(١٨) نشأة الحركة الأباضية ، ص ٩١ .
(١٩) مصباح الظلام ، مخطوط برقم ٧٩٢ بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي ، ص ٤٥ .
(٢٠) نشأة الحركة الأباضية ، ص ٩١ .

في عام ٦٣هـ/ ٦٨٢م ومقاومة الحملة التي أرسلها يزيد بن معاوية لاخضاع عبد الله بن الزبير في ذلك الوقت . فقد ذهب عبد الله بن أباض ، ونجدة بن عامر الحنفي ونافع بن الأزرق ، كما ذهب معظم زعماء المحكمة الآخرين (٢١) ، ولكننا لم نسمع شيئا عن جابر بن زيد ، وهو الذي كان حريصا على الذهاب الى مكة وعلى الحج كل عام تقريبا حتى قبل انه حج واعتمر أربعا وعشرين مرة على ناقة واحـدة (٢٢) .

وعدم ذهاب جابر الى بلاد الحجاز وقت هذه الملحمة ، لايدل على أنه كان زعيما لجماعة القعدة ، ولاعلى أنه تخلف لأنه كان يستتر عن عيون بني أمية ، لأنه ــ كما قالوا ، كان انسانا ضعيفا قليل الحول والطول ولاطاقة له بالظهور ، ولا لأن ابن اباض ماظهر وماخرج الى بلاد الحجاز وما جادل عبد الملك بن مروان وراسله لأنه كان من تميم ، وكانت تميم قبيلة قوية تستطيع أن تحميه وأن تدفع عنه . إذ الواقع أن قبيلة جابر ــ وهي الأزد ــ كانت أقوى من تميم في البصرة ، وكان معظم سكان البصرة وقتذاك من الأزد حتى سميت ببصرة المهلب(٢٣)، وكان المهلب بن أبي صفرة زعيم الأزد فيها وفي العراق والمشرق بصفة عامة . ويكفي أن رجال الأزد وزعيمهم ذاك هم الذين وقفوا للخوارج الذين هددوا دولة بني أمية وقضوا عـليهم (٢٤) ،

(٢١) المبرد : الكامل ، جـ ٢ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، سالم الحارثي : العقود الفضية ، ص ١٢٢ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين) ، الأنجلو المصرية ، الطبعة السابعة ، سنة ١٩٨٢م ، ص ١٣٩ .

(٢٢) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٠٨ ، سالم الحارثي : العقود الفضية ، ص ٩٩ .

(٢٣) العوتبي : الأنساب ، جـ ٢ ص ١٣٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٥ ص ٣٥١ ، المبرد : الكامل ، جـ ٢ ص ٢٤٠ .

(٢٤) اليعقوبي : جـ ٢ ص ٢٧٢ ــ ٢٧٦ ، ابن أعثم الكوفي : جـ ٣ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، جـ ٤ ص ١٩ ، ٢٠ ، ٤٢٢ ، الطبري : جـ ٥ ص ٦١٣ ، ٦٢٢ ، ابن الأثير : جـ ٤ ص ١٩٥ ــ ٢٠٠ ، ٢٦٧ ــ ٢٨٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٦٥ ، ٣٨٠ ــ ٣٨١ ، ٤٣٧ ــ ٤٤١ .

مما يدل على أن هذه القبيلة كانت لها الغلبة في البصرة . وعلى ذلك فلم يكن جابر بن زيد بالانسان الضعيف الذي يستتر عن بني أمية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن رأس جماعة القعدة وقتذاك ، وإنما كان رئيسها بعد أبي بلال هو عبدالله بن أباض [٢٥] ، ولذلك لم يظهر جابر بن زيد على مسرح الأحداث في تلك الفترة .

والغالب أن جابر بن زيد لم يصبح زعيم القعدة الذين عرفوا باسم جماعة المسلمين أو أهل الدعوة إلا بعد اختفاء أو موت عبد الله بن أباض ، وإلا بعد القضاء على الخوارج الأزارقة والصفرية عام ٧٨هـ/ ٦٩٧م ، وإلا بعد قيام الحجاج بارسال حملاته على عمان لاخضاعها للخلافة الأموية حوالي ذلك التاريخ أو بعده بقليل . ذلك لأن علاقة جابر بالحجاج كانت قبل ذلك التاريخ علاقة ودية ، وكان يأخذ منه جائزته ، ويتناول منه عطاء مقداره ستمائة أو سبعمائة درهم ، ويصلي خلفه ، كما عرض عليه الحجاج أن يوليه القضاء ، ولكن جابر رفض هذا العرض [٢٦] ، وأظن أن رفضه لم يكن تقية منه ، وانما ربما لخوفه من تدخل الحجاج في شئون القضاء .

ولما ساءت علاقة الحجاج بالأزد سواء في البصرة أو في عمان وتعرض لهم بالتنكيل والقتل والتشريد والتعذيب حيث سجن وجوههم مثل يزيد بن المهلب الذي سجنه هو واخوته في عام ٨٥هـ/ ٧٠٤م بعد أن عزله عن خراسان ، ومثل سعيد وسليمان ملكي عمان اللذين فرا من وجهه الى شرقي افريقية . ازاء هذه السياسة التي اتبعها الحجاج ، ولي الأزد وجوههم نحو جابر بن زيد ليكون الزعيم الروحي

(٢٥) القلهاتي : جـ ٢ ص ٤٢٣ ، ٤٧١ .

(٢٦) أبو عبدالله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٦ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، جـ ١٣ ص ١٦٦ ، عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٩٧ .

لهم ، ونحو المهالبة ليكونوا القادة السياسيين أو العسكريين الذين يمكن أن يحفظوا لهم كيانهم . والدليل على ذلك أن المراجع لا تفتأ تتحدث عن العلاقة العضوية التي ربطت بين الأزد عامة والمهالبة خاصة ، وبين الحركة الأباضية [٢٧] . وكان كثير من المهالبة رجالا ونساء قد اعتنقوا أفكار جابر ، وكان جابر نفسه يراسل كبارهم ، ومعروف أن له مراسلات مع عبد الملك بن المهلب الذين كان مع أخيه يزيد في خراسان عندما كان يزيد واليا عليها بعد وفاة والده المهلب عام ٨٢هـ/ ٧٠١م [٢٨] .

ومعنى ذلك أن القعدة أو جماعة المسلمين هم الذين انضموا لجابر بن زيد ، وانضووا تحت قيادته بعد أن انتهى دور عبد الله بن أباض نهاية غير معروفة ، وبعد أن رأوا مدى القوة التي ينعم بها هذا الفقيه الأزدي بسبب مساندة الأزد له ، لدرجة أن الحجاج المشهور بالبطش والعنف لم يجرؤ على قتله عندما عرف صلته بالأباضية ، واكتفى بنفيه الى بلده عمان ، ولم يلبث أن عاد منها الى البصرة مرة أخرى ولم يتعرض له الحجاج في كثير أو قليل [٢٩] .

أخذ جابر بن زيد في هذه الأثناء ونتيجة لهذه الملابسات يدعو الى أفكار معينة عرفت فيما بعد بالمذهب الأباضي . وكان يدعو الى

---

(٢٧) الطبري : جـ ٦ ص ٣٩٣ ، ٤٢٦ ، ابن الأثير : جـ ٤ ص ٥٠٢ ـــ ٥٠٤ ، ٥٤٥ ـــ ٥٤٧ ، عبدالمنعم ماجد : ص ٢٧٣ ، سيف البطاشي : المهلب ، مسقط ، سنة ١٩٨٨م ، ص ٨٧ ، فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ، دار القلم ، دبي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٢٤ ، ١٢٥ ، عوض خليفات : ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٢٨ ، ولكنسن : بنو الجلندى في عمان ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٢م ، ص ١٩ .

(٢٨) جابر بن زيد ، رسائله ، رسالة رقم ١٦ ص ٣٧ ـــ ٣٨ ، ٤٠ ، رسالة رقم ١٧ ص ٤٢ ، ٤٣ ، عوض خليفات : ص ٩٨ .

(٢٩) الشماخي : السير ، تحقيق أحمد بن سعود السيابي ، مسقط ، وزارة التراث سنة ١٩٨٧م ، جـ ١ ص ٧١ ، ٧٦ ، عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٩٤ ، ١٠١ .

هذه الأفكار في البصرة ، ودعا اليها في عمان عندما نفي اليها على يد الحجاج بعد أن ارتاب في نشاطه واتصالاته التي زادت بعد حبس زعيم المهالبة والأزد يزيد بن المهلب (٣٠) .

وعلى ذلك فان المذهب الأباضي نشأ نشأة عمانية حقا ، اذ أسسه فقيه من أزد عمان سكن البصرة وهو جابر بن زيد اليحمدي الأزدي ، وانضم اليه معظم أزد البصرة بحكم العلاقة القبلية من ناحية ، واقتناعا بما كان ينادي به جابر من ناحية أخرى ، كما اعتنق معظم أزد عمان هذه الدعوة على يد جابر وعلى أيدي الدعاة الذين أرسلهم خليفته من بعده ، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وكانوا كلهم من عمان (٣١) ، وذلك تحقيقا لهدف كان العمانيون يتوخونه من وراء هذه الدعوة ، وهو الاستقلال بشئون بلادهم عن بني أمية وبني العباس (٣٢) .

وكان شيوخ المذهب الذين تولوا أمره في البصرة بعد موت جابر في عام ٩٣هـ أو ٩٦هـ ، من عمان أو من أصل عماني عدا أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وعدا أبي سفيان محبوب بن الرحيل

---

(٣٠) أبو زكريا : سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق اسماعيل العربي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٢م ، ص ١٢ ، عوض خليفات : ص ١٢٨ ، فاروق عمر : ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(٣١) الدعاة الذين عرفوا باسم حملة العلم والذين نشروا المذهب في عمان هم موسى بن أبي جابر الازكوي (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م) ، وبشير بن المنذر النزواني العقري (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م) ، ومنير بن النير الجعلاني الريامي (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) ، ومحمد بن المعلا الكندي الفشحي (توفي أواخر القرن الثاني الهجري) ، وراشد بن عمر الحديدي الأزدي ، وهاشم بن غيلان السيحاني ، وأبو سفيان محبوب بن الرحيل (عاش في القرن الثاني الهجري) . انظر ، العوتبي : جـ ١ ص ٣٧٨ ، الشماخي : السير ، جـ ١ ص ١١١ ، ابن مداد : ص ١٠ ، ١١ ، مخطوط كشف الغمة ، ص ٧٢٠ ، مهدي طالب هاشم : الحركة الأباضية في المشرق العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨١م ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، سالم السيابي : طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباضي ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٠م ، ص ٤٣ — ٥١ .

(٣٢) عوض خليفات : ص ١٢٩ ، أرنولد ويلسون : تاريخ الخليج ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، مسقط ، وزارة التراث ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م ، ص ٣٩ .

القرشي . وأبو عبيدة نفسه ماتلقى العلم الا على يد جابر بن زيد وصحار العبدي وجعفر السماك وضمام بن السائب ، وكلهم عمانيون ، وكلهم أشهر علماء الأباضية في البصرة (٣٣) . وكذلك أبو سفيان محبوب بن الرحيل فقد تلقى علمه عن جابر وعن شيوخ المذهب العمانيين في البصرة ، وكان امام الكتمان (٣٤) بعد الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي العماني الذي كان إماما للمذهب بعد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (٣٥) . ولم يستمر أبو سفيان في الاقامة في مدينة البصرة وإنما تركها الى عمان بعد أن ضعف المذهب فيها ، واستقر في عمان ومات بها وترك بها ذريته وأولاده (٣٦) .

أما بقية شيوخ المذهب في البصرة فكانوا كلهم أو معظمهم من عمان ، مثال ذلك أبي نوح صالح الدهان الذي كان المرجع الرئيسي

(٣٣) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ ، الشماخي : جـ ١ ص ٧٤ — ٧٦ ، ابن مداد : سيرته ، مسقط ، وزارة التراث سنة ١٩٨٤م ، ص ٦ ، ١٩ ، مخطوط كشف الغمة ، ص ٨١٨ ، عوض خليفات ، نفس المرجع ، ص ١٠٣ .

(٣٤) امامة الكتمان هي أحد أنواع الامامة الأربعة عند الأباضية ، وفيها تكون الدعوة الأباضية في مرحلة السرية ، تمثلا بما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام قبل هجرته وما كان عليه جابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم . أما الامامة الثانية فهي امامة الشراء ، أي الخروج لقتال الحكام الجبابرة ، أي الذين لايحكمون وفقا لتعاليم الاسلام كما يراها الأباضية ، مثلما فعل أبو بلال مرداس بن حدير التميمي عام ٦١هـ ، والشراء من قولهم انا شرينا أنفسنا في طاعة الله ، أي بعناها بالجنة حين فارقنا ائمة الجور . والامامة الثالثة هي امامة الدفاع ، أي للدفاع عن أهل الدعوة اذا ماتعرضوا لهجوم من قبل خصومهم أو أعدائهم كأهل النهروان ، أما الامامة الرابعة وهي أهم الامامات الأربع فهي امامة الظهور ، وهي التي يظهر فيها امام الأباضية وتقوم لهم دولة يكون على رأسها هذا الامام ، وهو ماكان عليه النبي ﷺ بعد أن هاجر وأمر بالجهاد وما كان عليه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهم ممن قام عليه الدين .

انظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، القاهرة ، دار احياء التراث العربي ، سنة ١٩٦٣م ، جـ ١٨ هامش ٣ ص ١٠٩ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٦ ، جـ ٢ ص ٣٦٤ ، الشماخي : جـ ٢ ص ٥٢ ، مخطوط مصباح الظلام رقم ٧٩٢ ، ص ٣٠ .

(٣٥) العوتبي : الأنساب ، مسقط ، وزارة التراث سنة ١٩٨٤م ، جـ ٢ ص ٢٢٩ ، كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، تعريب د . عبدالحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٤م ، جـ ٣ ص ١٦١ .

(٣٦) عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص ١٨ .

للحركة بعد أبي عبيدة وضمام وجعفر السماك [٣٧] ، ومثال أبي مودود حاحب الطائي الذي كان يشرف على المهام المالية والعسكرية بالبصرة كما كان يشرف على سير الدعوة خارجها [٣٨] ، والفضل بن جندب ، وبلج بن عقبة الفراهيدي ، وأبو حمزة المختار قائد جند طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الذي أقام أول امامة ظهور في حضرموت واليمن عام ١٢٨هـ/ ٧٤٥م ، وأبو الحر علي بن الحصين الذي رأس وفدا أباضيا ذهب الى عمر بن عبدالعزيز في دمشق لمناظرته . وكان هذا الوفد يتكون منه ومن رجال آخرين من عمان مثل الحتات بن كاتب وجعفر السماك ، وأبي سفيان قنبر ، وأبي مودود حبيب بن حفص بن حاجب الطائي [٣٩] .

وكما ترى فان معظم شيوخ المذهب ورءوسه في البصرة كانوا من عمان ، نزحوا اليها وسكنوها ونشروا الدعوة بين أهلها ، وكان من الطبيعي أن ينتقل المذهب وينتشر في عمان ذاتها ، وقد حقق انتشار المذهب فيها نجاحا عظيما على يد حملة العلم أو الدعاة الذين أرسلهم اليها أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في بداية القرن الثاني للهجرة [٤٠] .

وكان من الطبيعي أيضا أن تنتقل زعامة المذهب نفسه الى عمان بعد أن تعرض للضعف في البصرة عقب وفاة أبي عبيدة في أواخر عصر أبي جعفر المنصور [٤١] ، وبعد أن هاجر معظم علمائه الى عمان ،

(٣٧) مخطوط كشف الغمـــة ، ص ٧١٩ .

(٣٨) الشماخي : جـ ١ ص ٨٦ — ١٠٥ ، عوض خليفات : ص ٨٠ .

(٣٩) ابن مداد : ص ٦ — ١٩ ، مخطوط كشف الغمة ، ص ٧١٨ ، ٧١٩ .

(٤٠) عن أسباب نجاح انتشار المذهب الأباضي في عمان ، انظر ، عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٤١) فاروق عمر : ص ١١٩ ، ١٢٠ . (ذكر أن وفاة أبي عبيدة كانت في عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م) .

وبعد أن رحل اليها آخر أئمة الكتمان في البصرة ، وهو أبو سفيان محبوب بن الرحيل الذي مات بها في أواخر القرن الثاني للهجرة (٤٢) .

وقد تعرضت البصرة لأحداث جسام قضت على البقية الباقية من رجال المذهب فيها . ذلك أن هذه المدينة الضخمة كانت هدفا لما عرف بثورة الزنج التي بدأت منذ عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م واستمرت أكثر من خمسة عشر عاما تهدمت أثناءها معظم دور البصرة وقتل معظم سكانها ودمرت مساجدها وأصبحت مدينة خربة (٤٣) ، كما تعرضت في بداية القرن التالي لطغيان القرامطة الذين دمروا مرافقها وفعلوا بها أكثر مما فعله الزنج (٤٤) ، مما عرض المدينة للدمار وعرض المذهب الأباضي للزوال ، حيث أن القرامطة كانوا يعادون جميع الفرق والمذاهب الاسلامية ، ولذلك لم نعد نسمع شيئا عن وجود للمذهب أو لنشاط أصحابه في البصرة منذ بداية القرن الرابع للهجرة (٤٥) .

ولذلك وقبيل نهاية القرن الثاني للهجرة ، ومنذ أن قامت الامامة الأباضية الثانية في عمان عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م ، أصبحت هذه البلاد حجر الزاوية ومركز الثقل السياسي بالنسبة للمذهب والدعوة له والدفاع عنه في كافة البلدان في المشرق والمغرب . وقد عبر الأباضية عن ذلك فقالوا ان العلم مثله مثل طائر باض في المدينة المنورة وفرخ

(٤٢) عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص ١٨ .

(٤٣) الطبري : جـ ٩ ص ٤٣١ — ٤٣٧ ، ٤٧٩ — ٤٨٨ ، ابن خلدون : تاريخه ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٥ ص ٦٣٧ — ٦٤٦ .

(٤٤) ابن الأثيـــر : جـ ٨ ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٤٥) حينما تحدث المقدسي الذي توفي في عام ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م عن المذاهب في البصرة لم يشر الى وجود الأباضية فيها ، وقال ان أكثر أهلها قدرية وشيعة وحنابلة ، وأشار الى أن ''أهلها لايتعاطون الفقه ، فمن تفقه منهم تفقه لمالك'' . انظر ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٧م ، ص ١٣٦ .

في البصرة وطار الى عمان (٤٦) ، وصار أئمة المذهب وشيوخه في عمان هم الذين يرسلون بالفتاوي والأوامر الى أتباعه في المشرق والمغرب ، سواء في حضرموت واليمن (٤٧) أم في مصر وبلاد المغرب (٤٨) .

وازاء هذا التلاحم والترابط القوي الذي رأيناه يربط بين عمان والبصرة مذهبيا وفكريا حوالي قرنين من الزمان ، منذ أن ظهر المذهب في البصرة وحتى اندثاره فيها وازدهاره على أرض عمان ، كان طبيعيا أن نجمع بينهما عند الحديث عن العلاقات التي نشأت بينهما وبين أباضية مصر والمغرب . وكان هذا الجمع لهذا السبب الهام الذي تحدثنا عنه ، ولأسباب أخرى ليست أقل أهمية . من هذه الأسباب أن معظم سكان البصرة كانوا من اصل عماني (٤٩) . فلم يكن في هذه المدينة من القبائل الهامة والكبيرة الا أزد عمان وقبيلة تميم . أما بنو تميم فقد كانوا منقسمين على أنفسهم (٥٠) ، وكان معظمهم مع الخوارج الأزارقة ، ومن بينهم خرج معظم زعماء هذه الفرقة المتطرفة ، ونظرا لهذا التطرف فقد تعرضت هذه القبيلة لضربات مميتة على يد جيوش بني أمية (٥١) .

أما الأزد فكانوا أكثر عددا من تميم ، كما أنهم كانوا مع الأباضية ، ومن بينهم خرج زعماء الأباضية ، وازاء اعتدال الأباضية واتباعهم

(٤٦) سالم الحارثي : ص ١٤٨ ، نور الدين السالمي : تحفة الأعيان ، مسقط ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، جـ ١ ص ٨٧ .
(٤٧) أبو عبدالله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٢٨ ص ٦٩ ، جـ ٢٩ ص ٩ ، ٥١ .
(٤٨) المصدر السابق ، جـ ٢٨ ص ١٩٥ — ١٩٦ .
(٤٩) ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٩٧٩م ، جـ ١ ص ٤٣١ .
(٥٠) ماسينيون : خطط البصرة وبغداد ، ترجمة د . ابراهيم السامرائي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م ، ص ٢٠ ، ٢١ .
(٥١) محمد جمال الدين سرور : ص ١١٨ — ١١٩ .

أسلوب السرية والتقية وسياسة المسالمة ، فقد انفسح المجال أمامهم وأمام زعمائهم من المهالبة كي يصبحوا سادة البصرة حتى انها سميت كما قلنا من قبل ببصرة المهلب ، نتيجة لما قام به هذا الزعيم القوي هو وقومه من حمايتها من هجوم الأزارقة ومحاربته لهم وقضائه عليهم (٥٢) . ولذلك انطبعت هذه المدينة بطابعهم كما انطبعت مدينة الكوفة بطابع ذوي قرباهم من كندة (٥٣) .

وقد زاد من الروابط التي تربط البصرة وعمان أنها كانتا تقعان في أحيان كثيرة تحت حكم وال واحد (٥٤) . فمن يحكم البصرة كان يحكم عمان ، لأن اقليم الخليج كان يعتبر اقليما جغرافيا واحدا طوال عصور الخلافة الاسلامية ، سواء في عهد بني أمية أم في عهد بني العباس . يضاف الى ذلك أن البصرة وعمان كانتا مرتبطتان من الناحية التجارية برباط لاتنفصم عراه . فالبصرة على الطرف الشمالي للخليج ، وعمان على الطرف الجنوبي له ، وكان على المسافرين والتجار القادمين

---

(٥٢) انظـــــر ، ص ١٨ . (٥٣) ماسينيـــــون : ص ١٨ .

(٥٤) جمع معاوية بن أبي سفيان لزياد بن أبيه حكم البصرة وخراسان وسجستان والسند والبحرين وعمان عام ٤٥هـ (انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٥ ص ١٦) .

كما كان يزيد بن المهلب يحكم العراق والمشرق واقليم الخليج بما فيه عمان التي ولي عليها أخاه زياد . (انظر : أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، جـ ١٤ ص ٢٩٨ ، أبن حبيب : المحبر ، ص ٥٨٢ ، الطبري : جـ ٦ ص ٥٠٦ ، ابن الأثير : جـ ٥ ص ١١ ، ٢٥) ، وقد ظل زياد هذا واليا على عمان منذ عام ٩٦هـ حتى نهاية دولة بني أمية فيما عدا فترة حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز (انظر : مخطوط كشف الغمة ، ص ٥٨١ ، ٥٨٢) .

وفي عهد بني العباس ، ولي أبو العباس عبدالله السفاح عمه سليمان بن علي على البصرة وأعمالها ، وولايات دجلة والبحرين وعمان عام ١٣٣هـ (انظر : الطبري : جـ ٧ ص ٤٥٩ ، ٤٦٥ ، ابن خلدون : جـ ٥ ص ٣٧٧) ، واستمر الأمر على هذا المنوال في عهد أبي جعفر المنصور وابنه المهدي ثم الهادي وبداية عهد هارون الرشيد (انظر : الطبري : جـ ٨ ص ١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٨٢م ، جـ ٦ ص ٤٩ ، ٩٤ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ابن خلدون : جـ ٥ ص ٤٥٠ ، ٤٦١) .

وظل الأمر كذلك حتى قامت الامامة الأباضية الثانية في عمان في عام ١٧٧هـ ، واستقلت عمان بنفسها عن الخلافة العباسية مدة قرن كامل .

من الشرق والغرب والذين يعبرون الخليج أن يمروا بهذين البلدين ، فتجارة البصرة لاتصل الى الشرق الا عن طريق عمان ، وتجارة عمان لاتصل الى العراق والشام وأوربا الا عن طريق البصرة . وكان أهل البصرة كثيرا ما يأتون الى عمان ويتجهزون فيها للسفر الى بلاد الهند ، وبالمثل كان كثير من الموسرين من أهل عمان يرسلون بأموالهم الى البصرة لشراء مايحتاجونه من سلع ، وتكثر الاشارة عند أبي عبد الله الكندي صاحب بيان الشرع الى ذهاب العمانيين الى البصرة والبصريين الى عمان (٥٥) .

وعلى ذلك فقد كان الاتصال بين البلدين قائما ومؤكدا ومستمرا طوال عصور التاريخ الاسلامي ، وكان هذا الاتصال يتم بواسطة الطريق البحري عبر الخليج العربي ، وكذلك بواسطة الطريق البري الذي يمر عبر الأحساء ، ولذلك كثرت الرحلة من عمان الى البصرة ، وكثر توطن العمانيين في البصرة حتى أصبح معظم علمائها من رواة الحديث والفقهاء واللغويين ورجال العلم والأدب بصفة عامة من أزد عمان (٥٦) . ونتيجة لهذا النشاط العلمي والمذهبي والتجاري الذي

---

(٥٥) بيان الشـــرع ، جـ ١٩ ص ٣١٤ ، ٣١٦ .

(٥٦) عن علماء الأزد العمانيين في البصرة ، انظر ، الجزء السابع من طبقات ابن سعد الذي خصصه لعلماء البصرة ، وكذلك انظر : خليفة بن خياط : الطبقات ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢م ، ص ٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، البخاري : التاريخ الصغير ، تحقيق محمود ابراهيم زايد ، دار التراث بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م ، جـ ٢ ص ٥٥ ، ١٩٠ ، ٣٤٨ ، ٣٩١ ، السمعاني : الأنساب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م ، جـ ٢ ص ٤٦ ، جـ ٣ ص ٢٨٨ ، جـ ٤ ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، جـ ٥ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٤٧٧ ، ٦٢٩ ، ٦٥٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ص ٢١٨ ، ٤١٩ ، جـ ٣ ص ٢١٦ ، جـ ٤ ص ٣٤٨ ، جـ ٥ ص ٢٠٩ ، جـ ٦ ص ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، كارل بروكلمان : نفس المرجع ، جـ ٣ ص ١٦١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣١ ، ٢٩٠ .

وفي هذه الصفحات من هذه المصادر يتأكد لك أن علماء الأزد الذين ورد ذكرهم فيها من عمان أو من أصل عماني ، اذ تنتهي أسماؤهم بأسماء قبائل لازالت تعيش في عمان حتى الآن مثل المهلبي والطاحي والجديدي ، والجهضمي والعوذي والراسبي ، والهنائي والحارثي والعتكي والندبي =

قام بين البصرة وعمان ، كان من الطبيعي أن ينتشر المذهب وينتقل من البصرة الى عمان ، وكان من الطبيعي أن نجمع بينهما في حديثنا عن العلاقات مع أباضية مصر والمغرب ، كما كان من الطبيعي أيضا أن نجمع بين مصر والمغرب في هذا المضمار .

ذلك أن هذين البلدين كانا يستقبلان الدعاة وعلماء المذهب والتجار القادمين من البصرة وعمان ، فيلقي هؤلاء القادمون عصا الترحال أولا في مصر ، وكان بعضهم يستقر فيها فترة من الزمن قد تطول أو تقصر ، ثم يستأنفون الترحال الى بلاد المغرب . يضاف الى ذلك أن مصر كانت في نفس الوقت تستقبل أباضية المغرب الذين كانوا يقدمون اليها وهم في طريقهم لأداء فريضة الحج ، أو كانوا يأتون اليها للتجارة أو لتلقي العلم ، أو للاشتغال بالحرف والصناعات ، أو للهجرة اليها والاقامة فيها بصفة نهائية ، وكثيرا مايشير المؤرخون الى وجود للطلاب المغاربة في الأزهر ، والى وجود للحرفيين والتجار المغاربة الذين أقاموا في مصر واتخذوها سكنا وموطنا (٥٧) .

وكما كانت البصرة وعمان متلاحمتان بشريا وسكانيا وتجاريا وسياسيا ، فقد كانت مصر والمغرب تسير على نفس المنوال . واذا كان عرب البصرة قد غلب عليهم الأزد القادمون من عمان ، فقد غلب على مصر والمغرب عرب الجنوب وكان معظمهم من الأزد وكندة ومهرة وغافق وباقي قبائل عمان واليمن الأخرى (٥٨) . وكانت

= والواشحي والمعولي والجرموزي والسليمي والقراديسي والمعني والصوري . وتحت كل اسم قبيلة من هذه القبائل يندرج عدد يتفاوت قلة أو كثرة من العلماء الذين ذاع صيتهم في البصرة وفي انحاء العالم الاسلامي ، حتى تحدثت عنهم كتب الطبقات ودونت مآثرهم ونشاطهم العلمي والثقافي . أما عن الطرق التي كانت تربط عمان بالبصرة ، انظر ، الخريطة رقم (٣) .

(٥٧) الحسن الوزان : وصف افريقيا ، تعزيب محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣م ، جـ ٢ ص ٢٠٨ .

(٥٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ليدن سنة ١٩٢٠م ، ص ١٤٢ ، سيدة الكاشف : مصر في فجر الاسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٦م ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٨ .

الهجرات العربية تأتي الى مصر أولا بحكم موقعها الجغرافي ، فمنها مايستقر فيها ومنها ما يستأنف الرحلة الى بلاد المغرب ، وكان بعض القبيلة الواحدة يقيم في مصر وبعضها الآخر يرحل الى بلاد المغرب ، وعلى ذلك فقد كانت الصلات قائمة بين عرب مصر وعرب المغرب بحكم انتمائهم الى عرب الجنوب ، وبحكم أن البلدين — مصر والمغرب — كانا يتبعان في الغالب واليا واحدا كما كان الحال بالنسبة لعمان والبصرة .

فقد كانت بلاد المغرب تتبع مصر اداريا حتى عام ٨٦هـ/٧٠٥م ، ثم أصبحت بعد ذلك ولاية مستقلة (٥٩) ، وان كانت هناك أخبار تدل على استمرار بقائها تحت سلطان والي مصر في بعض فترات الخلافة الأموية (٦٠) والعباسية (٦١) . واذا كانت التجارة قد ربطت بين عمان والبصرة قبل الاسلام وبعده ، فقد كانت التجارة بين مصر وبلاد المغرب مزدهرة ، وكانت هناك طرق عديدة تمر بها التجارة بين البلدين ، وكانت مصر تلعب دور الوسيط التجاري بين المشرق والمغرب الاسلاميين ، بل بين شرق العالم كله وغربه (٦٢) .

فالتواصل بشتى أنواعه وأشكاله كان قائما وموجودا بين مصر والمغرب منذ أن دخل الاسلام هذين البلدين ، حتى انه كان يطلق على مصر في بعض الأحيان أنها احدى دول المغرب . ولذلك ليس غريبا أن نجمع بينهما في حديث واحد فيما يختص بالأباضية والمذهب الأباضي وعلاقات الأباضية فيهما بأباضية عمان والبصرة . وقبل

(٥٩) سيدة الكاشف : نفس المرجع ، ص ٤٠ ، ٤١ ، ٨٦ ، ٨٨ .
(٦٠) عبدالمنعم ماجد : جـ ٢ ص ٢٨٩ .
(٦١) سيدة الكاشف : نفس المرجع ، ص ٦٨ .
(٦٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ ، ٢٩٧ .

الحديث عن هذه العلاقات لابد أن نتحدث أولا عن الأباضية في مصر والمغرب : كيف وصل المذهب الى هذه البلاد ، وكيف انتشر بين كثير من سكانها ، وماهي عوامل هذا الانتشار ، وماهي مظاهر هذا الانتشار . أسئلة عديدة تحتاج الى اجابة شافية ، وهذا ماسوف نفعله في الفصل الأول من هذا الكتاب .

الفصـــــل الأول

الأباضيـــة في مصـــر والمغـــرب

انتشر المذهب الأباضي بين قطاعات عريضة من شعب مصر منذ مستهل القرن الثاني للهجرة ، وظل موجودا فيها حتى عصر صلاح الدين الأيوبي ، وربما بعد ذلك بكثير أو قليل . كما انتشر هذا المذهب انتشارا واسعا بين المغاربة وحقق نجاحا منقطع النظير حتى استطاع هؤلاء المغاربة أن يقيموا لهم دولة أباضية شمل سلطانها معظم أراضي المغربين الأدنى والأوسط . فياترى ماهي قصة هذا الانتشار ..؟ وما هي عوامله وأسبابه ..؟ .

١ ــ الأسباب والعوامل التي أدت الى انتشار المذهب الأباضي في مصـــر والمغـــرب :ــ

أما الأسباب فلا نرى الا سببين رئيسيين وثلاث عوامل مساعدة أدت الى انتقال المذهب من البصرة الى مصر والمغرب وانتشاره في هذين البلدين . وأول هذين السببين هو اضطهاد الأباضية في البصرة وعمان .

أ ــ اضطهـــاد الأبـــاضيـــة في البصـــرة وعمـــان :

ففي البصرة اتبع عمال الأمويين سياسة البطش والتعذيب والنفي

والقتل ضد معارضيهم بصفة عامة ، ولم يستثنوا من هذه السياسة جماعة القعدة أو جماعة المسلمين التي عرفت كما قلنا باسم الأباضية فيما بعد . ورغم أن هذه الجماعة كما يتبين من اسمها وكما سبق أن ذكرنا ، لم تأخذ بأسلوب الخوارج في التطرف والعدوان وترويع الآمنين ورفع السيف في وجه الدولة ، الا أن عمال بني أمية في بلاد العراق شددوا عليها خوفا من دعوتها التي كانت تستشري بين الناس ، وتحاشيا للشر قبل وقوعه وقمعا للنفاق قبل أن ينجم كما قالوا (١) .

وكان بدء الاضطهاد الذي تعرضت له هذه الجماعة المسالمة على يد عبيد الله بن زياد الذي كان يقتل على الظنة والشبهة ، وكان يتفنن في اضطهادهم وضرب بعضهم بالبعض الآخر حتى يفرق جماعتهم ، فكان يسجن الجماعة منهم ثم يأمرهم بقتل بعضهم بعضا ، وكان يعدهم بأن القاتل سوف يعفو عنه ويخرجه من السجن (٢) . واتبع مع النساء أسلوب التعرية والصلب والمثلة ، فقد جيء بإحداهن وكانت على رأي أبي بلال ومن مجتهدات القعدة ، فقطع رجليها ويديها ورمي بها في السوق ثم قتل من بقي في سجنه من أصحاب أبي بلال (٣) ، كما قتل أخا بلال نفسه عروة بن حدير في عام ٥٨هـ/ ٦٧٨م ، مما أجبر أبا بلال على الخروج من البصرة شاريا رفضا لظلم عبيد الله بن زياد ، واتجه الى الأهواز ''لايدعي هجرة ولاينتحلها ، ولايخيف آمنا ولايحل استعراضا ، ولايحل حرمة ولايغنم أموالا ، ولايسبي ذرية ، ولاينزل قومه (يقصد غير الأباضية) منزلة أهل

---

(١) المبرد : الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ .

(٢) عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٦٧ — ٦٨ ، محمد جمال الدين سرور : ص ١١٧ .

(٣) المبرد : الكامل ، جـ ٢ ص ١٨١ — ١٨٢ ، سالم الحارثي : نفس المرجع ، ص ١١٠ ، عوض خليفات : ص ٦٩ .

الأوثان'' (٤) ، وما خرج من البصرة الا لكي يبتعد عن هذا الوالي وظلمه ، ولكن جند عبيد الله تعقبوه وقاموا بقتله هو وزملائه الأربعين في مكان يسمى آسك بالأهواز عام ٦١هـ/ ٦٨٠م أثناء قيامهم بأداء فريضة صلاة الجمعة (٥) .

وازاء هذا الاضطهاد لجأ القعدة الى السرية والكتمان وظلوا على هذا الأمر حتى أتي عصر الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قام بدوره في اضطهاد من ينكشف أمره منهم ، كما أخذ في مطاردتهم ونفي زعمائهم ، مثل عمران بن حطان الذي أخذ في الهروب من البصرة والتخفي والالتجاء الى القبائل المختلفة منتحلا أسماء مختلفة حتى يفلت من مطاردة الحجاج الذي كان قد كتب الى عماله بالقبض عليه ، فصار عمران يهرب من مكان الى آخر حتى وصل الى عمان فاختبأ بها وظل فيها حتى كتب الحجاج الى أهل عمان . فارتحل عمران هاربا حتى مات مطاردا (٦) .

وعندما أحس الحجاج بنشاط جابر بن زيد الذي تولى أمر جماعة القعدة بعد عبد الله بن أباض ألقي به في السجن ثم نفاه الى عمان ، ولما عاد منها ألقى به في السجن مرة ثانية ، كما سجن قيادات القعدة الآخرين مثل أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وضمام بن السائب ، وصحار العبدي وغيرهم من الذين ظلوا في سجنه حتى مات في عام ٩٥هـ/ ٧١٤م . وياليت الحجاج اكتفى بسجن زعماء القعدة فقط ، بل نراه يرتكب أبشع الجرائم في القضاء عليهم . وعلى سبيل

(٤) الرقيشي مصباح الظلام ، مخطوط رقم ٧٩٢ ، ص ٤٧ .

(٥) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢١٨ ، ٢٢٢ ، عوض خليفات : ص ٦٩ ، ٧٠ ، سالم الحارثي : ص ١١٢ — ١١٥ . المبرد : الكامل ، جـ ٢ ص ١٨٤ — ١٨٧ .

(٦) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، جـ ١٨ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٤ ، المبرد : الكامل ، جـ ٢ ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، عوض خليفات : ص ٧٢ — ٧٤ .

المثال فقد بني على ثلاثة منهم بنيانا حتى ماتوا فيه جوعا وعطشا ، كما جلد بعضهم ولم يستثن من هذا الجلد من كان شيخا كبيرا مثل أبي سفيان قنبر ، الذي جلده أربعمائة سوط حتى يدل على اخوانه من الأباضية ، فلم يفعل ، وكان معه في السجن جابر بن زيد فلم يدل عليه (٧) .

وكما تعرض الحجاج لقعدة البصرة بالاضطهاد على هذا النحو ، فقد تعرض لأهل عمان بالقمع والقتل والتنكيل ، لأنه أراد أن يخضعهم كما أخضع أهل البصرة وأهل العراق ، فأرسل عليهم بضع حملات عسكرية قتلت رجالهم ونساءهم وأطفالهم ، وخربت بلدانهم وأجبرت ملكيهم سعيدا وسليمان على الفرار الى شرقي افريقيا (٨) . واستدار الحجاج ثانية الى البصرة وأخذ يضطهد زعماء الأزد فيها بعد أن رأى مدى التعاون بين أزد عمان وأزد البصرة ، فألقى بيزيد بن المهلب واخوته وأقاربه في السجن ، وقام بتعذيبهم بأشد أنواع التعذيب حتى اضطر يزيد الى الهرب من سجنه والفرار الى دمشق للاحتماء بسليمان ابن عبد الملك أخي الخليفة الوليد ، فحماه سليمان الذي كان يكره الحجاج ، ثم عينه واليا على العراق وخراسان عندما تولى الخلافة بعد موت الوليد في عام ٩٦هـ/ ٧١٤م (٩) .

وفي بداية عهد يزيد بن عبدالملك (١٠١ — ١٠٥هـ/ ٧١٩ — ٧٢٣م) انقلب عليه يزيد بن المهلب وقام بثورة عنيفة في عام ١٠٢هـ لأنه خاف بطش يزيد ، حيث كان قد توعد المهالبة بالهلاك وأمر والي

(٧) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، الشماخي : جـ ١ ص ٨١ ، ٨٦ ، سالم الحارثي : ص ١٤٥ .

(٨) مجهول : قصص وأخبار جرت في عمان ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ولكنسن : ص ١٧ ، مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، مسقط ، وزارة التراث ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٦م ، ص ٦٥ — ٧٩ .

(٩) ابن الأثير : جـ ٣ ص ٥٠٢ — ٥٠٤ ، جـ ٤ ص ٥٤٥ — ٥٤٧ ، جـ ٥ ص ١١ ، ٢٥ .

البصرة بسجنهم . ولما فشلت ثورة هذا الزعيم المهلبي الأزدي تعرض آل المهلب للابادة الجماعية وبيعت نساؤهم بيع الرقيق (١٠) ، مما أغضب الأزد بصفة عامة سواء في البصرة والعراق وخراسان أم في عمان .

وقد نتج عن هذا الغضب الأزدي وعن اضطهاد القعدة في البصرة ، وعن نفي جابر ابن زيد وغيره من زعمائهم الى عمان ، وتعرض عمان ذاتها الى عدوان الحجاج وانتقامه ، أن أخذ المذهب ينتشر انتشارا سريعا في عمان لاسيما وأن رأس المذهب جابر بن زيد عماني الأصل ، كما انضم كثير من المهالبة والأزد وغير الأزد في البصرة الى الدعوة الأباضية ، وقام شيخ المذهب فيها وهو أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي الذي تولى أمر الدعوة بعد موت جابر عام ٩٦هـ/ ٧١٤م ونظمها واستقبل طلبة العلم من افريقية وبلاد المغرب ، ومن مصر وعمان وخراسان ومدينة الرسول وحضرموت ، يعلمهم أصول المذهب ، ويعدهم لحمله الى بلادهم ، ولذلك سموا باسم حملة العلم (١١) . ولم يمت أبو عبيدة الا وكان المذهب قد رسخت قواعده في عمان ومصر وبلاد المغرب ، وكانت هذه هي النتيجة المنطقية لاضطهاد الأباضية في البصرة . حيث تحمس هؤلاء الأباضية الى الخروج بمذهبهم الى الأطراف البعيدة والعمل على نشره فيها بكل ما أوتوا من قوة ، وكانوا يتمنون أن يظهر مذهبهم ولو يوما واحدا ولايبالون بعد ذلك أن يموتوا في آخر هذا اليوم غير نادمين (١٢) .

(١٠) الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٥م ، جـ ٢ ص ٣١٦ ، العوتبي : الأنساب ، جـ ٢ ص ١٥٠ ـ ١٥٦ ، المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٣ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، أبو زكريا الأزدي : تاريخ الموصل ، ص ٨ ـ ١٦ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ ، ابن الأثير : جـ ٥ ص ٧١ ـ ٨٦ .

(١١) سالم الحارثي : ص ١٤٧ .

(١٢) الدرجيني : جـ ١ ص ١١ ـ ١٢ ، الشماخي : جـ ١ ص ٩٠ ، ٩١ .

هذا عن السبب الأول الذي أدى الى انتشار المذهب خارج البصرة . **أما السبب الثاني** الذي أدى الى هذه النتيجة أيضا فيتعلق بسياسة عمال بني أمية في بلاد المغرب وظلمهم لسكانه وأهله من البربر .

ب — سوء سياسة عمال بني أمية في بلاد المغرب :

من المعروف أن بلاد المغرب لم تفتح بسهولة واستغرق فتحها مدة طويلة بلغت الخمسين عاما بسبب عوامل مختلفة منها مقاومة البربر ومساعدة البيزنطيين لهم ، ومنها ما كان يتصف به هؤلاء البربر من صفات الأنفة والكبرياء والسيادة والجلد والشجاعة (١٣) ، ومع ذلك فقد استكانوا للفاتحين في النهاية ونعموا بحكم الاسلام ، ولكن ولاة بني أمية أساءوا اليهم وإلى الاسلام ، فلم يسيروا فيهم حسبما علم البربر عن الاسلام وعن تقاليده ونظمه وشريعته .

مثال ذلك مافعله بهم يزيد بن أبي مسلم الذي كان كاتبا للحجاج ابن يوسف الثقفي ، والذي تولى أمر أفريقية والمغرب في بداية عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥هـ/ ٧١٩ — ٧٢٣م) . فقد طبق هذا الوالي سياسة سيده الحجاج بن يوسف الثقفي في البطش والعسف والظلم ، ففرض الجزية على من أسلم منهم ، وأمر حراسه من البربر أن ينقشوا أسماءهم على أيديهم اليمنى ، وأن ينقشوا كلمة ''حرسي'' على أيديهم اليسرى ، ثم جعل البربر أخماسا وأحصى أموالهم وأولادهم ، فأنف البربر من ذلك كل الأنفة ، وغضبوا من هذه السياسة كل الغضب ، وانتهى الأمر بتآمرهم عليه ، فاغتالوه في

(١٣) شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول الهجري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادس ، سنة ١٩٨٢م ، ص ١٨٣ ، ١٨٥ .

مصلاه ، وأرسلوا الى الخليفة يقولون له : ''إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لايرضي الله والمسلمون ، فقتلناه وأعدنا عاملك'' ، فأقرهم يزيد على مافعلوا (١٤) .

وياليت من خلفه في حكم البربر رأوا سوء العاقبة إن هم استأنفوا سيرة يزيد بن أبي مسلم مع البربر ، بل نراهم يحرصون على اتباع هذه السياسة ، وكأن سياسة العنف والقسوة مع البربر كانت سياسة مرسومة ولابد أن تتبع ، ولذلك نرى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي القيسي الذي تولى أفريقية والمغرب (١١٠ — ١١٦هـ/ ٧٢٨ — ٧٣٤م) يأخذ بها ، ويعنف مع البربر عنفا شديدا حتى إنه غزا قبائلهم وسبى نساءهم وأقبل على الخليفة هشام بن عبد الملك محملا بالهدايا والطرف ، وسير في ركابه عددا كبيرا من الجواري اللائي بلغ عددهن عشرين ألفا ، بالاضافة الى أعداد مهولة من الخيل والدواب ومقادير كبيرة من الذهب والفضة مما جباه من هؤلاء البربر(١٥) .

وأتت الطامة الكبرى في عهد خلفه عبيد الله بن الحبحاب (١١٦ — ١٢٣هـ/ ٧٣٤ — ٧٤١م) الذي أراد عامله على طنجة عمر ابن عبدالله المرادي تخميس البربر وزعم أنهم فئ المسلمين ، وكأنهم على الكفر والوثنية . ويقول ابن عذاري أن هذا العمل الشائن ''لم يرتكبه عامل قبله ، وانما كان الولاة يخمسون من لم يجب للاسلام ، فكان فعله الذميم هذا سببا لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية

(١٤) ابن عبد الحكم : ص ٢١٣ — ٢١٤ ، البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ص ٣١٣ ، الطبري : جـ ٦ ص ٦١٧ ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٢١٦ ، تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ، سنة ١٩٨٨م ، ص ٣٨٢ .

(١٥) ابن عبد الحكم : ص ٢١٧ ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ص ٣١٨ ، القلقشندي : صبح الأعشي ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، جـ ٥ ص ١١٨ ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، زامباور : ص ٩٩ .

الى كثير القتل في العباد'' [١٦] .

وقد نتج عن هذه السياسة أمران : الأمر الأول هو استجابة معظم بربر المغرب الأدنى والأوسط لتعاليم الأباضية ، وبربر المغرب الأقصى لتعاليم الصفرية . والأمر الثاني هو قيام الصفرية بالثورة على ولاة بني أمية حيث هزموهم هزائم قاصمة في موقعة الأشراف قرب طنجة في عام ١٢٣هـ/ ٧٤١م وموقعة بقدورة على وادي سبو في عام ١٢٤هـ/ ٧٤٢م [١٧] .

غير أن البربر لم يقوموا بثوراتهم ضد عمال بني أمية الا بعد أن أعذروا لأنفسهم ، ذلك أنهم أرسلوا وفدهم الى الخليفة هشام بن عبدالملك في دمشق ليتبينوا موقفه من سياسة عماله في بلادهم ، ولكنهم لم يستطيعوا مقابلته ، ومكثوا ببابه أياما دون أن يتمكنوا من الدخول اليه ، فأخبروا حاجبه بسوء سياسة عماله اليهم ، وبما يصيبهم من مظالم على أيديهم ، وأن ذلك ليس في كتاب ولا سنة ، وأنهم أرادوا أن يعلموا أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا ..؟ ، وكتبوا أسماءهم في رقاع أعطوها لحاجبه ، وعادوا الى بلادهم وأشعلوا نار الثورة ضد حكم بني أمية وولاتهم [١٨] .

ولاشك أن تهاون الخلافة عن الضرب على أيدي هؤلاء العمال ، وغلبة العصبية القبلية على خلفاء بني أمية الأواخر ، فكان منهم من يميل الى القيسية ، ومن ثم كان يعين ولاته منهم ، ومنهم من كان يميل

(١٦) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٣م ، جـ ١ ص ٥١ ، ٥٢ .

(١٧) عن ثورات البربر ، انظر : ابن عبد الحكم : ص ٢١٧ — ٢٢٠ ، ابن عذاري : جـ ١ ص ٥٢ — ٥٥ ، عبدالمنعم ماجد : ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٢١٨ — ٢٢٦ ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٨٣ .

(١٨) الطبـــري : جـ ٤ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

الى اليمنية ، فكان ولاته منهم . وكان هؤلاء الولاة بدورهم يتعصبون لقبيلهم في ولاياتهم ويضطهدون القبيل الآخر ، مما أدى الى كثرة الفتن والاضطرابات ، فانتشرت الفوضى وعم البلاء ، وقام القتال بين الفريقين : عرب الجنوب وعرب الشمال في كل قطر اسلامي (١٩) ، ومن ثم تاقت نفوس البربر الى الهدوء والى حياة السلام ، وبدلا من أن ينعموا بذلك ، امتدت اليهم يد الاضطهاد والعسف على نحو مارأينا مما جعلهم يستجيبون لدعوة الأباضية والصفرية ويؤيدونهم كل التأييد .

وهكذا نرى أن هناك أسبابا أدت الى وصول المذهب الى مصر حيث انتشر بين بعض أهلها ثم تسرب منها الى بلاد المغرب حيث انتشر هناك انتشارا واسعا ، نتيجة **لعوامـل** مساعدة ثلاث ساعدت بجانب السببين اللذين ذكرنا هما على تواجد المذهب الأباضي في مصر وعلى انتشاره هذا الانتشار الواسع في بلاد المغرب . وأول هذه العوامل المساعدة يختص بمصر والمغرب ، وهو تكاثف وجود الأزد فيهما ، وثانيها يختص بالمغرب ، وهو تطرف الصفرية هناك ، وثالثها يختص بالمذهب نفسه ، وهو اعتداله وتسامح الدعاة له والقائمين عليه والتزامهم بقواعد الاسلام ونظمه وشرائعه .

جـ — تكاثـف وجـود الأزد في مصـر والمغـرب :

أما العامـل الأول ، فقد تكاثف الأزد في مصر تكاثفا ساعد على انتشار المذهب الأباضي فيها أو على الأقل أضفى الحماية على رجال هذا المذهب من علماء ودعاة . وقد سبقت الاشارة الى أن المذهب قام

(١٩) محمد عيسى الحريري : مقدمات البناء السياسي للمغرب الاسلامي (الدولة الرستمية) ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٥١ .

في البصرة على أيدي رجال من الأزد العمانيين ، كما أن عمان ومعظم سكانها من الأزد احتضنت هذا المذهب بعد أن انتشر فيها وانتقلت رياسته اليها بعد انتقال أبي سفيان محبوب بن الرحيل اليها قرب نهاية القرن الثاني للهجرة ، وكان أبو سفيان آخر إمام من أئمة الكتمان في البصرة [٢٠] . وكما وجد المذهب فرصة الانتشار على يد الأزد في البصرة وعمان ، فانه وجد كذلك فرصته في الانتشار في مصر على الأقل بتأييد وعطف من كان فيها من الأزد . والسؤال هنا هل كان للأزد في مصر مثل هذا الوجود المؤثر ..؟ واذا كان الأمر كذلك فما درجة هذا الوجود وما هي قوته ..؟ وما هو تأثيره ..؟ وما هي فاعليته ..؟ .

يعود الوجود الأزدي في مصر الى عصر الفتوحات نفسه . وكان هؤلاء الأزد من أزد عمان الذين كانوا قد قدموا مع عكرمة بن أبي جهل بعد انتهاء مهمته في عمان وفي حضرموت واليمن ، فأقبل ''فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو'' الى المدينة المنورة ''حيث استبدلوا جميعا أحصنتهم فسموا جيش الأبدال'' ، ودفع بهم أبو بكر الى بلاد الشام لإغاثة خالد بن سعيد الذي كان قد أرسله الى هذه البلاد وتعرض له البيزنطيون وهزموه [٢١] ، ثم تتابعت الجيوش بعد ذلك لفتح بلاد الشام وفيها كثير من الأزد وعرب الجنوب ، وانتهي هذا الفتح بعد معركة اليرموك بقليل ، واستقر الأمر للعرب فيها منذ عام ١٥هـ/ ٦٣٦م ، وبعد ذلك ببضع سنين قام عمرو ابن العاص بفتح مصر ، وعندما قدم اليها في عام ١٨هـ/ ٦٤٠م من فلسطين كان هؤلاء الأزد وعرب الجنوب بصفة عامة يشكلون أغلبية

---

(٢٠) عوض خليفات : ص ١٨ .

(٢١) الطبري : جـ ٣ ص ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ابن خلدون : جـ ٤ ص ٨٩٧ ـ ٩٠١ .

جنده [٢٢] . وكان بعض هؤلاء الأزد من صحابة رسول الله ﷺ . مثال ذلك جنادة بن أبي أمية الأزدي[٢٣] الذي فتح — فيما بعد — جزيرة قبرص ورودس وأرواد وكريت [٢٤] ، وابن حوالة الأزدي [٢٥] ، وأبو فاطمة الأزدي الذي روي عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ وشارك في غزوة ذات الصواري [٢٦] ، ومالك بن أبي سلسلة السلامي الأزدي الذي اشترك مع الزبير بن العوام في اقتحام حصن بابليون [٢٧] .

ومن قبيلة مهرة العمانية من صحابة رسول الله ﷺ من الذين اشتركوا في فتح مصر برح بن عسكل المهري [٢٨] ، ومن التابعين كثيرون مثل عبدالرحمن ابن شماسة المهري الذي روي عن عبدالرحمن ابن عديس وعن أبي ذر عن النبي [٢٩] ، وتميم بن فرع المهري الذي شهد فتح الاسكندرية في المرة الثانية عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م وروي عن عمرو بن العاص وعن عقبة بن عامر الجهني [٣٠] . ومن غير مهرة ، المفضل بن فضالة بن عبيد القتباني الذي شهد فتح مصر وتولى القضاء بها [٣١] . وشيبان بن أمية القتباني [٣٢] . وتذكر بعض المراجع أن

(٢٢) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٦م ، ص ١٠١ .
(٢٣) ابن عبدالحكم : ص ٨٠ ، ٣٠٦ ، السمعاني : جـ ٣ ص ١٨٠ ، ابن حجر : الاصابة ، جـ ٢ ص ٩٩ .
(٢٤) الطبري : جـ ٥ ص ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣٢٢ ، ابن الأثير : جـ ٣ ص ٣٩٣ ، ٤٩٧ ، جـ ٤ ص ٥ .
(٢٥) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ .
(٢٦) المصدر السابق ، ص ١١٠ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٢٧) المصدر السابق ، ص ٦٤ .
(٢٨) المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، ٣١٦ .
(٢٩) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
(٣٠) المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، السمعاني : جـ ٥ ص ٤١٧ .
(٣١) السمعاني : جـ ٤ ص ٤٤٩ — ٤٥٠ .
(٣٢) المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٤٥٠ .

سدس الجيش الذي فتح الأسكندرية كان من المهرة (٣٣) ، وكانت غافق ثلث الجيش الذي فتح مصر مع عمرو بن العاص (٣٤) .

ويلاحظ من قراءتنا للمصادر التاريخية أن معظم القبائل التي سكنت الصعيد بالذات واستقرت فيه بعد الفتح كانت من قبائل عرب الجنوب بصفة عامة ، وكذلك الحال في معظم أنحاء الوجه البحري (٣٥) ، حتى اضطر معاوية بن أبي سفيان أن ينقل قبائل قيسية الى مصر في عام ٤٣هـ/ ٦٦٣م (٣٦) . ورغم ذلك فقد كان عرب الشمال قلة ولم يكثر عددهم الا أثناء ولاية عبيد الله بن الحبحاب في عهد خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥هـ/ ٧٢٣ — ٧٤٢م) حينما لاحظ هذا الوالي قلة القيسية في مصر فطلب من الخليفة السماح بهجرة بعضهم من جزيرة العرب حتى يكثروا في مصر ويصير هناك توازن بينهم وبين عرب الجنوب ، فسمح هشام بهجرة بعض قبائل قيس الى مصر فأتوا اليها منذ عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م (٣٧) ، مما يدل على أن عرب الجنوب كانت لهم الغلبة في مصر حتى ذلك الحين ، وعلى أنهم كانوا هم الفاتحين لمصر .

وبمجرد أن تم الفتح استقر هؤلاء الفاتحون في مصر واختطوا الخطط في مدينة الفسطاط وفي مدينة الجيزة وفي غيرها من المناطق الأخرى في أنحاء مصر المختلفة . فاختطت الأزد وقبائلها المختلفة مثل خيثم وبنو بحر وغنث وبنو شبابة ودهنة والحجر في مدينة الفسطاط ،

---

(٣٣) محمد أحمد الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والاسلام في افريقيا الشرقية ، دار الفتح ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٣م ، ص ٢٨ .

(٣٤) ابن عبد الحكم : ص ١٢١ .

(٣٥) المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٣٦) حسن محمود : ص ١٠١ .

(٣٧) ابن عبد الحكم : ص ١٤٣ ، حسن محمود : ص ١٠١ .

كما اختطت طائفة من الحجر من الأزد في مدينة الجيزة ، منهم علقمة ابن جنادة الحجري الأزدي [٣٨] . واختطت بقية القبائل في الفسطاط والجيزة مثل تجيب ومهرة والصدف ومراد وخولان ورعين ومذحج وسبأ وحمير والكلاع والمعافر والأشعريين والسكاسك ويافع وهمدان وغيرها من قبائل عرب الجنوب [٣٩] .

ولم يقتصر تواجد الأزد في مصر على أزد الفتح ، بل إن بعضهم جاء اليها مهاجرا بعد ذلك ، كما أن بعضهم جاء اليها مبعدا من بلاده التي كان يسكنها . مثال ذلك ماحدث من هجرة نفر كبير من أزد البصرة ، وهم عمانيون بلا شك ، الى مصر بعد أن أبعدهم اليها والى البصرة زياد بن أبيه (ت ٥٣هـ/ ٦٧٣م) . وكان هذا الوالي قد اتهمهم بممالأة أعدائه ومساعدتهم ضده ، فأقبلوا الى مصر ونزلوا في الفسطاط بموضع يقال له الظاهر ، وهو حي لازال يعرف في القاهرة بهذا الإسم حتى الآن ، وإن كانت العامة تقلب حرف الظاء إلى ضاد فتقول الضاهر بدلا من الظاهر . وقد ارتاح هؤلاء الأزد وطابوا نفسا بسكناهم في مصر لنزولهم بين قومهم من عرب الجنوب ، وقد عبر عمران بن حطان عن هذا المعنى في شعره قائلا [٤٠] .

فساروا بحمد الله حتى أحلهم ... ببليون [٤١] منها الموجفات السوابق
فأمسوا بحمد الله قد حال دونهم ... مهامه بيد والجبال الشواهق
وحلُّوا ، ولم يرجوا سوى الله وحده ... بدار لهم فيها غنى ومرافق
فأمسوا بدار لايُفزَّع أهلها ... وجيرانهم فيها تجيب وغافق

(٣٨) ابن عبد الحكم : ص ١١٦ — ١٢١ .
(٣٩) المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ .
(٤٠) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ص ٣١١ — ٣١٢ .
(٤١) ببليون : المقصود به حصن بابليون المعروف الذي فتحه عمرو بن العاص .

وقد شارك هؤلاء الأزد الذين اشتركوا في فتح مصر واستقروا فيها أو قدموا اليها بعد ذلك ، في الأحداث السياسية التي مرت بها مصر في عهد الخلافة الراشدة (٤٢) ، وتولى بعضهم أسمى المناصب فيها في عهد بني أمية وفي عهد بني العباس . وقد أورد ابن عبد الحكم الذي ترك لنا أهم وثيقة في فتح مصر ، أن معاوية بن أبي سفيان كتب الى مسلمة بن مخلد واليه على مصر يقول له : ''لاتول عملك الا أزدي أو حضرمي فإنهم أهل الأمانة'' (٤٣) ، مما أدى الى ازدياد نفوذ الأزد في مصر .

وقد أتي يزيد بن معاوية فجعل والي مصر من الأزد ، فكان واليها منذ رمضان من عام ٦٢هـ/ ٦٨٢م سعيد بن يزيد بن علقمة بن عوف الأزدي ، وظل هذا الرجل واليا عليها بعد وفاة يزيد حوالي عامين ، حتى أرسل عبد الله بن الزبير عامله عليها في شعبان من عام ٦٤هـ/ ٦٨٤م (٤٤) ، كما تولى عياض بن عبيد الله الأزدي السلامي منصب القضاء في مصر عام ٩٣هـ/ ٧١١م ، وظل في هذا المنصب حتى صرف عنه في عام ٩٨هـ/ ٧١٦م ، ثم رد اليه مرة أخرى وظل به حتى عام ١٠٠هـ/ ٧١٨م (٤٥) .

ومن المعروف أن هذه الفترة التي شهدت هذا التواجد وهذا النفوذ الأزدي في مصر كانت هي فترة بداية انتشار المذهب الأباضي خارج البصرة . ولاشك أن الدعاة عندما أقبلوا من البصرة الى مصر وجدوا دعما ومساندة من هؤلاء الأزد خاصة وأن الفترة كانت فترة

---

(٤٢) الكندي : ولاة مصر ، تحقيق د . حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣٩ .
(٤٣) ابن عبد الحكم : ص ١٢٥ .
(٤٤) الكندي : ص ٦٣ ، ٦٤ .
(٤٥) ابن عبد الحكم : ص ٢٣٩ .

سلام بين الخلافة الأموية في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩هـ/ ٧١٤ — ٧١٧م) وعمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١هـ/ ٧١٧ — ٧١٩م) وبين الأباضية والأزد بصفة عامة . إذ أن سليمان كما قلنا رفع من شأن الأزد والمهالبة وولاهم العراق وخراسان (٤٦) ، كما أن عمر بن عبد العزيز حاور الأباضية وسالمهم ولم يتعرض لهم بسوء ، جريا على سياسته المعروفة بالرفق بالمسلمين وجمع كلمتهم ولم شملهم والعمل فيهم بالكتاب والسنة (٤٧) . ولذلك انتشر المذهب في مصر دون أن يلقى معارضة كبيرة ، خاصة وأن الأمويين انشغلوا بالثورات والفتن التي قامت في أنحاء الدولة في أخريات عهدهم حتى إذا جاء عصر الخلافة العباسية في عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ، علا نفوذ الأزد في مصر علوا كبيرا .

ذلك أنهم ساندوا قيام هذه الخلافة منذ البداية بسبب ما لاقوه على يد بني أمية بعد انتهاء عصر عمر بن عبد العزيز من اضطهاد وعسف وقتل لزعمائهم وتنكيل بقياداتهم ، فاشتركوا في الجيش الزاحف على بلاد العراق وانضموا لأبي سلمة الخلال داعي العباسيين بالكوفة وانتزعوها من عامل بني أمية (٤٨) . أما أزد مصر فانهم سارعوا بإعطاء البيعة لأول خلفاء بني العباس ، فذهب مندوبهم وهو محمد بن مشهور الأزدي ضمن الوفد الذي خرج من مصر الى بلاد العراق لإعطاء بيعة أهل مصر لأبي العباس عبد الله السفاح (٤٩) . ولذلك كافأ العباسيون الأزد بأن ولوهم أكبر الولايات وأسمى الوظائف . وفيما يختص بأزد مصر فقد عينوا أحدهم وهو أبو عون

---

(٤٦) انظـــــــر ، ص ٣٤ .

(٤٧) ابن مداد : ص ٦ — ١٩ ، مخطوط كشف الغمة ، ص ٧١٨ ، ٧١٩ .

(٤٨) العوتبـــي : ص ١٥٦ .

(٤٩) الكنـــدي : ص ١١٩ .

عبد الملك بن يزيد الهنائي من أزد عمان أو من مواليهم ، واليا على مصر في شعبان من عام ١٣٣هـ/ فبراير ٧٥١م ، وظل هذا الأزدي الهنائي العماني في ولايتها حتى جمادي الآخرة من عام ١٣٦هـ/ ديسمبر ٧٥٣م (٥٠) ، ثم تولاها بعد ذلك مرة ثانية في رمضان من عام ١٣٧هـ/ مارس ٧٥٥م ، واستمر في حكمها حتى ربيع الأول من عام ١٤١هـ/ أغسطس ٧٥٨م (٥١) .

واستمر العباسيون يواصلون هذه السياسة ، فنجد أبا جعفر المنصور يولي يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة حكم مصر في منتصف ذي القعدة من عام ١٤٤هـ/ ٧٦١م (٥٢) ، فاتخذ هذا الوالي الأزدي العماني معظم موظفيه وقواده من الأزد ، مثل أبي الأشهل سعيد بن الحكم الأزدي ، والعلاء بن رزين السليمي الأزدي ، وكانا قائدين ساعداه في إخماد دعوة الحسنيين في مصر ، كما ولي عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي مدينة سخا . ولما ثار القبط في هذه المدينة أرسل لهم يزيد بن حاتم ، قائده نصر بن حبيب المهلبي العماني للقضاء على هذه الثورة ، فقضي عليها في عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م (٥٣) .

وفي عهد هارون الرشيد تولي حكم مصر محمد بن زهير الأزدي في شعبان من عام ١٧٣هـ/ ٨٧٩م ، وكذلك داود بن يزيد المهلبي في المحرم من عام ١٧٤هـ حتى المحرم من عام ١٧٥هـ/ ٧٩١م (٥٤) ، وكان على الشرطة في مصر عام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م خالد بن يزيد بن

(٥٠) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .
(٥١) المصدر السابق ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .
(٥٢) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .
(٥٤) المصدر السابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

المهلب (٥٥) ، كما كان على القضاء فيها في عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م محمد ابن مسروق الكندي ، وظل هذا القاضي في هذا المنصب حتى عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م (٥٦) ، كما كان سليمان بن الصمة المهلبي على الشرطة في مصر في عهد واليها اسماعيل بن صالح العباسي الذي تولى حكمها في رمضان من عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م (٥٧) . ولما تولاها حاتم ابن هرثمة بن أعين في عهد الأمين كان عبد العزيز بن عبد الجبار الأزدي أحد قواده المشهورين (٥٨) .

ولما ولي المأمون علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق العلوي ولاية عهده ، غضب ابراهيم بن المهدي وكتب إلى وجود الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولي عهده العلوي ، حتى لاتخرج الخلافة من آل العباس الى آل علي بن أبي طالب . وقد استجاب وجوه الناس بالفسطاط لطلب ابراهيم بن المهدي وخاصة آل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، وكانوا وجوه الأزد في مصر ، فبايعهم الناس على الثورة على واليها السري بن الحكم ، وقام بهذا الأمر سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي بالصعيد ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الجبار الأزدي الذي تولى حكم مصر بعد خلع واليها المذكور ، وذلك في بداية شهر ربيع الأول من عام ٢٠١هـ/ ٨١٦م (٥٩) .

ورغم أن السري بن الحكم تمكن من استعادة سلطانه في مصر ، الا أن المأمون لم يستنكف أن يستعين بالأزد والمهالبة العمانيين في حكم مصر وفي القضاء على مانشب فيها من فتن وثورات . فقد أرسل أبا

(٥٥) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
(٥٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٤٥ .
(٥٧) الكندي : ص ١٦٤ .
(٥٨) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
(٥٩) المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

خالد المهلبي إلى مصر للقضاء على ثورة أهل الحوف بشرقي مصر ، واستعان هذا القائد باليمانية الموجودين فيها ، فانتصر على الثوار وقضي على الثورة (٦٠) . وعندما قدم المأمون الى مصر في المحرم من عام ٢١٧هـ/ ٨٣٢م ، استعان بأحمد بن بسطام الأزدي في ضبط الأمن وإجراء بعض الاصلاحات ، فولاه على شرط الفسطاط للقيام بهذا العمل (٦١) .

وقد ظل استخدام الأزد في الإدارة والسياسة الى عصر متأخر ، حتى أننا نرى صلاح الدين الأيوبي يستخدم أحدهم وهو عبد الرحمن ابن محمد بن منقذ الأزدي سفيرا له الى المنصور يوسف بن يعقوب سلطان الموحدين في بلاد المغرب يبشره بفتح بيت المقدس في منتصف رجب من عام ٥٨٣هـ/ ٢٠ سبتمبر ١١٨٧م . وقد وصل هذا الرسول الى فاس واجتمع بسلطان المغرب الموحدي في المحرم من عام ٥٨٨هـ/ ٢٣ يناير ١١٩٢م ، ثم عاد الى مصر بعد انتهاء مهمته (٦٢) .

وفي عهد الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ارتقى أزدي آخر منصب الوزارة في عهد هذا الملك ، وهذا الأزدي هو على بن ظافر بن الحسين الأزدي الخزرجي الذي خلف أباه في التدريس بالمدرسة القمحية المالكية بالقاهرة ، ثم ارتقى منصب الوزارة لهذا الملك الأيوبي واشتغل في نفس الوقت بالبحث والعلم ، فترك لنا ثروة كبيرة في علم النحو وفي التاريخ ، وله الكثير من الكتب في هذين

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٦١) المصدر السابق ، ٢١٦ .

(٦٢) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق د . سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ، سنة ١٩٨٦م ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

المجاليـــــن (٦٣) .

وهكذا نرى وجودا ونفوذا سياسيا أزديا (٦٤) ضخما في مصر في

---

(٦٣) ياقوت : معجم الأدباء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٠م ، جـ ١٣ مجلد ٧ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧ ، بروكلمان : جـ ٦ ص ٢٦ .

(٦٤) لم يقتصر التواجد والنفوذ الأزدي في مصر على الجانب السياسي ، بل كان للأزد أيضا وجود ونشاط كبير في معظم فروع العلم والثقافة . ففي مجال الحديث وعلومه والفقه ومذاهبه نبغ في مصر من الأزد ومهرة عدد كبير ، منهم يزيد بن أبي حبيب المعروف باسم سويد الأزدي أبي رجاء المصري الذي كان فقيه مصر وشيخها ومفتيها ، وبها ولد في عام ٥٢هـ ، وكان أحد ثلاثة فوض اليهم عمر بن عبد العزيز أمر الفتيا في هذه الولاية وتوفي في عام ١٢٨هـ . (انظر : سيدة الكاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ٢ ، ٣) . وظهر أيضا أبو عبد الله بن علي بن رباح بن قصير الأزدي الذي توفي في عام ١١٤هـ (انظر : السمعاني : جـ ٤ ص ٥٠١) ، وتميم بن فرع المهري الذي روي عن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر الجهني (انظر : السمعاني : جـ ٥ ص ٤١٧) ، وأبو الحجاج رشد بن سعد المهري الأزدي بالولاء المصري الجيزي صاحب الامام الشافعي ، وتوفي في عام ٢٥٦هـ (ابن خلكان : جـ ٢ ص ٢٩٢) ، وأبو جعفر أحمد بن محمد سلامة بن عبد الملك الأزدي الفقيه الحنفي المتوفي عام ٣٢١هـ (ابن خلكان : جـ ١ ص ٧١) ، وأبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي المتوفي عام ٤٠٩هـ ، وكان من أشهر المحدثين في زمانه (بروكلمان : جـ ٣ ص ٢٣٠) ، والشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري ، حافظ مصر كما يقول ابن خلكان (جـ ١ ص ١٦٤) . ولهؤلاء الفقهاء والمحدثين كتب ومؤلفات عديدة تركنا ذكرها خوف الاطالة .

وفي مجال الأدب واللغة ، نبغ من أهل مصر من الأزد عدد كبير ، منهم علي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل المنسوب الى هناءة بن مالك بن فهم العماني ، له كتب كثيرة كتب بعضها في عام ٣٠٧هـ (ابن النديم : الفهرست ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١٣ مجلد ٧ ص ١٢ ، ١٣) ، وأبو العباس أحمد بن محمد المهلبي المعروف بالبرجاني (ابن النديم : ص ١٦٧ ، ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ٤ مجلد ٢ ص ١٨٩ ، ١٩٠) ، محمد ابن أحمد بن علي بن ابراهيم بن يزيد بن حاتم المهلبي المتوفي عام ٣٤٩هـ (ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١٧ مجلد ٩ ص ١٤٣) ، وعلي بن أحمد المهلبي المتوفي عام ٦٢٤هـ (القفطي : أنباء الرواة ، جـ ٢ ص ٢٢٢) ، وأبو المحاسن مهلب بن حسن المهلبي البهنسي الذي عاش في القرنين السادس والسابع للهجرة (بروكلمان : جـ ٥ ص ٣٠٤) ، وعلي بن ظافر بن الحسين الأزدي الخزرجي الأديب النحوي المؤرخ الذي عاش في عصر الملك الأشرف الأيوبي (ياقوت معجم الأدباء ، جـ ١٣ مجلد ٧ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧ ، بروكلمان : جـ ٦ ص ٢٦) .

وفي التاريخ أيضا نبغ منهم أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الذي روي عنه الكندي صاحب كتاب ولاة مصر وقضاتها كثيرا من أخباره (الكندي : ص ١٤٢) .

وفي مجال الرحلات الجغرافية نبغ منهم الرحالة الأزدي الكبير الحسن بن محمد المهلبي الذي عاش في القرن الرابع للهجرة في عصر الخليفة العزيز بالله الفاطمي الذي كلفه برحلة طويلة قام بها في بلاد السودان تتبع فيها منابع النيل واكتشف كثيرا من أنحاء هذه البلاد وألف في عام ٣٧٥هـ كتابا في الطرق والمسالك ذكر فيه ماشاهده وان كان هذا الكتاب مفقودا لسوء الحظ . (عطية القوصي : محاولة العرب والمسلمين كشف منابع النيل في القرون الأولى للاسلام ، بحث في كتاب العرب وأفريقيا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٧م ، ص ٥١ . وقد أورد د . أيمن فؤاد في بحثه في نفس هذا الكتاب (ص ٣٠) اسم هذا الرحالة على أنه الحسن بن أحمد المهلبي) . ويلاحظ من أسماء هؤلاء العلماء الذين أوردنا ذكرهم في مجالات العلم المختلفة ، ومن أسماء السياسيين ورجال الحكم والادارة الذين ذكرناهم في المتن ، أنهم من عمان أو ينحدرون من أصل عماني . يفهم ذلك من أسماء القبائل التي كانوا يحرصون على تذييل أسمائهم بها ، مثال ذلك : فلان الهنائي ، والمهلبي ، والعتكي والقشيبي ، والمهري ، والمنذري ، وهي قبائل عمانية كانت ولازالت تعيش في عمان حتى الآن ، مما يبين وثيق الصلة بين عمان ومصر منذ هذه الأزمان الغابرة .

عصر دولة بني أمية ودولة بني العباس ، وكان هذا الوجود وهذا النفوذ واضحا وقويا وكما رأينا في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، وهي الفترة التي ازداد فيها انتشار المذهب الأباضي في مصر ، ونجح في غيرها في إقامة دول أباضية في المشرق والمغرب . ولاشك أن هذا الانتشار وهذا النجاح كان مسنودا بهؤلاء الأزد الذين حكموا مصر وتولوا أسمى الوظائف فيها ، ومسنودا أيضا بكثرة الأزد وعرب الجنوب الذين استوطنوا مصر وصاروا جل من فيها من العرب .

ومما لاشك فيه أن دعاة المذهب الأباضي في مصر وجدوا العون والمساعدة بشكل غير علني من هؤلاء الأزد ذوي الأصل العماني أو غير العماني ، لأن مصر كانت ولاية تتبع خلافة سنية ، ومع ذلك فقد وجد هؤلاء الدعاة الأمن والحماية واطمأنوا على أنفسهم ، ولذلك لم نسمع عن اضطهاد وقع على الأباضية في مصر من قبل الولاة أو الحكام الذين تولوا حكمها في عهد بني أمية أو عهد بني العباس ، بل إن علماء الأباضية كان لهم كيانهم الثابت وقدرهم المهيب ووضعهم الرفيع حتى صاروا علماء مفتين ، وحتى شملهم الحكام — وكانوا على غير مذهب الأباضية — برعايتهم وحتى وقت متأخر . مثال ذلك مافعله صلاح الدين الأيوبي عندما خصص للطلاب الأباضية جامع ابن طولون يدرسون فيه ويقيمون ، كما جعل لهم الاقطاعات والرواتب حتى يتفرغوا لعلمهم ودراستهم (٦٥) .

وإذا كان وجود الأزد في مصر عاملا ساعد على انتشار المذهب الأباضي بين كثير من أهلها ، فان وجودهم في بلاد المغرب أدى نفس الوظيفة وإن لم يشر الى ذلك أحد من المؤرخين . فكما كان عرب

---

(٦٥) محمد يوسف أطفيش : رسالة إن لم تعرف الأباضية يا عقبى يا جزائري ، ص ٣ .

الجنوب أغلبية العرب في مصر ، كانوا كذلك في بلاد المغرب بأجزائه الثلاث : الأدنى والأوسط والأقصى . ذلك أن الحملات التي توجهت لفتح هذه البلاد جاءت من عرب مصر ، فقد كانت مصر هي القاعدة الحربية التي انطلقت منها هذه الحملات (٦٦) ، ولذلك كان معظم جند هذه الحملات من عرب الجنوب المقيمين في مصر . ويشير ابن عبد الحكم الى هذه الحقيقة جزئيا فيقول إن حملة عبد الله بن سعد ابن أبي سرح على افريقية في عام ٢٨هـ/ ٦٤٧م ، كان فيها من مهرة وحدها ستمائة رجل ، ومن الأزد ألف وأربعمائة رجل ، عدا من كان فيها من بقية القبائل الأخرى اليمانية التي شكلت معظم هذا الجيش (٦٧) .

وفي هذا الصدد يشير اليعقوبي الى أن برقة لها جبلان يوجد في الشرقي منهما ''قوم من العرب من الأزد ولخم وجذام وصدف وغيرهم من أهل اليمن'' ، ويوجد في الغربي ''قوم من غسان وقوم من جذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب'' (٦٨) . وعندما يتحدث عن المدن التي تقع في جنوبي ليبيا مثل ودان يقول إن أهلها قوم مسلمون يدعون أنهم عرب من اليمن وأكثرهم من مزاتة (٦٩) ، مما يشير إلى أن عرب ليبيا إما أنهم جاءوا اليها مع حملات الفتح ، وإما أنهم هاجروا إليها بعد ذلك .

وهكذا كان الحال في بقية أنحاء المغرب ، وهكذا غلب الأزد وعرب الجنوب بصفة عامة على هذه البلاد وصاروا جل من فيها من العرب . ولاشك أن هذا الوجود الأزدي واليمني أعطى دعما للأباضية

(٦٦) سيدة الكاشف : ص ٨٤ — ٨٥ .
(٦٧) ابن عبد الحكم : ص (١٨٣ ، ١٨٤ .
(٦٨) صفة المغرب المأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي ، ليدن ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٣ ، ٤ .
(٦٩) المصدر السابق ، ص ٥ .

هناك ، خاصة وأننا اذا تصفحنا كتب الأباضية المغاربة نجد أن أئمتهم الأوائل كانوا من عرب الجنوب . والمثال على ذلك هو عبد الله بن مسعود التجيبي ، والحارث بن تليد الحضرمي وقاضيه أو وزيره عبد الجبار بن قيس المرادي ، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي أقام أول إمامة ظهور في بلاد المغرب في عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م [٧٠] .

واذا كان هذا الوجود الأزدي واليمني عاملا مساعدا بالنسبة لانتشار المذهب الأباضي في بلاد المغرب ، فان هناك عاملا آخر كان له أثره الكبير في انتشار هذا المذهب بخطى سريعة ، هذا العامل هو تطرف الخوارج الصفرية .

د — تطرف الصفرية في بلاد المغرب :

ومعروف أن المذهب الصفري هو أحد مذاهب الخوارج الأربع التي أشرنا اليها في بداية هذا الحديث ، ولما كان هؤلاء الخوارج قد اتخذوا من الخروج بالسيف على الدولة وسيلة لتحقيق أهدافهم ، فإن الصفرية في بلاد المغرب اتبعوا هذا الأسلوب في هذه المنطقة النائية ، ولذلك رفعوا لواء الثورة ضد بني أمية منذ عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م ، واستطاعوا أن يدحروا القوات الأموية في موقعتين شهيرتين هما موقعة الأشراف وبقدورة ، وتمكنت القوات الأموية بعد ذلك من هزيمتهم في موقعتي القرن والأصنام في عامي ١٢٤ ، ١٢٥هـ . ومايهمنا هنا هو ما أظهره هؤلاء الصفرية من تطرف شديد في معاملتهم لخصومهم

(٧٠) أبو زكريا : سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا ، تحقيق اسماعيل العربي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٢م ، ص ١٦ ، ٥٧ — ٩٩ ، محمد عيسى الحريري : ص ٦٤ .

سواء كانوا من العرب أم من البربر . فقد كانوا يستحلون سبي النساء وسبي أهل الذمة ، ويستحلون الأموال ويسفكون الدماء (٧١) ، وكانوا في حركتهم في بلاد المغرب أقسى على الناس من حركة الأزارقة في بلاد المشرق (٧٢) . وقد وصل تطرف البربر الصفرية الى غايته عندما داهموا القيروان في عام ١٣٩هـ/ ٧٥٦م واحتلوها وفعلوا بأهلها وبمساجدها ماتقشعر له الأبدان على يد قبيلة ورفجومة التي كان أهلها من غلاة الصفرية (٧٣) .

وقد أدى هذا التطرف الى أمرين : **الأمر الأول** هو كراهية البربر للصفرية حتى أنهم قاموا ضدهم في كثير من المواقف ، وأقبلوا على الأباضية ومالوا إليهم وخاصة بعد أن رأوا أن الأباضية يقومون بقتال ورفجومة ويغيثون أهل القيروان وينقذونهم من ظلم وفجور هذه القبيلة ، على يد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي أسرع الى القيروان وقاتل ورفجومة في عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م ، وهزمها وأخرجها من هذه المدينة ، بعد أن استمرت متغلبة عليها مدة عام وشهرين ، وعاد الى طرابلس بعد أن ولي على القيروان عبد الرحمن بن رستم الذي أسس فيما بعد الدولة الرستمية الأباضية في عام ١٦٠هـ (٧٤) . ومن ثم انتقلت قيادة البربر من الصفرية الى الأباضية بعد أن ضاق البربر بعنف الصفرية وتطرفهم المقيت (٧٥) ، فضعف أمر الصفرية منذ ذلك الحين وذاب أغلبهم في الأباضية وتجمعت

(٧١) ابن عبد الحكم : ص ٢١٩ — ٢٢٣ ، ابن عذاري : ص ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ .

(٧٢) عبد المنعم ماجد : ص ٢٨٨ .

(٧٣) أبو زكريا : ص ٦٠ ، ابن عذاري : جـ ١ ص ٧٠ .

(٧٤) ابن عذاري : جـ ١ ص ٧١ ، أبو زكريا : ص ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٢٦ — ٢٩ ، الشماخي : جـ ١ ص ١١٥ — ١١٨ ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الاسلامي ، ص ٢٥٣ — ٢٥٥ ، ٤٥٠ — ٤٥١ .

(٧٥) محمد عيسى الحريري : ص ٦٤ .

البقية الباقية منهم حول إمامة سجلماسة الصغيرة في جنوب المغرب الأقصى (٧٦) .

والأمر الثاني هو انتشار المذهب الأباضي بين كثير من البربر الذين لم يكونوا قد اعتنقوه ، بعد أن لمسوا بأنفسهم مدى السماحة والاعتدال الذي يتصف به الأباضية . وكان هذا الاعتدال وهذا التسامح من العوامل المساعدة التي رفعت من شأن هذا المذهب عند المعاصرين ومكنت له في قلوبهم فاعتنقوه وازداد انتشاره بينهم حتى غلب على معظمهم ، ونتج عن ذلك قيام دولة أباضية كبيرة احتلت مكانا بارزا في التاريخ الاسلامي .

هـ ـــ اعتدال المذهب الأباضي وتسامح علمائه :

أُتهم الأباضية عند كثير من كتاب الفرق والمذاهب خطأ بالغلو والتطرف ، وكان هذا الاتهام الذي جاء عمدا أو عن جهل ، لأهداف لاتخفى على الفطن واللبيب ودارس التاريخ الذي يقرأ كتب الأباضية ويلمس بنفسه ماعندهم من اعتدال ، ولا يكتفي بما كتبه القدامى عنهم ، لأن هؤلاء القدامى إنما كانوا يعبرون ـــ في غالب الأحيان ـــ عن الموقف الرسمي للدولة سواء كانت أموية أم عباسية من الفرق المناهضة لها ، ولايخفى أن الأباضية رغم اعتدالهم من الناحية المذهبية والفقهية ، إلا أنهم كانوا في عداء سياسي مع دولة بني أمية ودولة بني العباس ، نظرا لأنهم كانوا يقولون بأن الامامة أو الخلافة حق لأي مسلم صالح ، فلا تكون قاصرة على قريش ولا على بطونها المختلفة من الأمويين أو العباسيين أو العلويين . ولما كان هذا الموقف السياسي

(٧٦) صالح باجية : الأباضية بالجريد ، دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٦م ، ص ٢٩ .

للأباضية يلتقي من الناحية النظرية ومن الناحية الفكرية البحتة مع الخوارج الأزارقة والصفرية والنجدات ، فقد عمم كتاب الفرق القول ووضعوا الأباضية ضمن هؤلاء الخوارج ، واعتبروهم فرقة رابعة من فرقهم ، ووصفوهم خطأ بالغلو والتطرف . والأباضية أنفسهم وكما هو موجود في كتبهم القديمة والحديثة يتبرأون من هؤلاء الخوارج كل البراءة بل ويقاتلونهم ــ كما سنرى ــ بأشد قتال .

ولذلك وجدنا أنفسنا وقد هيأ الله عز وجل لنا فرصة الاطلاع على كتب الأباضية ، وفرصة المعايشة لهذا النفر من المسلمين طوال أربع سنوات في سلطنة عمان ، نقول وجدنا أنفسنا مطالبين بأن نتتبع هذا المذهب في هذه الصفة ، صفة الاعتدال أو الغلو ، فوجدنا أن القوم على غير ماقيل عنهم ، ووجدنا حرصهم على تنفيذ ما أمر به الكتاب والسنة حرصا شديدا حتى انهم يتشددون على أنفسهم في بعض الأحيان ، ووجدنا سيرتهم في كتبهم تدل على أنهم كانوا ومنذ أن ظهروا لايميلون الى الغلو والتطرف على أي نحو من الأنحاء . ونحن هنا لن نكتفي بماظهر عندهم من اعتدال في بلاد المغرب أو غيرها من البلدان التي انتشر فيها المذهب ، وانما كان علينا حتى تتم الفائدة ويتضح الأمر أن نقوم باستقصاء لهذه الصفة ــ أقصد صفة الاعتدال ــ منذ أن ظهر المذهب على أرض البصرة لنرى ان كانت هذه الصفة صفة أصيلة لازمت رجاله ومشايخه ، أم أنها صفة طارئة ظهرت عند القوم لأسباب سياسية أو لغيرها من الأسباب .

وقد سلفت الاشارة الى أن المذهب الأباضي لم يكن يعرف بهذا الاسم الا منذ الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة حينما غلب على أصحابه هذا الاسلام واشتهروا به ، وانما كان أصحابه قبل ذلك يعرفون باسم جماعة القعدة ، وهو اسم له دلالته السياسية ، وقد أطلقه عليهم

جماعات الخوارج من الأزارقة وغيرهم ، احتقارا لهم ورفضا لمبدئهم ذاك في القعود . فقد وضع هؤلاء القعدة لأنفسهم مبدأ المسالمة وعدم اشهار السيف في وجه اخوانهم من المسلمين ، وأجازوا لأنفسهم البقاء تحت حكم الجبابرة ، وقالوا بعدم جواز قتل أطفال مخالفيهم ولا قتل نسائهم ولا استحلال أموالهم (٧٧) ، وأخذوا يعملون على نشر مبادئهم السياسية في سرية وكتمان ، ودخلوا في مرحلة كتمان طويلة امتدت منذ أن تأسس المذهب على يد جابر بن زيد في أواخر القرن الأول للهجرة ، حتى هاجر معظم علماء المذهب وآخر أئمة الكتمان أبو سفيان محبوب بن الرحيل الى عمان في أواخر القرن الثاني للهجرة .

وكان الأمر على هذا النحو من المسالمة والسرية عندما انتشر المذهب في مصر وعمان وبلاد المغرب . ففي مصر كان الأباضية في مرحلة كتمان ولم تظهر لهم دولة ، وفي عمان لم تظهر لهم دولة الا في عام ١٣٤هـ/ ٧٥١م ، ولم تستمر هذه الدولة الا عامين اثنين ، ثم ظهرت مرة أخرى بعد ذلك في عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م واستمرت حوالي قرن من الزمان ثم قضي عليها ، ثم ظهرت بعد ذلك في فترات متقطعة . وفي بلاد المغرب كان الأباضية في حالة كتمان حتى عام ١٤٠هـ/ ٧٧٦م عندما ظهرت لهم دولة في طرابلس والقيروان لم تستمر أكثر من أربع سنوات ، ثم ظهرت لهم دولة أخرى في تاهرت ببلاد الجزائر في عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م لم تستمر أكثر من مائة وست وثلاثين عاما ، بعدها ضعف المذهب في مصر والمغرب وانتهى أمره نهائيا في مصر ، بينما ظلت له بقية في بعض بلدان المغرب ، وبقيت دولته في عمان حتى يومنا هذا .

---

(٧٧) أبو الحسن البسيوي : الجامع ، جـ ١ ص ٢٦٢ — ٢٦٥ ، أبو سعيد الكدمي : الجامع المفيد ، جـ ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٣ ص ٢٧٦ ، نور الدين السالمي : تحفة الأعيان ، جـ ١ ص ٨١ — ٨٢ .

فطبيعة نشأة المذهب وفترات ظهوره لاتدل على تأصل النزعة الحربية أو العدوانية في نفوس معتنقيه ، فقد ولدت حركتهم ولادة سلمية ، ونشأ مذهبهم على يد مؤسسة جابر بن زيد الذي سبق أن تحدثنا عنه وبينا كيف أنه لم يكن ممن شهدوا حرب الجمل أو صفين أو النهروان ، ولم يكن ضمن هؤلاء الذين عرفوا بالخوارج ، ولم يكن ضمن هؤلاء الذين رفعوا السيف في وجه الدولة أو حاربوها من الخوارج وغيرهم ، بل كان يأتلف معها ، وكما سبق القول فقد كان يأخذ عطاءه من الحجاج بن يوسف الثقفي ، كما كان يأخذ جائزته ويحضر مجلسه ويصلي خلفه (٧٨) .

ولذلك كان من مباديء الأباضية بعد جابر جواز الصلاة خلف أهل القبلة كلهم ، وخلف الجبابرة في الأمصار التي تجب فيها صلاة الجمعة (٧٩) اقتداء بما فعله جابر . ولذلك كانوا يجيزون الاقامة في أي بلد غلب عليه الجبابرة ، ويجيزون الغزو معهم أيضا (٨٠) ، كما كانوا يأخذون بأحكامهم ولايرون في ذلك بأسا طالما أن أحكامهم كانت موافقة للحق والعدل (٨١) ، وكانوا يستحسنون أفعالهم اذا جاءت على هذه الصفة . من ذلك ماحدث عندما عرض على عبد الملك بن مروان

(٧٨) أبو سعيد الكدمي : الجامع المفيد من أحكام أبي سعيد ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٦م ، جـ ٥ ص ٢٢ ، أبو الحسن البسيوي : جامعه ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٤م ، جـ ٤ ص ١٩٧ ، أبو بكر الكندي : المصنف ، جـ ٥ ص ٢٨٥ ، أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٦ ص ١٨٢ ، ١٨٤ ، جـ ١٣ ص ١٦٦ ، الرقيشي : مصباح الظلام مخطوط رقم ٣٦٨ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٧ .

(٧٩) أبو غانم الخراساني : المدونة الكبرى ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٤م ، جـ ١ ص ١٩٥ — ١٩٦ ، أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ١٣ ص ١٦٦ ، ١٧٠ ، جـ ١٥ ص ٧١ ، أبو الحسن البسيوي : جامعه ، جـ ٤ ص ١٩٧ ، أبو بكر الكندي : المصنف ، جـ ٥ ص ٢٨٥ ، ٣٩٨ ، الجيطالي : مناظر الخيرات ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٣م ، جـ ١ ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، مخطوط مصباح الظلام للرقيشي ، بزقم ٣٦٨ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٨٠) ابن بركة : كتاب الجامع ، تحقيق عيسى يحيى الباروني ، مسقط ، وزارة التراث ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٤م ، جـ ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٤ .

(٨١) أبو الحسن البسيوي : جامعه ، جـ ٤ ص ١٩٩ .

أمر رجل تزوج من امرأة أبيه ظنا منه أنها تجوز له ، فأمر عبد الملك بقتله على جهله فيما لايجوز الجهل به وقال : ''لاجهل في الاسلام ولاتجاهل'' ، فاستحسن جابر بن زيد هذا العمل من عبد الملك وقال عنه إنه ''أحسن وأجاد'' (٨٢) . وما ذاك إلا لما تميز به هذا الفقيه الكبير والتابع الجليل وتميز به مذهبه من صفة التسامح والاعتدال ، ولما قام عليه هذا المذهب من أسس وأصول .

فالمذهب الأباضي يعتمد في أصوله على الكتاب والسنة ويتفق في كثير من أصول وفروعه مع مذاهب أهل السنة ، ولا يختلف معها الا في مسائل قليلة ، اختلاف مذاهب السنة نفسها فيما بينها ، فلا يخلو منها مذهب لايخالف غيره في قليل أو كثير من المسائل (٨٣) . وما كان اعتماد المذهب الأباضي على الكتاب والسنة وعدم تباعده عن مذاهب السنة إلا لأن مؤسسه جابر بن زيد قد أخذ عن الصحابة الذين أخذ عنهم أصحاب هذه المذاهب من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ، بل إنه يمتاز على أصحاب هذه المذاهب في أنه أخذ عن الصحابة مباشرة بينما هم لم يأخذوا في معظمهم إلا من التابعين . كما أن الأحاديث التي جمعها هو وغيره من علماء وفقهاء وجماع الأحاديث من الأباضية كالربيع بن حبيب وغيره ، ليست الا أحاديث وردت عند البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة الحديث كأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارقطني والطبراني والبيهقي وغيرهم من أهل السنة والجماعة (٨٤) ، ولو اطلعت على كتاب مثل بيان الشرع وهو

---

(٨٢) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٢٨ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ١٦١ .

(٨٣) الظاهر أحمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٣م ، ص ١٢٠ .

(٨٤) سالم الحارثي : العقود الفضية ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، أحمد مهني سالم : هذه مبادئنا ، عمان ، سنة ١٩٨٧م ، ص ٢١١ .

من أقدم كتب الفقه الأباضي لوجدته مليئا بالأسانيد المأخوذة عن الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما من أئمة مذاهب أهل السنة (٨٥) ، فالمصدر واحد والمنبع واحد ، فلا غرابة أن يأتلف المذهب الأباضي مع مذاهب أهل السنة ، ولاغرابة أن يرى هذا الرأي بعض القدامى .

فابن حزم على سبيل المثال ، وهو من كتاب الفرق المعدودين ، لم يذكر في كتابه ''الفصل في الملل والأهواء والنحل'' شيئا من المثالب للأباضية ، بينما نراه يكتب صفحات مطولة عن مثالب الأزارقة والنجدات والصفرية ، ويقول أن هذه الفرق الأخيرة بادت نظرا لغلوها وتطرفها الشديد (٨٦) ، كما نراه يذكر كثيرا من مثالب الشيعة والمعتزلة والمرجئة في أكثر من ستين صفحة (٨٧) .

ويضاف إلى ذلك فإن ابن حزم لم ينخدع بما قيل عن الأباضية عند كتاب الفرق والنحل الآخرين الذين نسبوا الى الأباضية ماليس فيهم ، وأضافوا اليهم فرقا لاتمت لهم بصلة . مثال ذلك ماقالوه عن فرقة رئيسها يدعى زيد بن أبي أنيسة ، كان يقول بأن دين الاسلام سينسخ بنبي من العجم ، وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة ، فنسبوا هذه الفرقة الى الأباضية ، أما ابن حزم فإنه صدع بالحق واستنكر ذلك قائلا إن ''جميع الأباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات ويبرءون منه ويستحلون دمه وماله'' ... وإن جميع المسلمين يتفقون مع الأباضية في تكفير هذا النفر الضال والبراءة منهم (٨٨) .

ولاشك أن ابن حزم رغم أنه سُنِّي مثله في ذلك مثل بقية كتاب

---

(٨٥) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٢٣ ص ٧٢ ، ٢٢٥ ، جـ ٢٤ ، ١٥١ .

(٨٦) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق محمد ابراهيم نصر ، عبد الرحمن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والطبع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٢م ، جـ ٥ ص ٥٣ .

(٨٧) المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٣٥ — ٩٧ .

(٨٨) المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٥١ .

الفرق الآخرين ، إلا أنه كان يعيش في بيئة تطلق فيها حرية القول ، وفي عصر لايعرف التعصب المذهبي ، لأنه عصر دول الطوائف التي اقتسمت بلاد الأندلس ، وقام ملوك هذه الطوائف يتقربون للعلماء والفقهاء حتى يتخذوا منهم ذريعة تسند عروشهم الهزيلة (٨٩) ، ولذلك فإن هؤلاء الفقهاء ماكانوا يخشون لهم بأسا ولايرون لهم بطشا ، فقال ابن حزم ماقاله دون خوف أو وجل . أما في بلاد المشرق ، فقد كانت الدولة الحاكمة قوية شديدة البطش بكل من يخالف رأيها أو مذهبها ، ولذلك جاءت هذه الأقوال المشينة عن الأباضية عند كتاب هذه الدولة ومؤرخيها رغم قربهم من مصادر الفقه والمذهب الأباضي سواء في البصرة أم في عمان . فالبصرة في بلاد العراق نفسها ، وعمان ليست بعيدة عن بغداد أو دمشق بعد الأندلس عنهما ، وموسم الحج كان يجمع الجميع ، فلا عذر لأمثال هؤلاء الكتاب فيما قالوه ودبجوه ضد الأباضية بغيا بغير علم .

لقد فات هؤلاء الكتاب أن يعرفوا ماتحدثنا عنه من طبيعة نشأة المذهب ، وماقلناه عن أنه كان يعتمد على الكتاب والسنة والاجماع ، وكان علماؤه لايشددون على الناس ولايعنفون بهم ، بل كانوا ييسرون عليهم عندما يتناولون مشاكلهم الفقهية ويضعون لها الحلول . وقد ضرب جابر بن زيد المثل على ذلك ، كما ضربه أقرانه وتلاميذه ومن جاء بعده من علماء المذهب . وعلى سبيل المثال فقد قال وائل بن أيوب الحضرمي الذي كان يعيش في البصرة وكان معاصرا للربيع بن حبيب ، أي أنه كان يعيش في القرن الثاني للهجرة ، أن ''الفقيه هو الذي يعلم للناس مايسع فيه ما يسألونه عنه ، وأما من يضيق عليهم ،

(٨٩) رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

فكل من شاء أخذ بالاحتياط'' (٩٠) .

حتى في العبادات والشعائر ، نرى أبا سفيان محبوب بن الرحيل الذي ترأس الأباضية بعد موت الربيع بن حبيب في عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م ، يروى عن عبد الملك الطويل عن أبي حمزة المختار يقول ''أدركت المسلمين — يقصد الأباضية — أن كان الرجل منهم مايستزاد في صلاة ولا في صيام ولا في حج ولا اعتمار ولا في وجه من الوجوه'' (٩١) . وكان أحد شيوخ الأباضية في البصرة يفتي بالشيء ويخالفه شيخ آخر فيما أفتى ، والأمثلة على ذلك كثيرة وموجودة في كتب الفقه وكتب الطبقات الأباضية (٩٢) . ومعروف أن الأباضية لايعترفون بالتقليد فيما يأخذون أو يدعون حتى لفقهائهم أنفسهم ، والمشهور عنهم أنهم يقولون أنهم رجال تقييد لاتقليد ، أي أنهم يتقيدون بالكتاب والسنة وبما تقيد والتزم به السلف الصالح ، ولا يقلدون أصحاب المذاهب أو أصحاب الأقوال إلا اذا كانت أقوالهم موافقة للكتاب والسنة (٩٣) .

وقد بلغت السماحة وحب السلام لديهم أن فقهاءهم فضلوا الصلح بين أي فئتين من المؤمنين تقاتلا ، وأنه لا ينبغي لأحد أن يفضل أي فئة منهما على الأخرى حتى لاتحدث فتنة . وفي ذلك قال أحد شيوخهم من المغاربة إنه ''اذا وقعت الفتنة بين فئتين من المؤمنين فالأحب اليّ أن يصطلحوا ، فان لم يفعلوا فالأحب اليّ أن لا تغلب فئة فئة ، فإن من أحب أن تغلب إحداهما الأخرى فقد دخل في الفتنة ولزمه مالزم أهل تلك ، وكأن سيفه يقطر دما .... والسلامة عندي

(٩٠) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٥١ ، ٢٧٨ ، الشماخي : جـ ١ ص ٩٧ ، ٩٩ .

(٩١) الشماخي : جـ ١ ص ١٠٠ .

(٩٢) المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٠٢ .

(٩٣) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٧٩ ، سعيد عاشور ، عوض خليفات : عمان والحضارة ، الاسلامية ، ص ١٠٧ .

أن يكونا في البراءة سواء ، لايرجح إحدى الطائفتين ، فإنه متى رجح أثم'' (٩٤) .

واذا حدثت الفتنة وقام قتال بينهم وبين غيرهم من المسلمين كان أئمتهم وقوادهم يلتزمون بأمور الشرع في القتال . فكانوا يأمرون جندهم ''بألا يتبعوا مدبرا ولايجهزون على جريح ، ولايسلبوا ميتا ثيابه أو ماله تنفيذا لتعاليم الاسلام في قتال أهل القبلة'' (٩٥) . ولم يكن هذا الكلام شعارا أو كلاما للدعاية أو التظاهر بالالتزام بمباديء الاسلام في معاملة الأسرى والجرحى والخصوم والأعداء أثناء القتال وبعده ، بل هى مباديء التزم بها الأباضية في فقههم وفي سائر دولهم التي أقاموها وفي حروبهم التي خاضوها .

أما الفقه فقد حفظت لنا كتب الفقه الأباضي هذه المبادئ في بيان واضح لا لبس فيه ولا غموض . من ذلك ماجاء في جامع أبي الحسن البسيوي من قوله ان ''أهل القبلة البغاة لا يحل منهم — عند محاربتهم — غنيمة مال ولاسبي ذراريهم ولاقتل طفل ولاسبي امرأة ولانكاح ذات بعل منهم ، ولايحل منهم أكثر من دمائهم ، إلا أن خيلهم وسلاحهم وكراعهم الذي يقاتلون به المسلمين (أي الأباضية) ويستعينون به على حروبهم كان للمسلمين أن يحاربوهم به ويركبوا ويستعينوا به عليهم في حال محاربتهم ، وإن تلف في حال محاربتهم لم يكن على المسلمين ضمان ، وإن تلف بعد انقضاء الحرب ، ووضع الحرب بينهم ، فإنهم يضمنون على قول ، ولعل بعضا يجعله شبه الأمانة ولاضمان ، وإن بقي في أيديهم من بعد الظفر ووضع الحرب أوزارها

(٩٤) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٩١ .
(٩٥) أبو زكريا : ص ٦٤ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٣١ .

فعلى المسلمين حفظها لأهلها أو لورثتهم إن كانوا ماتوا'' (٩٦) .

أما الذين لم يحاربوا الأباضية فقد جاء حكم أبي الحسن البسيوي فيهم واضحا إذ قال إنه ''لايحل شيء من دماء أهل القبلة بعد إقرارهم بالإسلام إلا ما أحل الله ورسوله'' (٩٧) . وهذا مجرد مثال من كتب الفقه الأباضي ، وعليه سار الآخرون ممن كتبوا في هذا الفقه .

أما الدول التي أقامها الأباضية ففي سيرتها الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي تؤيد التزام الأباضية بمباديء الاسلام في الحرب والقتال وعدم اللجوء الى العنف والقسوة والتطرف . من ذلك ماحدث عندما تفقد أبو الخطاب عبد الأعلى أول إمام ظهور في طرابلس القتلى من قبيلة ورفجومة الصفرية بعد أن هزمها وأجلاها عن القيروان . فقد وجد أحدهم قد سلبت ثيابه ، عندئذ أمر بالمناداة والبحث عمن ارتكب هذا العمل الشائن ، ولما عرفه أقام عليه الحد على الفور ، وأمر جنده ألا يعودوا الى مثل هذا العمل مرة أخرى ، كما أمرهم ألا يتلفوا للناس زرعا أو يغتصبوا لهم مالا (٩٨) . وقبل ذلك وعندما استولى أبو الخطاب على مدينة طرابلس ووقع عامل أبي جعفر المنصور في يديه ، لم يأمر بقتله أو حتى بسجنه ، وإنما خيره في البقاء أو الخروج آمنا ، ولما اختار هذا العامل الخروج والعودة الى المشرق ، أعطاه أبو الخطاب من بيت المال مايستعين به في رحلة العودة (٩٩) .

وقد صارت هذه السيرة سياسة اتبعها خلفاء أبي الخطاب . فعندما تمكن أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزي الأباضي من استعادة مدينة

(٩٦) أبو الحسن البسيوي : الجامع ، جـ ٤ ص ١٨١ ، ١٨٢ ، أبو سعيد الكدمي : الجامع المفيد ، جـ ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٩٧) أبو الحسن البسيوي : الجامع ، جـ ٤ ص ١٥٣ .

(٩٨) أبو زكريا : ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٩٩) المصدر السابق ، ص ٥٩ ، الشماخي : جـ ١ ص ١١٥ .

طرابلس من يد جند العباسيين في عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م ، غضب غضبا شديدا من بعض جنده من البربر الذين كانت ثقافتهم الدينية محدودة ، فانتزعوا ثياب القتلى وأخذوها لأنفسهم ، فهددهم أبو حاتم بالعقاب أو باعتزالهم ، وقال لهم ''إن لم تردوا ما أخذتم من أمتعتهم ، فقد اعتزلت أموركم وتركت ولايتكم وبرئت منها إليكم'' ، فاستجابوا له وأطاعوه وردوا ما أخذوه من أسلاب القتلى'' (١٠٠) .

ومافعله أبو الخطاب مع والي طرابلس العباسي ، فعله أبو حاتم هذا مع جند ابن الأشعث في مدينة القيروان . ورغم أن هؤلاء الجند هم الذين قتلوا أبا الخطاب وأزالوا دولته ، إلا أن أبا حاتم لم يأخذ بسياسة الانتقام ، فلم يقتلهم عندما وقعوا في أسره ، وإنما عفا عنهم واكتفى بإجلائهم عن المدينة ''وأعطى لكل خمسة منهم قربة وخشبة يحملون عليها قربتهم ، وأعطاهم خنجرا يصلحون به نعالهم ، وأعطى لكل واحد من الخمسة رغيفا من خبز لزادهم ، فتفرق أولئك الأسارى وانصرفوا الى المشرق'' (١٠١) .

نفس السياسة كانت مطبقة في البلاد الأخرى التي ظهر فيها الأباضية . فعندما اعتزم عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق أن يقيم دولة الأباضية في حضرموت واليمن في عام ١٢٨هـ/ ٧٤٦م ، كان من الأوامر التي تلقاها من إمام الأباضية في البصرة أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي أن لايغل ولايغدر ، وعلى أن يقتدي بالسلف الصالح وأن يسير بسيرتهم (١٠٢) .

ونظرا لهذه الصفات والمباديء التي التزم بها طالب الحق ، فانه لم يجد مقاومة تذكر حينما زحف الى صنعاء فدخلها بغير قتال ، كما استولت جيوشه بقيادة أبي حمزة الشاري على مكة أيضا بغير قتال ،

(١٠٠) أبو زكريا : ص ٧٤ — ٧٥ .
(١٠١) المصدر السابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ .
(١٠٢) أبوالفرج الأصفهاني : الأغاني ، جـ ٢٣ ص ٢٢٤ .

ولم يقاتل أبو حمزة أهل المدينة . لأنه ماجاء لقتالهم وإنما جاء لقتال جند بني أمية وإخراج عاملهم من بلاد الحجاز ، ولكن أهل المدينة حاربوه فحاربهم وهزمهم ، واستولى على المدينة في عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م وخطبهم خطبته المشهورة (١٠٣) .

وفي عمان عندما قامت فيها للأباضية دولة في عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ، وتصدى العباسيون لهذه الدولة الوليدة ، وأرسلوا جيشهم بقيادة خازم بن خزيمة الذي مكث غير بعيد يرقب نتيجة الصدام الذي كان واقعا بين أباضية عمان وبين الصفرية ، الذين كانوا قد هربوا اليها وأرادوا الاحتماء بها من العباسيين ، وبعد أن تخلص الأباضية منهم في معركة مشهورة وقتلوا قائدهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، أراد خازم أن يحصل على سيف شيبان وخاتمه ليعز بهما عند الخليفة ويرتفع شأنه لديه ، ولكن العمانيين رفضوا ذلك كل الرفض ، ليس لأن قيمة السيف والخاتم مما يُضن به أو مما يغري على الاحتفاظ بهما ، وإنما لأن قواعد المذهب الأباضي كما رأينا في السابق تقضي بعدم استلاب القتلى من أهل القبلة وعدم أخذ أمتعتهم ، لأن ذلك من حق ورثتهم أو أوليائهم . فعل العمانيون ذلك رغم أنهم كانوا يعلمون أن ذلك مما يعرضهم لسخط خازم وعتوه ، وكان في إمكانهم أن يعطوه ما أراد حتى يتقوا شره ، ولكنهم لم يبيعوا دينهم بدنياهم ، فلم يخشوا بأس خازم وعتوه ، وفضلوا لقاءه وجنده في معركة انتهت بمقتل الجلندى ابن مسعود ومعظم جيشه في مكان يسمى جلفار (رأس الخيمة الآن) في عام ١٣٤هـ/ ٧٥١م ، ولم يكن قد مضي على قيام دولته الوليدة أكثر من عامين اثنين (١٠٤) .

---

(١٠٣) المصدر السابق ، جـ ٢٣ ص ٢٢٥ — ٢٣٧ .

(١٠٤) نور الدين السالمي : تحفة الأعيان ، جـ ١ ص ٩٥ .

وعندما قامت في عمان الدولة الأباضية الثانية في عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م ، وأقبل جيش العباسيين بعد ذلك ببضع سنين يقتحم عليهم بلادهم وتمكن العمانيون من دحر هذا الجيش ، فإنهم طبقوا قواعد الاسلام في معاملة الأسرى ، ولم يتعرضوا للقائد العباسي عيسى بن جعفر بسوء ، ووضعوه في السجن ، ورأي الإمام عدم قتله ولكن بعض الأباضية تسحبوا وتسوروا السجن وقتلوه فيه بغير علم الإمام أو علم الوالي ، وبغير أمرهما ، انتقاما لما فعله هذا القائد وجنده بالعمانيين (١٠٥) ، أما سلبه وما كان معه ومع شيعته من أموال وسلاح وطعام وخيل ، فقد طبقوا فيها حكم الاسلام وقواعد المذهب الأباضي التي تقضي بعدم الاستيلاء على شيء من هذه الأسلاب والأموال ، ولذلك فقد أمر الامام ببيع جميع ماوجده جنده في معسكر عيسى بن جعفر وجنده من هذه الأشياء "وأنفذوا به الى ورثته" (١٠٦) ، وذلك اقتداء بما فعله الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه في أموال أصحاب الجمل ، فإنه حرمها على جنده فلم يأخذوا منها شيئا ، لأن القتلى كانوا من المسلمين وليسوا من الكفرة ، فلا يحل لهم أن يأخذوا من أموالهم أو أسلابهم شيئا (١٠٧) .

ويتبين قيام العمأنيين بتطبيق قواعد الشريعة أيضا فيما أمر به الامام الصلت بن مالك حينما أرسل جيوشه الى جزيرة سقطرى للاستيلاء عليها وطرد النصارى منها ، وكانوا قد هجموا عليها وقتلوا والى الامام بها ، "وسلبوا ونهبوا وأخذوا البلاد وتملكوها قهرا" . فقد كتب الامام الى جنده عهدا استغرق خمس عشرة صفحة في تحفة الأعيان ،

---

(١٠٥) المرجع السابق ، جـ ١ ص ١١٨ ، ١١٩ .

(١٠٦) أبو سعيد الكدمي : الجامع المفيد ، جـ ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٠٧) الطبري : جـ ٤ ص ٥٣٨ — ٥٣٩ ، ٥٤١ .

للعمل بموجبه عند تحرير هذه الجزيرة في معاملة أهل الذمة وفي معاملة المسلمين الموجودين فيها ، وفي غير ذلك من الأمور الشرعية التي تقع وقت الحرب (١٠٨) .

ورغم سيادة المذهب الأباضي في عمان ، ورغم أن الأباضية هم الكثرة الغالبة فيها ، الا أنهم لم يقفوا أمام تواجد المذاهب الأخرى في بلادهم . فقد ورد في المصادر مايفيد بوجود القدرية والمرجئة في صحار . وقد كثر عددهم في عهد الامام عبد الملك بن حميد (٢٠٧ — ٢٢٦هـ/ ٨٢٢ — ٨٤٠م) ، وصاروا يدعون الناس الى مذاهبهم حتى استجاب لهم الكثيرون وامتد نشاطهم الى توام (البريمي الآن) وغيرها من نواحي عمان ، لدرجة أن والي صحار خاف من هذا النشاط المتزايد ، فأرسل رسالة الى الامام يحذره من خطورة هذا النشاط ويطلب رأيه (١٠٩) .

كذلك كان للشيعة وجود في صحار في تلك الفترة أيضا (١١٠) ، كما كان للسُّنة وجود كبير في كثير من أنحاء عمان ، وما زالت تعمر هذه البلاد بأصحاب هذه المذاهب الثلاث : الأباضية والسنة والشيعة ، مما يدل على تسامح الأباضية الذين يشكلون الكثرة الغالبة بين أصحاب هذه المذاهب .

وكانت سياسة الأباضية في بلاد المغرب في التسامح نحو المذاهب الأخرى تسير على نفس المنوال . فرغم أن دولة عبد الرحمن بن رستم كانت تضم معظم المغربين الأدنى والأوسط فيما عدا القيروان ومايحيط

---

(١٠٨) انظر ، نص عهد الصلت بن مالك الى جنده عند فتح جزيرة سقطرى في تحفة الأعيان للشيخ نور الدين السالمي ، جـ ١ ص ١٦٨ — ١٨٣ .

(١٠٩) المرجع السابـــق ، جـ ١ ص ١٣٨ — ١٤٠ .

(١١٠) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٢٨ ص ٦٧ ، سالم السيابي : عمان عبر التاريخ ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٢م ، جـ ٢ ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

بها من بلدان ، وكان في امكانه أن يستغل القوة السياسية والمذهبية التي توافرت له ولدولته في الحيلولة دون وجود مذاهب أخرى بجانب المذهب الأباضي في تاهرت وغيرها من مدن هذه الدولة ، الا أنه لم يفعل ، وكانت ظروف مدينة تاهرت بالذات تساعده على ذلك لو أراد .

فمن المعروف أن هذه المدينة كانت مدينة جديدة بناها عبد الرحمن ابن رستم بنفسه هو ومن معه من الأباضية بعد مقتل أبي الخطاب وفرارهم من القيروان الى موضع هذه المدينة في عام ١٤٤هـ/٧٦١م (١١١) ، فهي لم تكن مدينة قديمة يمكن أن تكون المذاهب الأخرى قد دخلتها واستقرت فيها ، ولم يكن سكانها ذوي أصول قديمة يمكن أن تسمح بتنوع في المذاهب كما هو الحال في المدن القديمة التي مصرها العرب في فترة الفتوحات وتوافد عليها العرب في أزمنة مختلفة ، كل يحمل مذهبه وعقيدته معه ، مما جعل هذه المدن عادة تحمل طابع التعدد المذهبي ، كما هو الحال في بغداد أو دمشق أو الفسطاط أو القيروان أو القاهرة وغيرها ، وإن كان المذهب السني هو الغالب على هذه المدن .

ومع حداثة مدينة تاهرت ، ومع أن الذين بنوها هم الأباضية ، إلا أننا نسمع أنها أصبحت مأوى لكثير من أصحاب المذاهب المختلفة من سُنَّة وواصلية (معتزلة) وشيعة وصفرية ، حيث أقبل اليها كثير من فقهاء هذه الفرق والمذاهب من العراق والقيروان وغيرهما ، وأقاموا فيها مستظلين بجو العدالة والسماحة الذي أظلها منذ عهد عبد الرحمن بن رستم أول امام لها ، هذا الجو الذي سمح لهم بأن يقوموا بنشاط علمي وفقهي كبير ، وأن يأخذوا في مناظرة علماء الأباضية في مسائل العقيدة

(١١١) أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٨١ — ٨٢ .

والشريعة . وكان فقهاء الأباضية يرحبون بذلك كل الترحيب ويضربون لهم المواعيد ويعينون أماكن المناظرة ، فيأتي ''المناظرون من غير مذهبهم فيقرِّبون ويناظرون ألطف مناظرة'' في محضر من أئمة تاهرت أنفسهم (١١٢) .

وتفيد المصادر بأن عدد الواصلية (المعتزلة) قد تكاثر وازداد زيادة كبيرة حتى بلغ ثلاثين ألفا كانوا يقيمون في تجمع كبير قرب تاهرت في بيوت كبيوت الأعراب (١١٣) . كما عاش على أرض تاهرت عدد كبير من العلماء والأدباء الذين كانوا من تاهرت أصلا أو من غيرها وأقاموا فيها وكانوا لايدينون بالأباضية (١١٤) .

سياسة واضحة في التسامح والاعتدال تميز بها الأباضية سواء في المشرق أو في المغرب . وقد اقتضت هذه السياسة ألا يحرم الأباضية أنفسهم من الاستفادة من كتب أهل الخلاف ، أي الذين يخالفونهم في المذهب ، واقتدوا في ذلك بأوائلهم . فعلى سبيل المثال كان عالم الأباضية في تاهرت أبو عبيدة الأعرج التميمي يدرس لطلابه ''كتاب إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث'' الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكوفي المتوفي في عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م . وكان ابن الصغير المالكي صاحب كتاب أخبار الأئمة الرستميين يأتي إلى أبي عبيدة الأعرج ليدرس عليه هذا الكتاب (١١٥) .

وفي عمان نجد الشيخ أبا سعيد الكدمي يقرأ كتاب ''الإشراف

---

(١١٢) ابن الصغير المالكي : أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق د . محمد ناصر ، ابراهيم بحاز ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، سنة ١٩٨٦م ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ — ١١٦ ، ١١٧ ، أبو زكريا : ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٦٩ .

(١١٣) الدرجيني : جـ ١ ص ٤٣ .

(١١٤) سليمان الباروني : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ، تحقيق محمد علي الصليبي ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٩٨٧م ، جـ ٢ ص ١١٩ — ١٢٢ .

(١١٥) ابن الصغير : ص ٩٦ .

على مذاهب الأشراف'' لأبي بكر النيسابوري الشافعي المتوفي عام ٣١٨هـ/ ١٩٣٠م ويدرسه ويعلق عليه ، وهو الكتاب الذي جمع فيه صاحبه معالم المذاهب الاسلامية المختلفة . واقتدى علماء الأباضية من المغاربة بما فعله أبو سعيد ، فقام أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي بمطالعة كتاب الإشراف وغيره من تصانيف أهل الخلاف (١١٦) . وهذا قليل من كثير مما يمكن أن يشار اليه في هذا الصدد .

إذن كانت سياسة الأباضية واضحة في الاعتدال والتسامح ، وواضحة أيضا ضد الغلو والتطرف . ومما يبرز لنا مواقف الأباضية ضد الغلو والتطرف ، وضد البدع والآراء الدخيلة على الاسلام ، ويؤكد حبهم للتسامح والاعتدال ، هو موقف أباضية عمان من مشكلة فكرية هي مشكلة خلق القرآن ، ومن مشكلة سياسية هي مشكلة الخوارج .

وبالنسبة لمشكلة خلق القرآن نراهم يقفون أمام هذا القول الذي فرضه المأمون على العالم الاسلامي فرضا بتأثير من المعتزلة ، مما أدى إلى تمزيق وحدة الأمة الفكرية ، وإلى اضطهاد كثير من العلماء والفقهاء ، ولذلك توقف العمانيون عن القول بخلق القرآن (١١٧) ، وقالوا في صراحة واضحة في واحد من أهم كتبهم الفقهية : ''لايلزم الناس معرفة هذه المسألة'' (١١٨) . وكتب أبو عبد الله القلهاتي الذي عاش في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد أكثر من عشرين صفحة في مناقشة القول بخلق القرآن والرد على من قال بذلك (١١٩) ، كما كتب أحمد بن النظر العماني الذي عاش في القرن الخامس للهجرة/

(١١٦) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٩٦ .

(١١٧) سيدة الكاشف : مقدمتها لكتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان لمؤلف مجهول ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٦م ، جـ ١ ص ١١ .

(١١٨) السعدي : قاموس الشريعة ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٣م ، جـ ٤ ص ١١٦ .

(١١٩) الكشف والبيان ، جـ ١ ص ٢٨٩ — ٣١٢ .

الحادي عشر للميلاد في كتابه دعائم الاسلام خمسة وسبعين بيتا من الشعر فند فيها القول في هذه المسألة واستنكرها كل الاستنكار . وفي العصر الحديث نجد الشيخ نور الدين السالمي يعبر عن هذا الموقف قائلا ''إن الأشياخ توقفوا عن اطلاق القول بخلق القرآن وأمروا بالشدة على من أطلق'' (١٢٠) القول في هذه المسألة ، حتى لايفتتن الناس في دينهم .

وبالنسبة للمشكلة الثانية ، وهي موقف العمانيين الأباضية من الخوارج فهي ترينا بحق أنهم كانوا ضد التطرف والغلو ، وأنهم لم يكونوا من جملة هؤلاء الذين مارسوا أعمال التطرف والغلو ، وأنهم لم يكونوا من جملة هؤلاء الذين مارسوا أعمال التطرف من الخوارج على أي وجه من الوجوه . يظهر ذلك من إدانتهم لهؤلاء الخوارج منذ أن ظهر لهؤلاء الناس نشاط في دولة الاسلام ، فأعلنوا بشكل واضح البراءة منهم وقالوا علنا أنهم برءاء ''ممن زعم أن أهل التوحيد من أهل القبلة مشركون ويستحل غنيمة أموالهم وسبي ذراريهم ، واستحل استعراضهم بالقتل من غير دعوة يبين لهم فيها الحق ولا حجة أقامها عليهم'' (١٢١) . وكانت البراءة بالاسم من الأزارقة الذين كانوا أشد فرق الخوارج تطرفا وعنفا والذين كانوا يأتون هذه الأفعال ويعتنقون هذه الآراء ويقومون بتنفيذها ، وبالاسم أيضا من النجدات ومن الخوارج بصفة عامة (١٢٢) .

ولم يكن هذا الموقف الرافض لهؤلاء الخوارج موقفا فكريا فقط ،

---

(١٢٠) ابن النظر : دعائم الاسلام ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٠م ، ص ٣١ — ٣٥ دعائم الاسلام بشرح ابن وصاف ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٢م ، ص ١٢٠ ، مصباح الظلام في شرح دعائم الاسلام للرقيشي ، مخطوط برقم ٣٦٨ ، ص ١٩٠ — ٢٣٢ ، نور الدين السالمي : تحفة الأعيان ، جـ ١ ص ١٥٦ .

(١٢١) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٣ ص ٢٧٦ ، جامع أبي الحسن البسيوي ، جـ ١ ص ٢٦٢ — ٢٦٥ .

(١٢٢) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٣ ص ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، القلهاتي : جـ ٢ ص ٤٧٦ .

انما كان موقفا عمليا أيضا دلت عليه وبينته أحداث التاريخ بكل وضوح . فعندما سيطر الخوارج النجدات ، وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي ، على البحرين والأحساء واليمامة ، أرادوا أن يشمل نفوذهم بلاد عمان ، فأرسلوا قائدهم عطية بن الأسود الحنفي لضمها الى دولتهم ، ونجح عطية فيما ذهب اليه وقتل ملك عمان عباد بن عبد ابن الجلندى في عام ٦٧هـ/ ٦٨٦م ، وعين في عمان من يحكمها نيابة عنه وقفل راجعا الى بلاد البحرين . وبمجرد أن غادر عمان قام أهلها وقتلوا عامله ، وولوا على أنفسهم سليمان وسعيد ابني عباد . ولما وقع الخلاف بين عطية ونجدة ، حاول عطية أن يستعيد عمان ويتخذ منها قلعة يناوئ بها نجدة ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك وامتنعت عليه عمان وأهلها كل الامتناع ، فركب البحر الى كرمان بإيران حيث أرسل له المهلب بن أبي صفرة الذي كان وقتذاك في طاعة الزبيريين جيشا لمطاردته حيث تم قتله بقنادابيل بسجستان (١٢٣) .

وكما لم يسمح العمانيون بأن تكون بلادهم مأوى للنجدات أو تكون ضمن مناطق نفوذهم ، فقاوموهم أشد مقاومة ، فانهم فعلوا نفس الشيء وكان لهم نفس الموقف من فرقة غالية أخرى من فرق الخوارج هي فرقة الصفرية . والدليل على ذلك أنهم تصدوا لزعيمها شيبان بن عبد العزيز اليشكري الصفري ولمن معه من أتباعه . وكان هذا الزعيم قد هزم في الموصل عام ١٢٩هـ/ ٧٤٧م أمام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وفر الى أرض فارس ثم الى جزيرة ابن كاوان التي تعرف الآن بالبحرين واستقر فيها حتى قامت الدولة العباسية عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ، وأرسل أبو العباس عبد الله السفاح خازم بن خزيمة للقضاء عليه ، فهرب الى عمان في عام ١٣٤هـ/ ٧٥١م ، هو ومن معه ، حيث تصدى له أول امام أباضي فيها وهو

(١٢٣) ابن الأثير : جـ ٤ ص ٢٠٣ ، النويري : جـ ٢١ ص ٥٦ ، ابن خلدون : جـ ٥ ص ٣١٤ .

الجلندى بن مسعود بن جيفر بن الجلندي ، وساعدة في ذلك أباضية البصرة الذين أرسلوا له يحيى بن نجيح وهلال بن عطية الخراساني على رأس جماعة من الأباضية ، ووقع القتال بين الفريقين وانتهى بمقتل شيبان ومن معه من الصفرية (١٢٤) .

ونفس الموقف العماني الرافض للصفرية كان مع قائد صفري آخر هو حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الأجدع الهمداني الذي كان قد خرج على أبي جعفر المنصور في الموصل في عام ١٤٨هـ/ ٧٦٥م ، وتصدى له هذا الخليفة ، ففر الى بلاد السند منهزما ، ثم اتصل بأهل عمان يدعوهم الى مذهبه ويستأذنهم في المسير اليهم ودخول بلادهم ، الا أنهم رفضوا طلبه و لم يستجيبوا لدعوته ، ومنعوه من دخول بلادهم فكر راجعا عنهم مهزوما محسورا (١٢٥) .

وكما تصدى أباضية عمان لهذا النفر من النجدات وهذا النفر من الصفرية ، نراهم يتصدون أيضا وبكل شراسة لفرقة أخرى تمكنت من إقامة دولة تسمى دولة القرامطة فى البحرين ومنطقة الأحساء في أواخر القرن الثالث للهجرة . وقد استطاع هؤلاء القرامطة أن يسيطروا على أجزاء كثيرة من عمان منذ عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م منتهزين فرصة الصراع الداخلي القبلي الناشب بين العمانيين أنفسهم . ولكن العمانيين بعد أن وحدوا صفوفهم تصدوا لهم وأخرجوهم من بلادهم ، وتبرأوا منهم ومن أفعالهم المشينة . وفي ذلك قال أبو الحواري ، وهو أحد علماء الأباضية في عمان في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد : ''نحن

(١٢٤) اليعقوبي : تاريخه ، جـ ٢ ص ٣٣٩ ، الطبري : تاريخه ، جـ ٧ ص ٣٥٢ — ٣٥٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، أبو زكريا الأزدي : تاريخ الموصل ، تحقيق د . علي حبيبة ، لجنة احياء التراث العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧م ، ص ٧٤ — ٧٦ ، ابن الأثير : جـ ٥ ص ٣٥٥ ، ٤٥٢ ، ابن خلدون : جـ ٥ ص ٣٥٥ ، ٣٨١ ، الازكوي : كشف الغمة ، مخطوط بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي برقم ٥٧١ ، ص ٥٨٢ ، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(١٢٥) أبو زكريا الأزدي : تاريخ الموصل ، ص ٢٠٣ ، ابن الأثير : جـ ٥ ص ٥٨٤ ، ابن خلدون : جـ ٥ ص ٣٥٩ .

نبرأ من أبي سعيد القرمطي ، ونبرأ ممن تولاه ، ونبرأ ممن وقف عنه ، ونبرأ ممن شك فيه'' (١٢٦) .

وفي البصرة حيث نشأ المذهب الأباضي أول مانشأ ، لم يكن موقف الأباضية وأهل البصرة بصفة عامة ومعظمها كما قلنا كانوا من أزد عمان أقل رفضا ومقاومة للفريق الثالث من الخوارج والذين كانوا يعرفون باسم الأزارقة ، نسبة الى زعيمهم نافع بن الأزرق الحنفي . وكان هذا الصنف من الخوارج أكثرهم تطرفا وأشدهم قسوة وعنفا وعتوا ، وقد هددوا البصرة عدة مرات وحاولوا احتلالها و لم ينقذها من هذا المصير الا المهلب بن أبي صفرة الأزدي العماني الذي كلفه الزبيريون ثم الأمويون من بعدهم بالتصدي لهذه الفرقة الغالية ، فتصدى لها عسكريا وتصدى لها أباضية البصرة فكريا فأدانوها وأعلنوا البراءة منها (١٢٧) ، وشجعوا الناس على قتالها ، وانخرط كثير من الأباضية والأزد بصفة عامة تحت لواء المهلب للقضاء عليها ، فتم قتل زعمائها واحدا بعد الآخر ، وكاد أحد هؤلاء الزعماء يحقق نصرا فلم ينفع المهلب إلا قومه من الأزد ، حيث ناداهم ''إليّ عباد الله ، فثاب اليه جماعة من قومه من أهل عمان ، فاجتمع إليه منهم نحو ثلاثة آلاف ، فلما نظرهم رضي جماعتهم وأمرهم ألا يضموا معهم أحدا ممن انهزم في المعركة ، وتقدم بهم نحو الأزارقة فقتلوا زعيمهم عبيد الله بن الماجوز وأخاه عثمان وأخذوا عسكر القوم ومافيه ، وقتل الأزارقة قتلا ذريعا ... وأرسل بالبشرى الى الأحنف بن قيس (والي البصرة) فلم يصدق نظرا لقوة شوكة الأزارقة'' (١٢٨) .

---

(١٢٦) الاصطخري : مسالك الممالك : ص ١٤٩ ، نور الدين السالمي : تحفة الأعيان ، جـ ١ ص ٢٦٩ .

(١٢٧) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٣ ص ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(١٢٨) اليعقوبي : تاريخه ، جـ ٢ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، الطبري : تاريخه ، جـ ٥ ص ٦٢٠ ، الحميري : ص ٢٤٧ — ٢٤٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ، ص ١١٨ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

وبنفس قومه من الأزد تصدى المهلب لقائد الأزارقة الجديد قطرى ابن الفجاءة ومن جاء بعده مثل عبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير ، ''فخرج اليهم في عشر آلاف رجل من الأزد ومواليهم ثمانية آلاف من أخلاط القبائل'' (١٢٩) ، وقضي عليهم في عام ٧٨هـ/ ٦٨٧م وأنقذ الدولة الاسلامية من غلوهم وتطرفهم وفسادهم ، وتمت مكافأة المهلب على شجاعته الفائقة وعلى حسن بلائه ، فولاه عبد الملك بن مروان على بلاد خراسان ، فظل واليا عليها حتى مات فيها عام ٨٢هـ/ ٧٠١م (١٣٠) .

ومن طريف ما يروى في الصراع الذي دار بين المهلب وقومه من الأزد وبين الأزارقة ، أن أحد قواده ويدعى أبا علقمة اليحمدى العماني ، وكان مشهورا بالشجاعة الفائقة ، كان ينادي في شباب الأزد وفتيان اليحمد في إحدى المعارك قائلا : ''أعيرونا جماجمكم ساعة من نهار'' ، فكان هؤلاء الفتيان الشجعان يقاتلون ثم يعودون اليه يضحكون ويقولون ''يا أبا علقمة'' ، القدور تستعار !'' ، ولما رأي المهلب ما رأي من شجاعة هذا القائد اليحمدى العماني ''وفاه مائة ألف'' ، مكافأة له على شجاعته وحسن بلائه (١٣١) ، وفي المبارزات التي كانت تقع عادة في بداية المعارك وقبل الاشتباك ، لم يكن المبارزون إلا من أولاد المهلب وإخوته أو من اليحامدة وغيرهم من أزد عمان (١٣٢) .

---

(١٢٩) ابن أعثم الكوفي : الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦م ، جـ ٣ ص ٤٢٢ .

(١٣٠) اليعقوبي : جـ ٢ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ابن أعثم الكوفي : جـ ٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، جـ ٤ ص ١٩ ، ٢٠ ، العوتبي : جـ ٢ ص ١٣٠ — ١٣٧ ، ١٤٠ ، محمد جمال الدين سرور : ص ١٢٠ — ١٢٢ ، عبد المنعم ماجد : ص ١٥١ .

(١٣١) الطبـــري : جـ ٥ ص ٦٢٠ ، ٦٢١ .

(١٣٢) ابن أعثم الكوفي : جـ ٣ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، جـ ٤ ص ١٩ ، ٢٠ .

وإجمالا ، فان المهالبة وأزد عمان الذين سكنوا البصرة كانوا هم القوة الضاربة التي تم على يديها الخلاص نهائيا من الأزارقة ، وتم على يديها إنقاذ البصرة بالذات من هذا الصنف من الخوارج الذين كان تهديدهم لها في المقام الأول . ونظرا لجهود المهلب فى إنقاذها على نحو ما رأينا فقد نسبت اليه ، فقيل عنها ، إنها ''بصرة المهلب'' ، وامتدح الحجاج المهلب وآله ، فكان يقول لأهل العراق ''أنتم عبيد المهلب'' ، ''وكان لأهل الكوفة يقولون لأهل البصرة ياموالي المهلب'' (١٣٣) .

وما ذكرنا أخبار المهلب مع الأزارقة وأخبار غيره من بني قومه في عمان مع النجدات والصفرية ، إلا كي نرى أن أزد عمان سواء كانوا في عمان أم في البصرة ، هم الذين تصدوا للخوارج بكافة فرقهم وفصائلهم من نجدات وصفرية وأزارقة ، سواء على أرض عمان ذاتها أم في بلاد الأهواز وفارس وكرمان والعراق ، وأنقذوا العالم الاسلامي وقتذاك من شرهم ومن تطرفهم الشديد ، وكان علماؤهم من الأباضية سواء كانوا في البصرة أم في عمان هم الذين زرعوا في قلوب أهلها هذا الكره للتطرف والغلو الذي ظهر على أيدي الأزارقة وغيرهم من فرق الخوارج الغالية ، ومن ثم كانت المقاومة الشديدة ، وكان القتال العنيف ضد هذه الفرق حتى أبيدت ولم نعد نسمع لها ذكرا ، وأصبحت مجرد تاريخ يروى .

واذا كان أباضية المشرق في عمان والبصرة قد اتبعوا سياسة البراءة من هذه الفرق الخارجة ، والتصدي لها بالحرب والقتال ، واتبعوا أسلوب القعود والمسالمة لبقية إخوانهم المسلمين ، فإن إخوانهم في المغرب كان لهم نفس الموقف ونفس السياسة ، فلم يرفعوا السيف في

(١٣٣) العوتبي : جـ ٢ ص ١٣٦ — ١٣٧ ، المبرد : الكامل ، جـ ٢ ص ٢٤٠ .

وجه عمال بني أمية وجندهم وبقية السكان من البربر الصفرية الذين كانت لهم ثورة عارمة ضد الحكم الأموي استمرت ثلاث سنوات منذ عام ١٢٢هـ ، ولم يخرج الأباضية عن هدؤهم ومسالمتهم إلا بعد أن قتل عامل طرابلس زعيمهم عبد الله بن مسعود التجيبي عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م دون أن يسبب هذا الزعيم مايستحق عليه هذا المصير ، فقام الأباضية وقاتلوا هذا العامل وقتلوه (١٣٤) .

وعلى ذلك فان أباضية المغرب لم يشتركوا مع الصفرية في قتالهم لجند بني أمية في المغرب ، ولما ظهر العباسيون وأرسلوا عمالهم الى هذه البلاد وتمكن صفرية ورفجومة من احتلال القيروان في عام ١٣٩هـ/ ٧٥٦م ، عندما استدعاهم بعض رجال البيت الفهري الحاكم لافريقية في ذلك الوقت للاستعانة بهم ضد فريق آخر من الطامعين في الحكم من نفس البيت ، ارتكبوا أبشع الجرائم مع السكان بقتل رجالهم وسبي نسائهم والاعتداء على حرماتهم واقتحام المساجد بخيولهم ، لأنها في نظرهم مساجد للكفرة ، ولم يجد الناس مغيثا لهم من هذا البلاء إلا أبا الخطاب إمام الأباضية في طرابلس ، فأرسلوا إليه يستنجدون به ، فامتطى فرسه وسل سيفه وكسر غمده وعبأ جنده وخرج مع رجاله حيث أنقذوا الناس في القيروان من ظلم الصفرية وقهرهم (١٣٥) ، ولم يكن ذلك من أبي الخطاب إلا تصديا للغلو والتطرف الذي اشتهرت به هذه القبيلة أو هذه الفرقة ، وإلا غضبا لله ولدينه ولمساجده وللمسلمين الذين اعتدى الصفرية على أعراضهم وأموالهم وديارهم .

ومعنى ذلك كله أن الأباضية في البصرة وعمان والمغرب قد التقوا

---

(١٣٤) ابن عبد الحكم : ص ٤٢٤ .

(١٣٥) أبو زكريا : كتاب سير الأئمة ، ص ٦٠ — ٦٤ ، ابن عذاري : جـ ١ ص ٧١ .

على قتال الخوارج والتصدي لهم ، كما التقوا أيضا على التصدي لكل من يخرج عليهم من بين أنفسهم ويشوه آراءهم . والمثال على ذلك هو موقفهم مما عرف باسم جماعة أو فرقة النكار ، أي الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٦٨ — ٢٠٨هـ/ ٧٨٤ — ٨٢٣م) وخرجوا عليه لأسباب سياسية وطموحات شخصية فيما يعرف بالانشقاق الأول في الحركة الأباضية (١٣٦) ، وصارت لهم آراء في الفقه والعقيدة تخالف ما تعارف عليه الأباضية وما أقروه في كتبهم . وقد ذكر ابن حزم ماكان يفعله أصحاب هذه الفرقة في بلاد الاندلس في عصره ، أي في القرن الخامس للهجرة ، من تحريم طعام أهل الكتاب ووجوب القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتلم ، والتيمم وهم على الآبار التي يشربون منها ، أو التيمم مع امكانية الحصول على الماء (١٣٧) .

وبطبيعة الحال فإن الأباضية لايقرون هذه الأفعال ولايرضون بها ، وقد أشار ابن حزم نفسه الى ذلك (١٣٨) ، وظهرت إدانه الأباضية في المشرق والمغرب لأصحاب هذه الفرقة واضحة ، منذ ظهورها ، فتبرأوا منها وقالوا بصريح العبارة : إن ''النكار كفار'' ، وقاوموهم أشد المقاومة وقتلوا أول زعيم لهم وهو محمد بن فندين (١٣٩) ، وتصدوا لأتباعه ، وظل هذا التصدي قائما حتى بعد انتهاء الدولة الرستمية في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م على يد الفاطميين ، فلم يمنعهم ذلك من الاستمرار في معاداتهم واستنكار آرائهم .

ولذلك عندما قامت حركة أحد النكار ، وهو أبو يزيد مخلد بن

---

(١٣٦) عن هذا الانشقاق الأول في صفوف الأباضية في تاهرت ، انظر : ابن الصغير ، ص ٤٧ — ٥١ ، أبو زكريا : سير الأئمة وأخبارهم ، ص ٨٨ — ٩٧ ، سليمان الباروني : الأزهار ، جـ ٢ ص ١٥٢ — ١٦٦ .

(١٣٧) ابن حـزم : الفصل ، جـ ٥ ص ٥١ .

(١٣٨) المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٥٥ .

(١٣٩) أبو زكريا: سير الأئمة ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٩٧ . ومن الفرق الأخرى غير النكار أو النكارية التي أدانها أباضية المغرب وكفروا أصحابها : فرقة الخلفية والنفاثية ، انظر ، أبو زكريا : ص ١٩٨ .

كيداد اليفرني ضد الفاطميين بالمغرب في عهد القائم الفاطمي في عام ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م واستمرت في عهد ابنه المنصور إلى عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م ، واستطاع هذا النكاري في تلك الفترة أن يهزم جيوش الفاطميين ويستولى على القيروان ويحاصر عاصمتهم المهدية حصارا شديدا حتى كادت تقع في يده (١٤٠) ، لم ينتهز الأباضية هذه الفرصة وينضموا لهذا الثائر النكاري الذي كاد أن يقوض أركان الدولة التي قضت على دولتهم ، ولو فعلوا ذلك لربما تغير تاريخ هذه المنطقة ، ولربما كان لتاريخ الفاطميين مجرى آخر ، ولربما استعاد الأباضية دولتهم الضائعة ، ولكنهم لم يفعلوا ، فلم ينضموا لأبي يزيد واعتزلوه ولم يتعاونوا معه ، أولا ، لأنه ليس على عقيدتهم ، وهم يعتبرونه هو ومن معه من النكار كفار كما سبق القول ، ولايصح لهم أن يقاتلوا مع كفار ، وثانيا ، لأنه اقترف الكثير من ألوان الفساد والفجور والظلم والبغي مما فاق مافعله نافع بن الأزرق الحنفي وجماعته من الأزارقة الذين تبرأ منهم الأباضية كما سبق القول .

وقد تحدث أبو زكريا الأباضي في كتابه سير الأئمة وأخبارهم عن هذه الأفعال الشنيعة بأكثر مما تحدث عنه أهل السنة ، وكانت روايته أقدم وأكثر تفصيلا ، ووصف هذا الثائر النكاري بأنه عدو الله في أكثر من موضع ، لأنه وكما قال أبو زكريا ، كان يخرب البلدان التي يمر بها ويسبي أهلها ويغنم أموالها مما لايفعله مسلم بمسلمين . وقد بلغ عدد القرى التي خربها ثلاثين ألف قرية لم تستعد عمرانها حتى زمن أبي زكريا ، بالاضافة الى أنه فعل في هذه القرى ''وفي افريقية كلها من الفسوق والمعاصي والفجور مالم يبلغنا مثله عن الفراعنة

(١٤٠) أبو زكريا : ص ١٧٥ — ١٨٢ ، السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م ، جـ ٢ ص ٢٦ — ٢٩ .

والأكاسرة والقياصرة والجبابرة'' (١٤١) ، وكان يفعل مع الناس وقت السلم أشد وأقسى مما يفعله بهم وقت الحرب (١٤٢) .

ولذلك حرص أبو زكريا على أن يصور لنا كيفية موته عندما وقع هذا الثائر في قبضة المنصور الفاطمي ، فقال في تشف واضح ، إن هذا الخليفة أمر ''بسلخه وأخذوا في سلخه ، فلما وصلوا الى السُّرة مات عدو الله إلى النار وبئس المصير ، فتفرقت عساكره ومضى كل في وجهته'' (١٤٣) . كما حرص زميل أبي يزيد في الدراسة وهو أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان يطلب معه العلم في سجلماسة على يد عالم المشرق ابن الجمع ، على أن يقول فيه رأيه بكل وضوح ، فقال إن أبا يزيد النكاري وجميع النكار كفار (١٤٤) .

ولما كان الأمر كذلك فقد استمرت مقاومة الأباضية لابنه الفضل الذي كان قد جمع ثلاثين ألفا من أتباع أبيه وقصد الى مضارب مزاتة حيث كان يعيش أبو القاسم يزيد بن مخلد ، وأبو خزر يعلي بن زلتان ، وكانا رأس الأباضية وقتذاك ، وطلب من مزاتة أن يدفعوا له هذين العالمين يستعين بهما في قتال الفاطميين ، واحتج على ذلك بأن هذين العالمين من بني واسن ، وأنه هو وجماعته من بني يفرن ، والقبلين من بني تيجرت ، فالأصل العرقي واحد ، والانتماء القبلي واحد . ونظرا لمخالفة الفكر النكاري للمذهب الأباضي ، فقد رفض مشايخ مزاتة أن يسلموا له هذين الشيخين ، وأخذ علماء المذهب الأباضي ، في

---

(١٤١) أبو زكريا : ص ١٨٠ — ١٨٣ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٩٦ — ١٠٢ .

(١٤٢) السراج : الحلل السندسية ، جـ ١ ص ٤٤٥ .

(١٤٣) أبو زكريـا : ص ١٨٤ — ١٨٥ .

(١٤٤) المصدر السابـق ، ص ١٩٣ ، ١٩٧ .

التأهب للحرب والقتال اذا ما أصر الفضل على أخذهما ، وتهيأت العامة للحرب وقال أحدهم للمشايخ : إن لي اثنى عشر ابنا قد وهبتهم لكم اليوم يامشايخ ، وأخذ يحرض أبناءه قائلا لهم : ''قاتلوا اليوم وقد أمر المشائخ كقتال علي بن أبي طالب أمام النبي ﷺ'' . والتقى الفريقان ونشب القتال وكانت الدائرة على الفضل وأصحابه ، وقتل منهم الكثيرون ، وصار جيشه بين قتيل وجريح وهارب ، وهرب الفضل حتى انتهي الى قرية دخلها فأخذه أهلها وقطعوا رأسه وانتهي أمره (١٤٥) .

وهكذا تصدى الأباضية لكل غال ومتطرف حتى ولو كان يمت لهم بصلة القربى والعرق والنسب والأصل ، وهكذا اجتمعوا على مقاومة الخوارج بشتى ألوانهم وأصنافهم في بلدان المشرق والمغرب ، وطبقوا الشرع في معاملاتهم مع إخوانهم من المسلمين وقت الحرب ووقت السلم ، وتصدوا للأفكار الغالية وقاوموها أشد مقاومة ، وتسامحوا مع أهل الفرق الأخرى فتواجد أصحابها في بلدانهم وممالكهم ، وعاش الجميع إخوة متحابين . وكانت هذه المواقف وهذه السياسة التي اتبعها الأباضية في مختلف عصورهم ، وكان هذا الاعتدال وتلك السماحة التي تحدثنا عنها بتفصيل ، من الأسباب القوية التي أدت الى انتشار مذهبهم في كل مكان وصله دعاة هذا المذهب سواء في مصر أم في بلاد المغرب أم في غيرهما من البلدان ، وكان هؤلاء الدعاة أحد الوسائل التي أدت الى هذه النتيجة ، فياترى ماهي هذه الوسائل ..؟ .

---

(١٤٥) المصدر السابق ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

٢ ـ وسائل انتشار المذهب الأباضي في مصر والمغرب :

الواقع أن انتشار المذهب الأباضي في مصر والمغرب كانت له وسائله العديدة . من هذه الوسائل الدعوة والحج والتجارة .

أ ـ الدعـــوة والدعـــاة :

أما الدعاة فكان شأنهم كبيرا في نشر هذا المذهب سواء في مصر أم في بلاد المغرب . وقد انطلق هؤلاء الدعاة من البصرة الى هذه البلدان فارين بأنفسهم من اضطهاد بني أمية ، أو راغبين في العمل في التجارة ، أو في مجال الدعوة حسبما أمرهم بذلك أئمة المذهب في البصرة ، أو لهذه الأسباب جميعا . وكان أول من قدم الى مصر وبلاد المغرب داعيا للمذهب الأباضي هو سلمة بن سعد الحضرمي الذي وصل الى هذه البلاد في بداية القرن الثاني للهجرة (١٤٦) .

وكان القائمون على المذهب في البصرة قد انتهزوا فرصة السلام والهدوء اللذين نعموا بهما أثناء حكم سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧م) ، وحكم عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩) ، نظرا لاحتضان الأول لليمنية وارتفاع شأن المهالبة في البصرة والمشرق كله في عهده حتى كان زعيمهم يزيد ابن المهلب هو حاكم هذه البلاد نيابة عن بني أمية ، وكان الثاني وهو الخليفة العادل قد سالم الفرق المعارضة وناظرها وأرسل له الأباضية وفدا لهذا الغرض كما سبق القول ، مما نتج عنه أن ساد السلام والهدوء في العلاقات بين الدولة وبين الأباضية في البصرة في عهد هذين

---

(١٤٦) أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ٤١ ، سليمان الباروني : الأزهار الرياضية ، جـ ٢ ص ٣٥ ، الحريري : ص ٧٧ ، ٨٠ ، عوض خليفات : ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

الخليفتين . نقول أن أئمة المذهب في البصرة انتهزوا هذه الفرصة وأرسلوا دعاتهم الى كثير من البلدان النائية حتى يضمنوا نجاح دعوتهم ، فكان سلمة بن سعد هو الداعية الذي أرسله أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي إمام الكتمان الذي خلف جابر بن زيد في قيادة المذهب والعمل على نشره ، الى مصر وبلاد المغرب لنشر الدعوة فيها (١٤٧) . وقد بلغت حماسة هذا الداعية أنه كان يتمنى أن يظهر المذهب في بلاد المغرب ولو يوما واحدا لايبالي بعده أن يموت غير نادم على الحياة (١٤٨) .

وقد اتبع سلمة وغيره من الدعاة الذين لم تذكر لنا المصادر الأباضية وغيرها أسماءهم ، أسلوبا فريدا في نشر المذهب . ذلك أنهم بعد أن استقر بهم المقام رفعوا شعارات كانت تجد صدى كبيرا لدى البربر ، منها المساواة والعدالة والأخوة الاسلامية ، ورفع الظلم وإخبار البربر أن الظلم الذي يجدونه عند ولاة بني أمية إنما هو من صنع هؤلاء الحكام والولاة وليس من الاسلام في شيء . فانضم الناس إليهم واعتنقوا دعوتهم في أعداد كبيرة ، ولم يلبث هؤلاء الدعاة أن اختاروا بعض شباب المصريين والبربر للذهاب إلى موطن المذهب في البصرة ليتلقوا أصول المذهب على أيدي أئمته وشيوخه الكبار ، ثم يعودون إلى بلادهم ويقومون بنشره بين أهليهم ، فذلك أجدى وأنفع ، لأنهم بطبيعة الحال أعلم بلغة الأهالي وبعاداتهم وتقاليدهم (١٤٩) . وقد نجح هؤلاء الدعاة الوطنيون في نشر المذهب نجاحا عظيما بعد أن أصبح الأمر مهيأ لهذا النجاح نتيجة للأسباب والعوامل التي سبق أن تحدثنا

---

(١٤٧) أبو زكريا : ص ٤١ ، الدرجيني : جـ ٢ ص ١١ ، ١٢ ، الشماخي : جـ ١ ص ٩٠ ، ٩١ .
(١٤٨) أبو زكريا : ص ٤١ ، سليمان الباروني : جـ ٢ ص ٣٥ .
(١٤٩) عوض خليفات : ص ١٠٨ .

عنها من قبـــل .

أما هؤلاء الدعاة الوطنيون الذين عرفوا باسم حملة العلم فقد جاءوا الى البصرة من مصر ومن بلاد المغرب . أما مصر ، فقد جاء منها شعيب بن المعروف (١٥٠) ، وأبو اسحاق ابراهيم ، ومحمد بن عباد ، وابن اليسع ، وعيسى بن علقمة ، وأبو المؤرج عمر بن محمد ، وأمثالهم (١٥١) . ولانعرف متى جاء هؤلاء المصريون الراغبون في تعلم أصول المذهب الى البصرة على وجه التحديد ، ويبدو أنهم وصلوا إليها في مستهل القرن الثاني للهجرة عقب حضور سلمة بن سعد الى مصر ، واستمروا في دراسة المذهب في البصرة زمنا لايمكن تقديره ، ويبدو أن بعضهم تردد عليها أكثر من مرة ، وخالف بعضهم أبا عبيدة والربيع ابن حبيب من بعده في بعض الأمور الفقهية (١٥٢) ، ولما عادوا الى مصر نشروا المذهب بين الناس واعتنقه على أيديهم عدد كبير من المصريين .

وأما الذين جاءوا من بلاد المغرب فكانوا أربعة أتوا من جهات مختلفة ومن قبائل مختلفة ، وهم عبد الرحمن بن رستم الفارسي الأصل ، وعاصم السدراتي ، وأبو داود القبلي النفزاوي ، واسماعيل بن درار الغدامسي ، وانضم اليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح

---

(١٥٠) ورد اسم شعيب بن المعروف عند الشماخي (السير : جـ ١ ص ١٠١ ، ١١٠ ، ١٣١ ، ١٣٣) بأشكال مختلفة ، فهو شعيب أبو المعروف ، وأبو المعروف شعيب المعرف ، وشعيب أبو المعروف . وورد اسمه في المدونة الصغرى لابن غانم الخراساني (جـ ١ ص ٧) باسم شعيب بن المعروف ، وهو الأصح ، لأن غانما عاش في القرن الثاني للهجرة وكان معاصرا لشعيب ، بينما عاش الشماخي في القرن التاسع والعاشر للهجرة .

ويلاحظ أن أبا زكريا في كتابه سير الأئمة (ص ٩٠) ، والدرجيني في طبقاته (جـ ١ ص ٤٩ ، جـ ٢ ص ٢٧٤) قد أخذا بما ورد في مدونة أبي غانم ، مما يدل على عدم دقة الشماخي وعلى تصحيفه في اسم هذا العالم الأباضي المصري ، مع أن الشماخي هو مجرد ناقل عن الدرجيني .

(١٥١) سالم الحارثي : العقود الفضية ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، سالم السيابي : طلقات المعهد الرياضي ، ص ١٣٣ .

(١٥٢) الشماخي : السيـــر ، جـ ١ ص ٩٧ ، ١٣٤ .

المعافري اليمني الأصل (١٥٣) الذي تعاهد مع زملائه الأربعة على أن تكون وجهتهم واحدة أينما ساروا بعد انتهاء دراستهم في البصرة . وبناء على ذلك فقد رحل أبو الخطاب معهم إلى ليبيا عند عودتهم إلى بلادهم حيث نشروا الدعوة فيها ، وكثر عدد الأباضية في منطقة طرابلس وفي جبل نفوسة وفي ولاية إفريقية والمغرب الأدنى بصفة خاصة والمغرب الأوسط بصفة عامة، وانتهى الأمر باختياره أول امام ظهور للأباضية في عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م (١٥٤) .

ويبدو من دراسة كتب المغاربة من الأباضية أن انتشار المذهب كان سابقا بكثير لوصول حملة العلم الذين أشرنا اليهم ، لأن عودة هؤلاء العلماء لم تكن إلا قرب قيام دولة أبي الخطاب في عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م ، كما أن دراستهم في البصرة لم تتجاوز خمس سنوات . ومعنى ذلك أن المذهب كان منتشرا قبل رحيلهم الى البصرة ، لأن الدولة التي أقامها أبو الخطاب لم تقم إلا على يد البربر من الأباضية ، وكان عدد هؤلاء البربر كبيرا ، ولايمكن أن ينتشر المذهب بين هذا العدد الكبير في يوم وليلة ، ولابد أن هذا الانتشار كان سابقا على عودة حملة العلم الخمسة الى بلاد المغرب بفترة طويلة ، وكان هذا الانتشار نتيجة لجهود سلمة بن سعد وجهود من خلفه من أباضية المغرب (١٥٥) ، أو من وصل بعده من أباضية البصرة الى هذه البلاد منذ مستهل القرن الثاني للهجرة وحتى قيام دولة أبي الخطاب .

والدليل على ذلك أيضا وعلى تزايد إقبال البربر على المذهب الأباضي ، وعلى أنهم صاروا قوة كبيرة قبل قيام دولة أبي الخطاب ،

(١٥٣) أبو زكريا : ص ٥٤ ، ابن الصغير المالكي : هامش ١ ص ٣٠ ، الدرجيني : جـ ١ ص ١٩ ، ٢٠ .

(١٥٤) أبو زكريا : ص ٥٧ — ٥٩ ، علي يحيى معمر : الأباضية في الجزائر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٩م ، ص ١٣٠ .

(١٥٥) سليمان الباروني : الأزهار الرياضية ، جـ ٢ ص ٣٥ .

أنهم تمكنوا من الانتقام لمصرع أول زعمائهم وهو عبدالله بن مسعود التجيبي . وكان إلياس بن حبيب والي طرابلس من قبل أخيه عبد الرحمن بن حبيب الفهري والي إفريقية والمتغلب عليها ، قد قتل هذا الزعيم في عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م ، فحاربه أباضية طرابلس ونفوسة وقتلوه ، وازدادت قوتهم واستولوا على معظم بلاد المغرب الأدنى بعد أن التفوا حول زعيميهم الجديدين عبد الجبار بن قيس المرادي ، وزميله الحارث بن تليد الحضرمي ، حيث كان أحدهما إماما والثاني وزيرا له ، وبفضلهما استولى الأباضية على كل طرابلس والبلاد المحيطة بها كما يقول ابن عبد الحكم ، وهزموا عدة جيوش أرسلها عبد الرحمن بن حبيب ، واستفحل أمر عبد الجبار وزميله الحارث (١٥٦) ، وأقاما أول امامة للأباضية في طرابلس والمغرب الأدنى (١٥٧) ، وهي تعتبر امامة شراء وليست امامة ظهور ، لأنها ماقاما الا بسبب دفع ظلم وبغي (١٥٨) . وقد تمكن عبد الرحمن بن حبيب في النهاية من قتلهما ، وإن كانت هناك رواية تقول بأنهما اختلفا واقتتلا فقتل كل منهما الآخر (١٥٩) .

وطبيعي أنه لايمكن للأباضية في المغرب الأدنى أن يهزموا جيوش عبد الرحمن بن حبيب ويدخلوا طرابلس ويقيموا هذه الامامة ويواصلوا الثورة بعد مقتل الحارث وعبد الجبار بعد فترة كتمان ، إلا إذا كان المذهب قد انتشر انتشارا واسعا بين البربر ، وهو ماحدث بالفعل وخاصة بين قبائل نفوسة وهوارة وجريشة (١٦٠) . كما لم يكن لأبي الخطاب وهو الذي تولى أول إمامة ظهور أن يقيم هذه الإمامة إلا إذا

(١٥٦) ابن عبدالحكم : ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، الظاهر أحمد الزاوي : ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
(١٥٧) سالم الحارثي : العقود ، ص ٢٣٧ .
(١٥٨) الدرجيني : جـ ١ ص ٢٤ ، محمد عيسى الحريري : ص ٦٤ .
(١٥٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٢٥ .
(١٦٠) أبو زكريا : ص ٥٧ ، ٦٨ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٢٥ .

كان عدد الأباضية لايقل عن عدد نصف مخالفيهم على الأقل ، أو اذا أنسوا في أنفسهم القوة الكافية لإقامة هذه الامامة كما تقول بذلك قواعد المذهب نفسه (١٦١) .

والدليل على ذلك هو ماقاله أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة لحملة العلم المغاربة عندما أرادوا العودة الى بلادهم وسألوه عما يفعلون إذا توافرت لديهم في بلادهم القوة الكافية ، أيقيمون على أنفسهم إماما ..؟ فرد عليهم بالموافقة والتأييد وأشار الى أبي الخطاب ، مما يعني اختياره لهذه المهمة ، وأمرهم بقتله إن أبي (١٦٢) .

وبالفعل فقد تمكن أبو الخطاب من إقامة أول إمامة ظهور ، وأقام للأباضية أول دولة لهم في بلاد المغرب الأدنى ، ولم يكن ذلك إلا لتوافر عدد الأباضية ، ولم يكن هذا التوافر إلا بسبب انتشار المذهب بين كثير من البربر ، ولم يكن هذا الانتشار إلا نتيجة لنشاط الدعاة الكبير في هذه الفترة ، وكان وصول حملة العلم الخمسة دعما للدعوة والدولة ، فقد قادوا الجيوش تحت لواء أبي الخطاب ، وتولوا ولاية البلدان نيابة عنه (١٦٣) ، وصار أحدهم وهو عبد الرحمن بن رستم رأس الدولة الأباضية الثانية في تاهرت ببلاد الجزائر عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م (١٦٤) ، وعلى يديه وأيدي زملائه انتشر المذهب بين الناس بعد أن أقاموا المدارس وحلقات البحث التي ضمت الكثيرين من الطلاب الذين صاروا بعد أن تعلموا ، دعاة يحملون المذهب الى سائر الأنحاء والبلدان ، ونبغ من بينهم عدد كبير من العلماء والمشايخ الذين

---

(١٦١) عبد الفتاح عاشور ، وعوض خليفات : ص ٨٨ .

(١٦٢) أبو زكريـــا : ص ٥٦ .

(١٦٣) المصدر السابــق ، ص ٦٢ ، ٦٥ .

(١٦٤) ابن الصغير : ص ٢٨ — ٣١ ، أبو زكريا : ص ٨١ — ٨٢ .

تعمقوا في دراسة المذهب حتى وصل كثير منهم إلى مرتبة العلماء الكبار والمفتين ، وقد حفلت كتب الطبقات بأسماء المئات من هؤلاء العلماء ، مما سنعرض لبعضهم حين حديثنا عن العلاقات الثقافية بين أباضية المغرب وأباضية المشرق . هذا عن الوسيلة الأولى التي انتشر بها المذهب الأباضي في مصر وبلاد المغرب ، أما **الوسيلة الثانية** فهي الحج .

ب ــ الحـــــج :

كان الحج من الوسائل الهامة في نشر المذهب الأباضي ، ساعد على ذلك أن الأباضية اشتهروا بكثرة حجهم ، وكان لكثير منهم في البصرة نجائب من الإبل يحملون عليها غير القادرين من إخوانهم الى مكة لأداء هذه الفريضة (١٦٥) . وقد اشتهر إمام المذهب جابر بن زيد بكثرة حجة حتى إنه حج واعتمر أربعا وعشرين مرة (١٦٦) ، وقلده في هذا العمل إخوانه وأتباعه وتلاميذه من الأباضية ، وكان لذلك أثره في ازدياد اللقاء بين علماء المذهب من مختلف الأقطار والأمصار في موسم الحج من جهة ، وفي نشر المذهب في البلدان التي يمر بها هؤلاء الحجاج سواء في رحلة الذهاب أم في رحلة العودة من جهة ثانية ، أم أثناء لقائهم بالحجاج الآخرين من غير الأباضية في مكة من جهة ثالثة .

وقد كانت مصر بحكم موقعها الجغرافي محطة للحجاج الأباضية القادمين من شمال إفريقيا وبلاد السودان ، وكان لابد لهؤلاء الحجاج

---

(١٦٥) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٤٠ ، الشماخي : جـ ١ ص ٨٩ .

(١٦٦) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٠٨ ، سالم الحارثي : ص ٩٩ .

أن يتركوا أثرا فيها ، ذلك أنهم كانوا يقيمون فيها عادة عاما أو بعض عام لمن يريد الحج مرة واحدة ، وعدة أعوام لمن يفضل أداء هذه الفريضة عدة مرات متتالية . والأمثلة على ذلك كثيرة وردت في كتب الأباضية المغاربة ، منها ماحكاه لنا ابن سلام الأباضي عن أحد العلماء المغاربة من الأباضية والذي كان صاحبا لحماد النفوسي من أن هذا العالم حج قبل عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م ، وجاور بمكة سنة ثم حج مرة ثانية ، ثم انصرف إلى مصر وأقام بها ثم أعاد الحج من مصر للمرة الثالثة ، وعاد الى بلاده والتقى به ابن سلام بعد عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م في مدينة تافيلالت المعروفة بسجلماسة في بلاد المغرب الأقصى (١٦٧) .

ويشير الشماخي الى عالم مغربي أباضي كبير هو أبو المنيب محمد ابن يانس النفوسي الذي كان معاصرا للامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، والذي كان من ثقات العلماء دارسا لتفسير القرآن كله مشهورا بالكرامات (١٦٨) ، من أنه رحل الى مصر تمهيدا للسفر الى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج . ويظهر من كلام الشماخي أن هذا العالم أدي هذه الفريضة مرات عديدة ، إذ يقول عنه إنه ''قسم عمره بين طلب العلم والزيارة والحج ، فعام للحج وعام يذهب زائرا إلى تيهرت عند الإمام ، وعام يقرأ العلم عند إسماعيل بن درار الغدامسي — وهو أحد حملة العلم الخمسة الذين أشرنا إليهم من قبل — وعام يتعبد فيه في مشاهد الجبل'' (١٦٩) . وعلى ذلك فقد كان هذا العالم يمر بمصر كل أربع سنوات ، ولابد أنه كان يلتقي بمن

---

(١٦٧) ابن سلام الأباضي : الاسلام وتاريخه من وجهة نظر أباضية ، تحقيق شفارتز ، وسالم يعقوب ، دار اقرأ للنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م ص ١٣ .

(١٦٨) الشماخي : السير ، جـ ١ ص ١٣٧ ، أبو زكريا : ص ١٠٣ .

(١٦٩) الشماخي : جـ ١ ص ١٣٧ ، ١٤٥ — ١٤٨ .

فيها من علماء الأباضية وحملة العلم المصريين الذين أشرنا اليهم من قبل ، ولابد أن ذلك سوف يدعم الحركة الأباضية في مصر ويعمل على نشر المذهب فيها .

• وكان لقاء حجاج الأباضية من عمان والبصرة في مكة بالحجاج المصريين والمغاربة لاشك له تأثيره الكبير في تدعيم المذهب ونشره بين غيرهم من الناس . فقد كان جابر وأبو عبيدة والربيع بن حبيب وغيرهم من علماء المذهب يعقدون حلقات العلم والبحث والمناظرة في مكة والمدينة أثناء موسم الحج وبعده وقبله حيث كانوا يردون على الأسئلة ويلقون الفتاوي وينشرون العلم (١٧٠) ، ويبينون عقائد المذهب وما يهدف اليه من إقامة العدالة والمساواة ، فكان كثير من الحجاج المصريين والمغاربة نتأثرون بهذه الأقوال فلا يلبثون أن يتحولوا إلى هذا المذهب ، وبعد العودة إلى بلادهم كانوا يلجأون الى مشايخ المذهب الموجودين في هذه البلاد يأخذون عنهم ويتلقون العلم على أيديهم . ولذلك كان الحج من أهم الوسائل لنشر المذهب بين كثير من الناس في مصر والمغرب ، خاصة وأن الأئمة الرستميين كانوا لايفترون عن التشجيع على أداء هذه الفريضة ، وكانوا هم أنفسهم يقومون بها .

والدليل على ذلك أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ارتحل من تاهرت بالجزائر الى جبل نفوسة بليبيا متوجها الى بلاد الحجاز لأداء هذه الفريضة ، ولكن علماء الأباضية في مصر والبصرة أفتوه أو نصحوه ألا يحج خوفا عليه من عدوان العباسيين (١٧١) . ورغم هذه المخاوف فقد ذهب أحفاده الى بلاد الحجاز للحج ، منهم حفيده

---

(١٧٠) ابن سلام الأباضي : ص ١٣ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٤٥ ، ١٤٨ .
(١٧١) الشماخي : جـ ١ ص ١٤٠ .

محمد بن أفلح الذي تمكن عمال بني العباس من القبض عليه في مكة وحملوه منها إلى بغداد حيث سجن بها ، وظل سجينا فترة طويلة من الزمن ثم عاد إلى وطنه في النهاية . كما ذهب يقظان بن الإمام أبي اليقظان إلى بلاد الحجاز لنفس الغرض في عام ٢٨١هـ/ ٨٩٤م (١٧٢) .

وكان المغاربة الأباضية لايقلون حماسا عن أئمتهم في أداء هذه الفريضة ، وكان من السهل عليهم أن يقوموا بها دون خوف من أخطار التعرض لأذي عمال بني أمية أو بني العباس . ذلك أنهم كانوا يتظاهرون بالعمل في التجارة ، وكانوا يخرجون في صحبة التجار وقوافلهم ، ولذلك كثر حجهم . وتذكر المصادر الأباضية أن أباضية جبل نفوسة في عهد الإمام عبد الوهاب كانوا أكثر الناس حجا ، إذ كانوا يحجون مصطحبين معهم نساءهم وأولادهم . وقد بلغ من كثرة عددهم أنه ولد لهم في ركب واحد ثلاثمائة من الأولاد الذكور فقط (١٧٣) .

وتتوارد الإشارات عن قيام الأباضية بأكثر من رحلة للحج . فيذكر الدرجيني أنه كان لأبي مهاجر موسى بن جعفر الأفطاني أتان أي حمار حج عليها سبع مرات (١٧٤) ، كما أن أبا الحسن التويغتي الذي كان من السادات الأخيار والذي كان قد جمع علما وفقها كثيرا حج على أتان له سبع مرات أيضا (١٧٥) ، وأن أبا محمد يتر الشيخ الواغلاني والذي اشتهر بالصلاح والتقوى ، بني سبع مساجد وحج سبع حجات (١٧٦) . وكذلك أبو طاهر اسماعيل بن علي النفزاوي

(١٧٢) ابن الصغير المالكي : ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٨٣ .

(١٧٣) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٢٥ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٩٥ .

(١٧٤) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٠٧ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(١٧٥) الشماخي : جـ ٢ ص ١٨٧ .

(١٧٦) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٤٥ .

الذي كان عالما ورعا تقيا ، جاور بمكة حتى حج بالأيام السبعة ، أي أنه حجر سبع مرات كل واحدة منها كانت تقع في يوم معين من أيام الأسبوع ، ولايتأتى ذلك إلا بطول إقامته في مكة . وقد أفادته هذه الإقامة الطويلة في تأليف ديوان كبير (١٧٧) . وقد بلغ من عشق الأباضية لأداء هذه الفريضة أنهم كانوا إذا أرادوا مدح انسان قالوا عنه : ''كان أبوه حاجا صالحا وكذا جده ، وهو الحاج حجاج ...'' (١٧٨) .

لم تكن كثرة الحج قاصرة على أباضية نفوسة أو تاهرت ، بل كانت كذلك في غيرهما من البلدان التي يعيش فيها الأباضية ، حتى ولو كانت هذه البلدان في غياهب الصحراء ، فلم تمنعهم صعوبة الطرق ومشاق السفر والتعرض للأخطار عن أداء هذه الفريضة . وتشير المصادر إلى قيام أهل مدينة ورجلان الأباضية ، وهي مدينة تقع في الصحراء الجزائرية ، بأداء هذه الفريضة (١٧٩) . كما تخبرنا المصادر أيضا بأن أهل مدينة زويلة التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى على مشارف بلاد تشاد كانوا من الأباضية وكانوا ''كلهم يحجون البيت الحرام'' (١٨٠) .

ولاشك أن الحجاج المغاربة والمصريين والسودان كانوا يلتقون في مكة أثناء موسم الحج بعلماء الأباضية العمانيين والبصريين وغيرهم ، وكانوا يأخذون عنهم ويتعلمون على أيديهم ، ثم يعودون الى بلادهم حيث يعلمون إخوانهم ماعرفوه وما تعلموه ، ويبثون بينهم مبادئ

(١٧٧) المصدر السابــق ، جـ ٢ ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(١٧٨) المصدر السابــق ، جـ ٢ ص ٢٠٤ .

(١٧٩) المصدر السابــق ، جـ ٢ ص ١١٨ .

(١٨٠) اليعقوبي : كتاب صفة المغرب المأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي ، ليدن ، سنة ١٨٥٠م ، ص ٦ ، ٧ ، ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ليدن ، سنة ١٨٩١م ، ص ٣٤٥ .

الأباضية في المساواة والعدالة فيزداد المذهب انتشارا كبيرا ، لاسيما وأن هناك وسيلة ثالثة غير الدعاة والحج دفعت بهذا الانتشار الى أوسع مدى ، تلك الوسيلة هي التجارة .

جـ ـ التجـــــارة :

كانت التجارة وسيلة من أهم الوسائل التي انتشر بها المذهب بين كثير من الناس في مصر والمغرب ، وربما فاقت في ذلك غيرها من الوسائل التي تحدثنا عنها ، لأن الحج له مواسمه المحددة بزمن معين ، أما التجارة فهي عمل لاينقطع ، إذ كانت قوافل التجارة ترد من البصرة وعمان الى جدة ومنها الى مصر ثم الى بلاد المغرب طول العام ، كما كانت قوافل التجارة المغربية ترد الى مصر ومنها الى بلاد المشرق ومنها عمان والبصرة بصفة مستمرة .

وقد قامت مصر كما هو واضح بدور هام في هذا التبادل التجاري الذي قام بين المشرق والمغرب ، وكانت تمثل حلقة الوصل أو المحطة الرئيسية التي كانت تعبر عليها التجارة بين عمان والبصرة من جهة وبين بلاد المغرب من جهة أخرى (١٨١) ، ولذلك انتشر فيها المذهب الأباضي على يد التجار الأباضية القادمين سواء من المشرق أو من المغرب حتى وصل هذا المذهب في مسراه الى الواحات التي تقع في صحراء مصر الغربية (١٨٢) . كما انتشر أيضا بين البربر وفي كثير من أنحاء المغربين الأدنى والأوسط ووصل في زحفه حتى وصل الى مدينة

---

(١٨١) المقدسي : ص ٧٩ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ٦٠ ، ١٤٧ — ١٤٨ ، ابن حوقل : صورة الأرض (المسالك والممالك) ، مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٧٩م ، ص ٤٧ .

(١٨٢) الكندي : ص ١٥٣ ، صالح باجية : الأباضية بالجريد ، ص ٣١ .

زويلة التي تعتبر أول حدود بلاد السودان ، إذ أخبرنا اليعقوبي وابن رستة بأن أهل هذه المدينة كانوا أباضية (١٨٣) ، كما أخبرنا الدرجيني بأنها كانت الملاذ للأباضية الهاربين من بطش الفاطميين فيما بعد (١٨٤) .

ومن الأسباب التي أدت الى اعتناق أهل هذه المدينة الضاربة في الصحراء للمذهب الأباضي ، تدفق التجار الأباضية القادمين من البصرة والمشرق عليها وعلى طرابلس والقيروان وتاهرت وغيرها من بلدان المغرب (١٨٥) ، مما أدى الى انتشار المذهب ليس بين أهل زويلة فقط ، ولكن بين كثير من قبائل البربر التي تسكن هذه البلدان ، مثل قبائل نفوسة وهوارة ومزاتة وهرشة (١٨٦) ، ومغيلة ومغراوة وبني يفرن الزناتيين وكتامة (١٨٧) ، وفي كثير من البلدان مثل طرابلس ، وجبل نفوسة ، ونفزاوة ، ولاوجة ، وباديس ، وبسكرة بالجزائر ، وقسطيلية ، وقفصة ، ونفطة ، والحامة بتونس ، وسماطة ، وبشرى (١٨٨) ، وسجلماسة (١٨٩) ، وبلاد بني بزرال وبني دمر الزناتيين التي تقع على حدود المغرب الأقصى ، وواحة الأغواط في جنوب بلاد الجزائر الحالية (١٩٠) .

وانتشار المذهب الأباضي بين هذه القبائل وفي هذه البلدان دليل

---

(١٨٣) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٧ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٣٤٥ .

(١٨٤) طبقات المشائخ بالمغرب ، جـ ١ ص ١٢٤ — ١٣٠ ، ١٥٦ .

(١٨٥) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٦ ، ابن الصغير : ص ٣٦ — ٣٧ ، البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ليدن ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩١١م ، ص ١٠ .

(١٨٦) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٥ ، أبو زكريا : ص ٦٨ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٨٧ .

(١٨٧) الظاهر أحمد الزاوي : ص ١٢٢ .

(١٨٨) ابن حوقل : ص ٩٣ .

(١٨٩) ابن الصغير : ص ٩٧ .

(١٩٠) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٦٣ ، ابن رستة : ص ٣٥٢ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٠م ، ص١٠٦ .

واضح على أثر التجار الملحوظ في هذا المجال ، أما نشاطهم التجاري وعلاقاتهم التجارية التي قامت بينهم وبين إخوانهم في كل من عمان والبصرة من ناحية ومصر والمغرب من ناحية أخرى ، فمجالها هو الفصل الثاني الذي نخصصه للحديث عن هذه العلاقات وعن غيرها من أنواع العلاقات الأخرى .

واذا كان للتجار والدعاة وحملة العلم والحجاج كل هذا الأثر في نشر المذهب الأباضي في كل من مصر والمغرب منذ بداية القرن الثاني للهجرة ، فياترى ماهي مظاهر هذا الانتشار..؟ ومامداه ..؟ وهل كان نجاح الحركة الأباضية في مصر بنفس الدرجة التي شهدتها بلاد المغرب ..؟ واذا لم يكن الأمر كذلك فما هي الأسباب ..؟ .

٣ ــ مظاهر انتشار المذهب الأباضي في مصر والمغرب :

وفي حديثنا عن مظاهر انتشار المذهب الأباضي في مصر وبلاد المغرب لابد أن نشير في هذا الحديث إلى العلماء الذين اعتنقوه ، وإلى القبائل التي انتشر فيها ، والبلدان التي وصل اليها ، والدول التي أقامها أو التي قامت بجهود رجاله وعلمائه . ولابد في ذلك من حديث عن مصر أولا ، ثم عن بلاد المغرب ثانيا .

أ ــ مظاهر انتشار المذهب الأباضي في مصر :

لاشك أن حملة العلم المصريين الذين أشرنا اليهم من قبل والذين كانوا قد ذهبوا الى البصرة لتلقي أصول المذهب على يد إمامه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي في الربع الأول من القرن الأول للهجرة ، عادوا إلى مصر بعد أن أنهوا دراستهم في البصرة ، وأخذوا ينشرون

المذهب بين المصريين ، وصاروا علماء المذهب ودعاته الكبار ، ونبغوا في العلم والفقه حتى وصلوا الى درجة الفتيا ، مما جعلهم يتمتعون بقدر كبير من الاحترام بين مواطنيهم من المصريين ، ومن الحكام أيضا ، حتى كان المصريون يستشيرونهم فيما أشكل عليهم من أمور ومشاكل ، تماما كما كان الحال في البصرة بالنسبة لجابر بن زيد ولأبي عبيدة وزملائه .

وقد وصل صيت هؤلاء العلماء المصريين الأباضية إلى تاهرت عاصمة الدولة الرستمية الأباضية ، فكان أئمتها يرسلون رسلهم وكتبهم يطلبون منهم الفتوى عندما كان ينشب بينهم خلاف فقهي أو سياسي . والأمثلة على ذلك كثيرة . فعندما أراد الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إمام الدولة الرستمية أن يأخذ الفتوى في بعض المسائل لم يكتف بالاتصال بإمام الأباضية في البصرة الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي ، وإنما أرسل أيضا إلى المفتي الأباضي المصري محمد ابن عباد (١٩١) .

ولم يكن محمد بن عباد يستفتي من الحكام فقط ، إنما كان يستفتي أيضا من عامة الناس الذين كانوا يأتون إليه من أنحاء مصر أو من بلاد المغرب (١٩٢) . وكذلك كان أبو ابراهيم موفق المصري . فقد كان فقيها مفتيا بمصر ، وكانت داره في حي من أحياء الفسطاط يسمى حضرموت ، وكان هذا الشيخ عالما بالقرآن فقيها مشهورا التقى به والد ابن سلام الأباضي المغربي ، وكانا يتكاتبان ويتراسلان ، ومن هذه المكاتبات استدل ابن سلام على مكان سكنى هذا العالم في مدينة

(١٩١) ابن سلام الأباضي : ص ١٣١ ، أبو زكريا : ص ٨٩ ، ٩٧ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٩ ، ٦٩ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٠ .

(١٩٢) الشماخي : جـ ١ ص ١١٢ ، ١٩٨ ، ويشير الشماخي إلى وجود عالم أباضي آخر بنفس الأسم وهو محمد بن عباد ، ولكنه فقيه مدني . انظر ، السير جـ ١ ص ١١٢ ، ١١٣ .

الفسطـــاط (١٩٣) .

ومن المصريين الأباضيين المشهورين أيضا ، الشيخ الطاهر عيسى ابن علقمة المصري الذي كان من متكلمي الأباضية في مصر ومن حذاق علمائها ، فقد عارض في كتاب له يسمى ''التوحيد الكبير'' من قال بأن أسماء الله مخلوقة وصفاته محدثة ، وأتي بأدلة كافية للإقناع التام في هذه المسألة (١٩٤) .

وهناك أيضا ابن اليسع الذي قال عنه الشماخي أنه من أهل مصر ، وأنه كان شيخا فاضلا مشهورا ثريا كريما ، فقد جعل هذا الشيخ أجر أو ريع تأجير عشرة فنادق مما يمتلكه من عقارات كثيرة ، صدقة لفقراء المسلمين (١٩٥) . والمقصود بالمسلمين عند الأباضية هم المسلمون ممن يعتنقون المذهب الأباضي . ومعنى ذلك أن المذهب كان منتشرا سواء بين الأغنياء أو الفقراء من المصريين ، وإلا لما خصص هذا الثري الأباضي المصري هذه الأموال الوفيرة للتصدق بها على فقراء الأباضية المصريين .

ومن الأباضية المصريين المشهورين الذين وصلوا الى درجة الفتيا وكان لهم في التاريخ الأباضي دور معروف ، هو شعيب بن المعروف . وكان لهذا العالم المصري مكانة كبيرة عند الأباضية حتى إن الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم استفتاه إلى جانب الربيع بن

(١٩٣) ابن سلام الأباضي : ص ١٣٦ ، الشماخي : جـ ١ ص ١١٢ ، ولعل أبو ابراهيم موفق المصري هو نفسه أبو اسحاق ابراهيم المصري الذي أشار اليه الشماخي ، انظر ، السير للشماخي ، جـ ١ ص ١١٢ .

(١٩٤) الشماخي : جـ ١ ص ١١٢ ، ويشير الشماخي (جـ ١ ص ١١٢) الى وجود عالم أباضي آخر يحمل نفس الاسم وهو عيسى بن علقمة ، ولكنه مكي ، من هنا نفهم لماذا حرص هؤلاء الكتاب على تذييل أسماء العلماء الأباضيين المصريين بكلمة ''المصري'' .

(١٩٦) المصدر السابـــق ، جـ ١ ص ١١٢ .

حبيب عندما ثار النزاع بينه وبين يزيد بن فندين الذي لم يعطه الامام عبد الوهاب منصبا أو ولاية . وقد بلغت مكانة شعيب هذا وقوة نفوذه وعظم أمره أن طمع في حكم تاهرت وفي تولي الامامة فيها ، مستغلا ذلك الخلاف الذي كان قد نشب بين ابن فندين وعبد الوهاب ، فخرج من مصر مسرعا الى تاهرت حيث شارك في الأحداث التي أدت الى مقتل ابن فندين وفشله هو في تحقيق أهدافه في الامامة ، فعاد الى طرابلس يجر أذيال الخيبة والفشل (١٩٦) .

ومما يلفت النظر في أمر هذه الأحداث التي اشترك فيها شعيب ابن المعروف المصري قول أبي زكريا صاحب كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، أن شعيبا هذا ''خلا بطائفة من أصحابه ، منهم أبو المتوكل ، واتفقوا على المسير الى تاهرت ، فخرج في نفر من أصحابه بغير مشورة مشايخ مصر طمعا في الامارة . وقد كان بها (أي بمصر) لجماعة المسلمين (أي الأباضية) مشائخ ذوو فضل وعلم وورع ..'' (١٩٧) . ومعنى ذلك أن المذهب أصبح له في مصر جماعة كبيرة وأتباع كثيرون ، وأنه كان لهذه الجماعة وهؤلاء الأتباع مشايخ عديدون منهم شعيب هذا ، وكان هؤلاء المشايخ يمثلون مجلس الشورى الذي يصدر الفتوى ويفصل في الأمور المتنازع عليها ، ويمثل أيضا قمة السلطة بالنسبة للأباضيين المصريين عامة . فالمذهب على هذا النحو كانت له قواعد منتشرة بين عامة الناس ، وكانت له قمة تتمثل في هؤلاء المشايخ ، وأن هؤلاء المشايخ كما يفهم من النص لم يكونوا قليلي العدد ، فشعيب وحده كان له أصحابه ورفاقه الذين تأثروا به ووافقوه على رأيه وساعدوه في تحقيق أهدافه ، منهم أبو المتوكل الذي أشار اليه

---

(١٩٦) أبو زكريا : ص ٨٩ — ٩٧ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٩ — ٥٥ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٣٠ — ١٣٤ .

(١٩٧) أبو زكريا : ص ٩٠ — ٩٢ ، الشماخي : جـ ١ ص ٢٣٢ .

النص ، مما يدل دلالة مؤكدة على عظم انتشار المذهب في مصر ، حتى أصبح لهذا المذهب علماء عديدون ومشايخ كثيرون ، وأتباع لايقدرون كثرة .

ولم يكن هؤلاء الذين أشرنا اليهم حتى الآن هم كل علماء المذهب وشيوخه في مصر ، فهناك غيرهم كثيرون ، يتبين ذلك مما ورد عند ابن سلام الأباضي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة من أسماء العديد من هؤلاء العلماء ، مثل أبي عثمان وموسى وهاشم بن نصر ، ومحمد بن نصر ، وأبي أيوب وائل حضرمي ، ومحمد بن عبد الملك الحجازي الذي كان يسكن فوق مكان تصنع فيه المحامل ، ولعله يقصد بالمحامل الكسوة التي كانت ترسل الى مكة من مصر كل عام . وقد قابل ابن سلام وزميله سدرات النفوسي هذا العالم المصري في مصر قبل عام ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م (١٩٨) .

وقد أتي الى مصر شيخ وعالم من علماء الأباضية بالمغرب وأقام فيها وسكنها واتخذها موطنا وصار من علمائها وأهلها . هذا العالم هو أبو خزر يغلي بن زلتاف الوسياني الذي كان قد شارك في ثورة ضد المعز لدين الله الفاطمي عندما كان المعز في بلاد المغرب ، ثم عفا عنه المعز وقربه اليه ، ولما جاء المعز الى مصر وانتقل إليها واتخذها دار ملكه صحبه معه ، فصار يتصدر المجالس ويعلم طلبة العلم ما أرادوه من فنون العلم المختلفة ، مثل علوم القرآن والحديث والأصول والفقه واللغة العربية والسيرة (١٩٩) .

وبطبيعة الحال فإن العالم أو الفقيه الأباضي لن يلتف حوله إلا

---

(١٩٨) ابن سلام الأباضي : ص ١٣٦ .

(١٩٩) أبو زكريا : ص ٢١٤ — ٢٣١ ، الدرجيني : جـ ١ ص ١٢٠ .

الأباضيون ، مما يدل على كثرة هؤلاء الطلاب الذين كانوا يستفيدون من علم هذا الشيخ ، كما كان يستفيد منه غيرهم من الطلاب الآخرين الذين كانوا في الغالب يعجبون بما كان لدى هؤلاء العلماء الوافدين أو المقيمين من علم وفقه ، فلا يرون بأسا في أن يجلسوا إليهم ويستفيدوا بما عندهم ، مع مخالفتهم لهم في المذهب .

وهذا ماحدث بالنسبة لهذا العالم الأباضي الكبير ، إذ جذب علمه وفقهه الغزير الكثير من طلاب مصر مما أثار حسد علمائها وفقهائها حتى أنهم أرادوا امتحانه واختباره للوقوف على مبلغ علمه وفقهه ، ولكنهم في النهاية تراجعوا وخافوا قوة حجته وبيانه ، مما يدل على أن شهرته كانت معروفة لديهم قبل مجيئه الى مصر ، ولما وصل اليها تأكدت لديهم هذه الحقيقة ، ومن ثم تركوا مناظرته ، وقام المعز لدين الله الفاطمي ورفع من شأنه وقدره ، وأقطعه ''ديارا وعقارا ومستغلات'' (٢٠٠) ، فحسنت حاله وازداد التفاف الطلاب الأباضية حوله ، مما يدل بشكل واضح على وجود هذا النفر من الأباضية المصريين وعلى طلبهم للعلم ، وعلى قيام مجالس العلم الأباضية ، وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة وفي عصر الدولة الشيعية .

وقد ظل هذا العالم الأباضي رفيع القدر عظيم الشأن حتى مات المعز وتولى ابنه العزيز (٣٦٥ ــ ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ ــ ٩٩٦م) حكم مصر ومايتبعها من بلدان الخلافة الفاطمية . ويبدو أن هذا الخليفة لم يحفل بأبي خزر احتفال أبيه به ، فلم يتفقده ولم يصله بما كان يصله به والده ، فتعرض أبو خزر للعوز والفقر ، ولكنه كتم ذلك وصبر حتى قدم الى مصر أحد علماء المعتزلة يطلب مناظرة علمائها ، ولما

---

(٢٠٠) أبو زكريا : ص ٢٣١ ــ ٢٣٨ ، الدرجيني : جـ ١ ص ١٤٠ ــ ١٤٣ ، الشماخي : جـ ٢ ص ٣٣ ــ ٤١ .

تغلب عليهم واحدا بعد الآخر وأعيت الحيلة الخليفة العزيز ، دله بعض رجاله على أبي خزر ، فأتي هذا العالم الأباضي إلى المعتزلي وناظره وأفحمه وغلبه ، عندئذ اعتنى به العزيز وبره ورفع من شأنه وقدره (٢٠١) .

وقد ظل الوجود الأباضي في مصر حتى بعد انقضاء عصر الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٧هـ/ ١٧١٢م وقيام الدولة الأيوبية في ذلك العام . فقد اعتنى صلاح الدين الأيوبي رأس هذه الدولة ومؤسسها بطلبة العلم من الأباضية حتى إنه أسكنهم جامع أبي العباس أحمد بن طولون الواسع ، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر ، وجعل حكمهم إلى واحد منهم يمتثلون لأمره ويخضعون لطاعته ، ويصدر أحكامه فيما يحدث بينهم من مشاكل أو خلافات . ومعنى ذلك أنه لم يجعل لأحد من أرباب الدولة وحكامها وموظفيها أي سلطان عليهم ''لما علمه من سلامة بصيرتهم وصحة عقيدتهم واحترامهم للتكاليف الشرعية وحزمهم وتوقفهم في المشكلات والشبهات وطهارة ذيلهم من الضلالات'' ، ولذلك نعموا بحياة السلم والسكينة والهدوء وتمتعوا برعاية الدولة واهتمامها ، ومن ثم ''تفرغوا لطلب العلم والعبادة ووجدوا من فضل السلطان أفضل معين على الخير الذي هم بسبيله'' (٢٠٢) ، فاتسع نشاطهم وكثر عددهم حتى صار لهم رواق في الجامع الأزهر عند رواق المغاربة ورواق السعد التفتازاني والمالكية (٢٠٣) ، وكانت لهم مدرسة بحي طولون في القرن الحادي عشر للهجرة ، وكان علماؤهم يدرسون للطلاب في الجامع

---

(٢٠١) المرجعين السابقين ، ونفس الصفحات .

(٢٠٢) محمد يوسف أطفيش : رسالة إن لم تعرف الأباضية يا عقبي يا جزائري ، ص ٣ .

(٢٠٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

الأزهـــــر (٢٠٤) .

وبطبيعة الحال فإن المذهب الأباضي لم يكن ذا وجود في القاهرة وحدها ، بل إنه انتشر بالطبع في أجزاء مختلفة من البلاد ، والدليل على ذلك أنه وصل الى أقصاها من ناحية الغرب ، فقد انتشر بين سكان الواحات الضاربة في أعماق صحراء مصر الغربية (٢٠٥) . وفي هذا الصدد فإننا لانزعم أو ندعى أن انتشار المذهب الأباضي بلغ من المصريين مبلغه ، إنما كان انتشارا مهما قيل في شأنه انتشارا محدودا بحكم كثافة سكان مصر وكثرة عددهم . هذه الكثافة التي تجعل أي نشاط أو فكر لايتفق مع الدولة الحاكمة فكر أقلية مهما علا شأنه أو سما وضعه أو جل قدره .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فان مصر كانت ولاية تابعة لبني أمية ثم لبني العباس ، وظلت على هذا الوضع من التبعية حتى عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م عندما قامت فيها الدولة الطولونية . ومعروف أن الأمويين والعباسيين يتبعون مذاهب السُّنة ويعملون على دعمها ونشرها ، وكانوا يتصدون للمذاهب الأخرى التي تعارض هذه المذاهب ، وكان ولاتهم في الأمصار المختلفة يقومون على تنفيذ هذه

---

(٢٠٤) فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة ، المعهد القومي للآثار والفنون ، تونس ، سنة ١٩٧٥م ، ص ٢٢٥ ، ٢٥٨ .

وتفيد بعض المراجع بأن الأباضية ظل لهم وجود في مصر حتى وقت متأخر ، فيشير محمد ابن يوسف أطفيش (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) الى أن جامع ابن طولون مازال يوجد به الطلبة الأباضية ، وأن وكالة الجاموس التي يوجد بها هذا الجامع موقوفة عليهم وأنها تخصهم وحدهم دون غيرهم ، وأنه لازال يوجد في عصره بعض الدعاة الذين كانوا يدعون الى المذهب الأباضي ، مثال ذلك قاسم بن سعيد الشماخي العامري ، ومصطفى بن اسماعيل العمري الفارضي . ومحمد ابن يوسف الأباضي بوكالة الأباضية بحي طولون بالقاهرة . (انظر : رسالة إن لم تعرف الأباضية ، ص ٢ ، ٤) . وقد أشار الدكتور فرحات الجعبيري أيضا الى وجود هذه الوكالة والى وجود مطبعة تطبع فيها الكتب الأباضية ، ومكتبة تسمى المكتبة البارونية ، وهي مكتبة مشهورة تقع قرب مسجد ابن طولون . (انظر ، نظام العزابة ، ص ٢٦١) .

(٢٠٥) الكندي : ولاة مصر ، ص ١٥٣ ، صالح باجية : الأباضية بالجريد ، ص ٣١ .

السياسة ، مما كان له تأثيره الكبير في عدم تمكن المذهب الأباضي من أهل مصر بنفس القدر الذي تمكن به من أهل المغرب .

ذلك لأن المغاربة كانوا في ثورة شبه دائمة ضد حكم بني أمية ، ثم ضد حكم بني العباس ، ولم تصف الحال للأمويين أو العباسيين يوما ما في بلاد المغرب ، بينما كان الحال في مصر على غير ذلك . فقد سكن المصريون كعادتهم الى الهدوء والمسالمة ، وركنوا إلى ولاتهم ، ولم يقوموا إلا بثورات قليلة وغير ذات أثر في تاريخ البلاد . ولم تكن هذه الثورات المحدودة ثورة على العرب أو الاسلام ، وإنما كانت ثورة على الظلم الذي كان يحيق أحيانا بالقبط من قبل بعض الولاة الذين كانوا يزيدون الخراج على هؤلاء القبط ويتعسفون في تحصيله منهم (٢٠٦) . أما المسلمون المصريون فإنهم لم يثوروا ضد ولاتهم إلا في القليل النادر ، ولذلك فإنه لم يتوافر لدعاة الأباضية في مصر نفس الفرصة التي توافرت لزملائهم من دعاة الأباضية في بلاد المغرب ، والتي استغلوها أحسن استغلال في نشر المذهب بين المسلمين من البربر ، حتى كثر عدد الأباضية بين أفراد هذا الشعب زيادة كبيرة ومضطردة ، بينما لم يكن لهم في مصر نفس القدر من العدد والقوة والانتشار لهذه الأسباب وتلك العوامل .

ب — مظاهر انتشار المذهب الأباضي بين البربر في بلاد المغرب :

كان البربر وكما سبق القول يودون التخلص من حكم العرب لما سبق ذكره من أسباب ، ولذلك قاموا بثورات عنيفة ضد حكم بني العباس ، وأضعفوا هذا الحكم ووضعوا أمامه العراقيل ، وكونوا دولا

(٢٠٦) عن ثورات قبط مصر في عصر بني أمية وبني العباس . انظر ، سيدة الكاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ٢٢٤ — ٢٢٨ .

أباضية وغير أباضية ، حتى إنهم في النهاية أرغموا الخلافة العباسية على الاعتراف بالهزيمة والتسليم ، ومن ثم تركت المغرب لأهله بعد أن أضاعت في سبيل إخضاعه الكثير من الجهد والوقت والمال والدماء ، ولم تلبث أن وافقت أخيرا على قيام دولة تصون لها ماء الوجه وتمنع هذه الدول المغربية من الزحف تجاه الشرق ، وكانت هذه الدولة هي دولة الأغالبة التي تمتعت باستقلال كامل في ادارة شئونها الداخلية ، ولم ترتبط بالخلافة إلا بروابط شكلية معروفة (٢٠٧) .

في هذا الجو السياسي المضطرب في بلدان المغرب ، وكما سبق أن ذكرنا ، وصل المذهب الأباضي على يد الدعاة وحملة العلم ، وانتشر بين كثير من البربر الذين درسوا أصول المذهب حتى نبغوا فيه وصاروا علماء ومفتين ، وقد ازداد عددهم زيادة كبيرة بتوالى السنين والقرون حتى صارت أسماؤهم تملأ كتب الطبقات التي ألفها الأباضية من المغاربة ، ومن يطلع على كتب الورجلاني والدرجيني والشماخي والبرادي وغيرهم يلمس بنفسه هذه الحقيقة . ونظرا لكثرة عدد هؤلاء العلماء فاننا لانستطيع أن نذكرهم في هذا المقام ، ومن أراد أن يتعرف عليهم وعلى نشاطهم فليطلع على كتب الطبقات التي أشرنا اليها .

ولكن كثرة عدد هؤلاء العلماء يدل دلالة مؤكدة على مدى مابلغه المذهب الأباضي من انتشار بين البربر وقبائلهم ، وخاصة قبائل نفوسة وهوارة ومزاته وزناتة ومغيلة ونفزاوة ، وفي كثير من بلدان المغربين الأدنى والأوسط (٢٠٨) . ونتيجة لهذا الانتشار الواسع الذي كان أبلغ

---

(٢٠٧) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٣م ، جـ ١ ص ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٩ ، السيد عبدالعزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، جـ ٣ (العصر العباسي الأول) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ١٩٣ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢٠٨) انظـــــر ، ص ٩٤ .

وأسرع وأكثر عما كان في مصر للظروف التاريخية التي تحدثنا عنها ، تهيأ الأمر لقيام دولتين أباضيتين في بلاد المغرب ، الأولى هي دولة طرابلس والقيروان أو يمكن أن نسميها دولة افريقية الأباضية ، حيث أن المنطقة التي كانت تقع فيها طرابلس والقيروان كانت تسمى ولاية افريقية ، أو بلاد المغرب الأدنى كما هو معروف في التاريخ الاسلامي ، ويمكن أن نسميها أيضا باسم الدولة الخطابية ، نسبة الى مؤسسها أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري . أما الدولة الثانية ، فهي الدولة الرستمية التي شمل حكمها معظم بلدان افريقية والمغرب الأوسط .

وقد ساعد على قيام الدولة الأولى بجانب ماذكرناه من كثرة عدد الأباضية ونجاح انتشار المذهب الأباضي بين البربر بدرجة كبيرة ، تلك الظروف التاريخية التي كانت تمر بها هذه المنطقة والتي كانت تمر بها الخلافة أيضا . أما الخلافة فقد كانت هناك خلافة منهارة هي خلافة بني أمية وخلافة وليدة هي خلافة بني العباس التي كانت تعمل بكل ماوسعها الجهد على تدعيم أركانها ، وفي مطاردة بقايا الأمويين ، وفي تثبيت أقدامها ونشر نفوذها في هذا العالم الاسلامي الواسع ، وكانت مشغولة بذلك كله عما كان يجري في بلاد المغرب (٢٠٩) .

أما بلاد المغرب فقد عانت كثيرا من جراء الوقائع والحروب التي اندلعت بين البربر الصفرية وبين العرب منذ عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م ، وكانت تعاني أيضا من الصراع القبلي الذي كان يجري بين العرب بعضهم البعض ، في شكل حروب وانقلابات وثارات بين القيسية

(٢٠٩) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ، جـ ١ ص ١٥٩ — ١٦١ ، ٢٤٧ — ٢٥٢ ، محمد جمال الدين سرور : ص ١٧٨ — ١٧٩ .

واليمنية (٢١٠) ، وكانت تعاني أيضا من استبداد عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي تغلب على البلاد منذ عام ١٢٦هـ/ ٧٤٣م وأجبر واليها حنظلة بن صفوان على مغادرتها واستبد بحكمها لأكثر من عشر سنوات ، ولم تلبث الخلافات والصراعات أن قامت بينه وبين إخوته فقتلوه ، ثم قامت الصراعات بين أولاده وأعمامهم للانتقام لمصرع أبيهم ولاستعادة سلطانهم ، واقتضت هذه الصراعات أن استعان أحد الفريقين على الآخر باستقدام قبيلة ورفجومة الصفرية التي أهلكت الحرث والنسل وارتكبت من الفواحش والمظالم ماسبقت الاشارة اليه ، مما أضاف الكثير والكثير إلى مايعانيه البربر (٢١١) .

وقد أدت هذه الأحوال إلى تولد رغبة شديدة لدى البربر في العيش في هدوء وسلام ، في ظل دولة تسودها العدالة والأخوة الاسلامية ، فمالوا إلى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وإلى أصحابه من الأباضية الذين كانوا ينادون بهذه المبادئ ويريدون تطبيقها ، فاعتنقوا المذهب الأباضي ومكنوا أبا الخطاب من إعلان قيام الدولة الأباضية الأولى في طرابلس وماحولها من بلدان ، وذلك في عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م (٢١٢) .

وقد امتدت حدود هذه الدولة سريعا حتى شملت القيروان وما بينها وبين طرابلس من بلدان . وقد هيأت الظروف التاريخية لهذا الاتساع عندما استغاث أهل القيروان بأبي الخطاب ليخلصهم من قبيلة ورفجومة الصفرية التي كانت قد استولت على المدينة وفعلت بأهلهاالأفاعيل مما يأباه الاسلام والمسلمون ، لدرجة أن إحدى نسائها

---

(٢١٠) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين) ، ص ٣١٥ ، ٣٢١ .

(٢١١) ابن عذاري : جـ ١ ص ٧١ ، محمد عيسى الحريري : ص ٦٦ .

(٢١٢) أبو زكريا : ص ٥٧ — ٥٩ .

كتبت الى أبي الخطاب تقول : ''أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإن لي بنتا لم أحرزها إلا في حفرة حفرتها تحت سريري مخافة عليها من الورفجومية أن يفسدوها'' (٢١٣) .

ولذلك أمر أبو الخطاب بالنفير واجتمع له الجند ، وزحف على القيروان واستولى على قابس ومايليها من البلدان حتى وصل الى القيروان ، فقاتل ورفجومة وأخرجها من هذه المدينة في عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م ، وصارت القيروان ومايتبعها من بلدان ضمن دولته التي اتسعت على هذا النحو . وبعد أن استتب الأمن في ربوع هذه المدينة عين في حكمها زميله الداعية عبد الرحمن بن رستم الفارسي ، وعاد هو إلى مدينة طرابلس بعد أن دانت له ولاية افريقية ، وأصبحت الدولة الأباضية تمتد حدودها من برقة شرقا حتى الحدود الشرقية لما يعرف بدولة الجزائر الآن ، بما في ذلك مناطق قسنطينة وأراضي كتامة وسطيف وغيرها من بلدان (٢١٤) .

ولكن أبا جعفر المنصور لم يترك الفرصة لهذه الدولة الوليدة من أن تكبر وتنمو على هذا النحو الذي صار مهددا لسلطته السياسية في الغرب الاسلامي كله ، خاصة وأن الأمويين كانوا قد استطاعوا قبل ذلك بعامين أن ينتزعوا بلاد الأندلس ويقيموا فيها دولة لأنفسهم . ولذلك صمم أبو جعفر على القضاء على دولة أبي الخطاب بأية وسيلة ، فأرسل قائده محمد بن الأشعث الخزاعي الى بلاد المغرب في عام ١٤٤هـ/ ٧٦١م لتحقيق هذه الغاية . وفعلا تمكن هذا القائد من هزيمة الأباضية وقتل أبي الخطاب نفسه وأكثر من عشرة آلاف من جيشه

---

(٢١٣) المصدر السابـــق ، ص ٦٠ .

(٢١٤) المصدر السابق ، ص ٦٠ ــ ٦٥ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٢٦ ــ ٢٩ ، الشماخي : جـ ١ ص ١١٦ ــ ١١٨ .

في موقعة تسمى تاورغا قرب مدينة سرت بليبيا ، وذلك بسبب النزاع الذي كان قد نشب قبيل المعركة بين زناتة وهوارة ، حيث اتهمت زناتة أبا الخطاب بأنه يميل الى هوارة ، مما أدى الى تصدع الجبهة الأباضية ، وأدى الى النتيجة التي أشرنا اليها ، هذا فيما تحكيه المصادر السنية (٢١٥) .

أما المصادر الأباضية المغربية فتذكر أن سبب الهزيمة لم يكن إلا الخديعة التي اتبعها محمد بن الأشعث تجاه أبي الخطاب ، حيث تظاهر بالتراجع الى مصر ، فطلب الجند من أبي الخطاب أن يسمح لهم بالعودة الى بلادهم بعد أن جاءتهم الأخبار برجوع ابن الأشعث عنهم . ورغم تحذير أبي الخطاب لهم بأن هذه مكيدة يكيدها ابن الأشعث لهم ، إلا أنهم أصروا على موقفهم ، فتفرقت جموعهم ، وأسرعت العيون الى ابن الأشعث تخبره بتفرق جند أبي الخطاب ، فكر راجعا يطوي الأرض طيا ، ولم يشعر أبو الخطاب إلا وقد غشيته جموع ابن الأشعث قرب طرابلس ، فأرسل رسله إلى البلدان يستجمع جنده ويطلب المدد من عماله ، ولم يتريث حتى تأتيه هذه الأمداد ، وتقابل مع ابن الأشعث في معركة حامية الوطيس في تاورغا في عام ١٤٤هـ/ ٧٦١م وانتهت المعركة كما أشرنا من قبل بقتل أبي الخطاب ومقتل أكثر من عشرة آلاف من جنده ، وانهارت بذلك أول دولة أباضية لم يدم حكمها في بلاد المغرب أكثر من أربع سنوات (٢١٦) .

وبعد أن حقق ابن الأشعث هذا النصر قام بالزحف الى القيروان

---

(٢١٥) ابن عذاري : جـ ١ ص ٧١ — ٧٢ . ويذكر اليعقوبي في تاريخه (جـ ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦) والبلاذري في فتوحاته (ص ٢٣٤) أحداث الصدام بين أبي الخطاب وابن الأشعث دون تعليل أو تفصيل .

(٢١٦) أبو زكريا : ص ٦٠ — ٧٢ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٣٢ — ٣٤ ، الشماخي : جـ ١ ص ١١٨ — ١٢٠ .

واستولى عليها بعد أن فر عنها عبد الرحمن بن رستم الذي اتجه غربا الى تاهرت في بلاد المغرب الأوسط (بلاد الجزائر) ، وقام ابن الأشعث بتتبع الأباضية في بلدانهم وقراهم ، حتى وصلت جيوشه في مطاردتهم الى زويلة وودان ، فاستولت عليهما بعد أن قتلت كثيرا ممن كان بهما من الأباضية وعلى رأسهم عبد الله بن حيان الأباضي ، شيخ الأباضية ورئيسهم في مدينة زويلة (٢١٧) ، وفر الباقون الى المغرب الأوسط والتفوا حول زعيمهم الجديد عبد الرحمن بن رستم (٢١٨) .

ولكن هذه الهزائم لم تفت في عضد الأباضية ، بل جعلتهم يصممون على إقامة دولة جديدة لهم . وكان إمامهم الجديد عبد الرحمن ابن رستم كما ذكرنا قد اتجه إلى بلاد المغرب الأوسط واستقر هناك عند جبل يسمى (سوف أجج) حيث وجد مدينة قديمة تسمى تاهرت فقام هو وأتباعه وبنوا على مقربة منها مدينة جديدة حملت نفس الاسم ، وأصبحت هذه المدينة الجديدة موئلا للأباضية ومعقلا حصينا لهم امتنعوا فيه من أن تنالهم يد ابن الأشعث أو غيره من ولاة بني العباس . وعندما حانت الفرصة وانشغل ولاة افريقية بالقضاء على الثورات التي قام بها العرب ، وقام بها الصفرية والأباضية ضد حكم بني العباس ، والتي أدت الى مقتل كثير من هؤلاء الولاة (٢١٩) ، أعلن عبد الرحمن بن رستم قيام الدولة الأباضية الثانية في تاهرت فيما عرف في التاريخ بالدولة الرستمية ، وذلك في عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م (٢٢٠) .

وقد امتد سلطان هذه الدولة في عصر خلفاء عبد الرحمن حتى شمل

---

(٢١٧) ابن عذاري : جـ ١ ص ٧٣ ، الظاهر أحمد الزاوي : ص ١٣٩ .

(٢١٨) عوض خليفات : ص ١٥٥ . (٢١٩) المرجع السابق ، ص ١٥٦

(٢٢٠) أبو زكريا : ص ٧١ — ٧٢ ، ٨١ — ٨٢ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٣ .

معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط ، اذ امتدت حدودها من برقة وطرابلس شرقا حتى تلمسان غربا (٢٢١) ، فيما عدا منطقة القيروان والبلدان التي تحيط بها والتي تشمل النصف الشمالي من ولاية افريقية ، ومن ثم عادت للمذهب الأباضي قوته وازدهاره من جديد ، وسنحت الفرصة لاستمرار انتشاره في مناطق جديدة ، فانساح الى أقصى المناطق في الصحراء الكبرى مثل زويلة وودان وتادمكت وورجلان ، ومنها الى بلاد السودان (٢٢٢) .

ونحن هنا لانريد أن نتحدث عن تاريخ الدولة الرستمية كمظهر من مظاهر انتشار المذهب الأباضي في بلاد المغرب ، فالكتب التي تحدثت عن تاريخ هذه الدولة عديدة (٢٢٣) ، ويكفي هنا أن نقول أن هذه الدولة استمرت تحكم معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط لمدة بلغت مائة وستا وثلاثين عاما منذ أن قامت في عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م حتى سقطت على يد الفاطميين في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م ؛ وحكمها من بني رستم سبعة من الأئمة ، حكم ثلاثة منهم وهم عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٦٨ — ٢٠٨هـ/ ٧٨٤ — ٨٢٣م) (٢٢٤) ، وابنه أفلح (٢٠٨ — ٢٤٠هـ/ ٨٢٣ — ٨٥٤م)

---

(٢٢١) ابن الصغير : ص ٤٥ .

(٢٢٢) انظر ، ص ٩٢ — ٩٤ ، الادريسي : نزهة المشتاق ، ص ١١ ، ١٥ ، الورجلاني : جـ ١ ص ٩٤ .

(٢٢٣) عن تاريخ الدولة الرستمية ، انظر ، محمد عيسى الحريري : مقدمات البناء السياسي للمغرب الاسلامي .

(٢٢٤) تشير بعض المراجع الحديثة الى أن عبد الوهاب تولى الامامة في عام ١٧١هـ ، وتأخذ من الموادعة التي تمت بين عبد الرحمن بن رستم وروح بن حاتم في عام ١٧١هـ حسبما ذكر ابن خلدون دليلا على صحة هذا التاريخ الذي توفي فيه عبد الرحمن وتمت فيه البيعة لابنه عبد الوهاب (انظر : محمد عيسى الحريري : ص ١٠٨) . ولكن ابن عذاري (جـ ١ ص ١٩٦) يجعل وفاة عبد الرحمن بن رستم وتولية ابنه عبد الوهاب في عام ١٦٨هـ . ونحن نرجح هذا التاريخ لأن ابن عذاري أدق في ذكر السنين والتواريخ من ابن خلدون ، ولأنه

وحفيده أبو اليقظان بن محمد بن أفلح (٢٤١ — ٢٨١هـ/ ٨٥٥ — ٨٩٤م) مدة بلغت مائة واثنى عشر عاما من عمر هذه الدولة ، بينما حكمها مؤسسها عبد الرحمن بن رستم ثماني سنوات (١٦٠ — ١٦٨هـ/ ٧٧٦ — ٧٨٤م) ، وحكمها أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان محمد ثلاث عشرة سنة (٢٨١ — ٢٩٤هـ/ ٨٩٤ — ٩٠٦م) . ولم يكن هناك من حكموا مددا أقل إلا إمامان هما أبو بكر ابن أفلح الذي حكم عاما واحدا (٢٤٠ — ٢٤١هـ/ ٨٥٤ — ٨٥٥م) ، وآخر الأئمة وهو يقظان بن أبي اليقظان الذي حكمها مدة عامين (٢٩٤ — ٢٩٦هـ/ ٩٠٦ — ٩٠٨م) .

ويلاحظ من ذلك أن معظم الأئمة الرستميين حكموا طويلة ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على استتباب الأحوال في دولتهم ، ويدل أيضا على حسن سيرتهم وعلى يقظتهم وعلى اقتناع الناس بحكمهم حتى دان لهم أغلب سكان المغربين الأدنى والأوسط ، وصارت دولة الأغالبة كجزيرة تعوم في بحر من الأباضية ، إذ كانت دولة الأباضية تحيط بها من الشرق والغرب والجنوب . وقد بلغت هذه الدولة قمة الازدهار والمجد في عهد أفلح بن عبد الوهاب ، ولكن هذا الازدهار لم يدم طويلا ، إذ بدأت عوامل الانقسام تمخر في جسد الدولة ،

أقدم منه ، ولأنه من المعروف وكما ورد في كتب الطبقات الأباضية أن عبد الوهاب وهو امام ، أرسل يستفتي مشايخ المذهب في مصر والبصرة : ابن عباد والربيع بن حبيب في خروجه للحج . ومعروف أن الربيع بن حبيب توفي في عام ١٧٠هـ (انظر : الشماخي : السير ، جـ ١ ص ١٤٠) .

وعلى ذلك فليس معقولا أن تكون إمامة عبد الوهاب قد قامت في عام ١٧١هـ ، والأرجح هو التاريخ الذي أشرنا اليه ، والذي أخذ به أيضا من قبل زامباور في كتابه معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي (ص ١٠٠) ، وتكون الموادعة التي تمت بين روح بن حاتم والي افريقية وبين عبد الوهاب في عام ١٧١هـ وليس مع أبيه كما ذكر ابن خلدون نفسه في موضع آخر (انظر ، سليمان الباروني : الأزهار ، جـ ٢ ص ١٥١) . ولما كان عبد الوهاب قد حكم أربعين عاما ، فتكون وفاته في عام ٢٠٨هـ وليست في عام ٢١١هـ . انظر ، أبو زكريا : هامش ١ ص ٨٧ .

وخاصة منذ عهد أبي حاتم يوسف ابن أبي اليقظان (٢٨١ — ٢٩٤هـ/ ٨٩٤ — ٩٠٦م) ، بعد أن قام الصراع بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح الذي لم يرض عن البيعة لابن أخيه بالإمامة ، وخرج من تاهرت مغاضبا له ، ورحل إلى مدينة زواغة التي تقع غرب طرابلس وأقام بها ، ولم تلبث الحرب الأهلية أن اندلعت بين الرجلين ، وانخلع أبو حاتم من الإمامة وتولاها عمه ، ثم عاد إليها مرة أخرى بعد أن تدهورت الأوضاع الأمنية والاقتصادية حتى وصلت إلى الحضيض ، كما ظهرت المفاسد الخلقية وفشت الرذيلة بين الناس مما عجل بانهيار الدولة وزوالها (٢٢٥) .

وقد هيأت هذه الأحوال الفرصة للأغالبة كي ينقضوا على أباضية المغرب الأدنى ويقضوا على معظمهم ، وخاصة على أباضية جبل نفوسة الذي يقع جنوب طرابلس ويمتد غربا الى بلاد الجريد في تونس ، وذلك في معركة شهيرة تعرف بموقعة مانو حدثت بين الفريقين في عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م . وكان النفوسيون وكما هو معروف عصب الدولة الرستمية ودرعها الواقية وفيهم قال الامام الرستمي ''إنما قام هذا الدين — يقصد المذهب الأباضي — بسيوف نفوسة وأموال مزاتة'' (٢٢٦) .

وبالقضاء على نفوسة وقتل معظم رجالها القادرين على القتال وحمل السلاح ، لم تعد هذه القبيلة بقادرة على مواصلة إمداد الرستميين بالمال والسلاح والرجال كما كانت تفعل قبل ذلك (٢٢٧) ، مما أضعف

---

(٢٢٥) ابن الصغير : ص ١١١ — ١١٦ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٧٤ — ١٨٧ .

(٢٢٦) أبو زكريا : ص ١٥٥ ، محمد الطالبي : الدولة الأغلبية ، التاريخ السياسي ، تعريب د . المنجي الصيادي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٣٢٦ — ٣٢٨ .

(٢٢٧) أبو زكريا ، ص ١٥٤ — ١٥٧ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٨٧ — ٩٠ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٨٠ — ١٨١ .

الرستميين الى حد كير ، خاصة وأن إمامهم في تاهرت لم يعمل على تقديم العون والمساعدة للنفوسيين وقت محنتهم لانشغاله بمحاربة عمه يعقوب بن أفلح الطامع في السلطة ، ومن ثم سقطت هيبة الدولة ، وهيبته هو شخصيا عند النفوسيين والتاهرتيين ، وطمع في الامامة بعض أقاربه ، مما عجل بقتله على أيديهم وذلك في عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م ، كما عجل أيضا بسقوط الدولة بعد ذلك بعامين اثنين (٢٢٨) .

ذلك لأن الامام الجديد والأخير وهو يقظان بن أبي اليقظان ، تعرض لكراهية الناس له ، للظن بأنه كان ضالعا في قتل الامام السابق ، كما تعرضت دولته للانقسام الفكري الذي حدث بين أباضية تاهرت ، كما تعرضت أيضا لمؤامرات الشيعة والواصلية (المعتزلة) والصفرية والمخالفين الذين اتصلوا بأبي عبد الله الشيعي الداعي الفاطمي ببلاد المغرب وحرضوه على غزو تاهرت والقضاء على الأسرة الرستمية ، ووعدوه بتقديم العون والمساعدة ، مما كان لن أثره في النهاية في القضاء على هذه الأسرة وعلى الدولة الأباضية الرستمية في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م على يد هذا الداعية (٢٢٩) .

واذا كان أبو عبد الله الشيعي قد وضع نهاية للدولة الرستمية في العام المذكور ، إلا أنه بطبيعة الحال لم يستطع أن يضع نهاية للمذهب الأباضي ، لأن هذا المذهب استمر في التواجد منذ ذلك التاريخ وحتى الآن . ولكن ذلك لايمنع القول بأن المذهب أصابه الضعف في تاهرت الى حد كبير نتيجة لسياسة الاضطهاد والقتل وإحراق كتب الأباضية

(٢٢٨) أبو زكريا : ص ١٥٧ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٨٧ — ٩٠ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٨١ ، محمد الطالبي : ص ٣٨٦ .

(٢٢٩) أبو زكريا : ص ١٦٩ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٨٧ — ٩٠ ، ٩٤ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٨٢ — ١٨٥ .

التي اتبعها الفاطميون . فقد قام داعيتهم المذكور بعد أن استولى على تاهرت ونهبها ، بإحراق المكتبة المعروفة بالمعصومة ليقضي على الفكر الأباضي المكتوب ، وكانت هذه المكتبة تضم أكثر من ثلاثين ألف مجلد أغلبها في الشريعة الاسلامية وفلسفتها ، وفي شرح المذهب الأباضي والاحتجاج له ، وفي تاريخ الدولة الرستمية . ارتكب أبو عبد الله الشيعي هذه الجناية بعد أن أخذ مافي هذه المكتبة من كتب الرياضيات والصنائع والحرف وغيرها من كتب العلوم والفنون التي تنفع في بناء دولته ، ثم قام وأضرم النار فيما بقي فيها من كتب تتعلق بالمذهب الأباضي (٢٣٠) .

هذا عن الكتب ، أما عن الأسرة الرستمية ورجالها الذين كانوا قد تقدموا للقاء أبى عبد الله الشيعي وعلى رأسهم الامام يقظان ، فقد أمر أبو عبد الله الشيعي بقتلهم جميعا بعد أن أنبهم على قتل إمامهم وعلى استسلامهم له على هذا النحو المهين ، فقتلوا عن آخرهم وذلك في شوال من عام ٢٩٦هـ/ يونية ٩٠٩م (٢٣١) . وبذلك انتهت الأسرة الرستمية التي كانت ترعى المذهب وتعمل على نشره وتدعيمه في بلاد المغرب ، كما انتهت الدولة الرستمية بعد أن قام أبو عبد الله بتنصيب أبي حميد دواس بن صولات اللهيصي وابراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهواري في حكم تاهرت ، وهرب الرستميون الذين كانوا قد نجوا من المذبحة إلى جبال أوراس وجبال بني راشد ، وانطلق بعضهم إلى جبل نفوسة وجربة ، وفر كبيرهم يعقوب بن أفلح إلى ورجلان ومعه عدد كبير من العائلات الرستمية ، واستقروا هناك ،

---

(٢٣٠) أبو زكريا : ص ١٧٠ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٨٥ ، سليمان الباروني : الأزهار ، جـ ٢ ص ٣٥٨ .

(٢٣١) أبو زكريا : ص ١٦٩ — ١٧٠ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٨٥ ، سليمان الباروني : الأزهار ، جـ ٢ ص ٣٥٨ .

ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك (٢٣٢) .

أما رجال المذهب وشيوخه فقد تتبعهم الفاطميون بالاضطهاد والقتل . ولكن يبدو أن هذه السياسة قد تغيرت عندما قام أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني النكاري بثورة على الفاطميين في عام ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م ولم يشترك الأباضية في هذه الثورة ، لأنهم يعتبرون أن النكار كفرة كما سبق القول . ولذلك نرى قيام علاقات حسنة بين الأباضية وشيخهم في ذلك الوقت ، وهو أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني ، وبين المعز لدين الله الفاطمي . يظهر ذلك من مواقف كثيرة ، وظل الأمر على هذا النحو حتى قام الواشون بالوقيعة بينهما (٢٣٣) .

وكان أبو القاسم قد بلغ درجة كبيرة من العلم حتى كانت مدينة القيروان تضطرب كلها من أجل مقدمه ، ويستعد علماؤها له بالأسئلة والاستفسارات ، وخاف المعز من ازدياد نفوذه ، خاصة وأن قومه من مزاتة كانت لهم قوة عظيمة ، فكان عدد فرسانهم فقط لايقل عن اثنى عشر ألفا ، وأما الرجالة فلا يعدون ، ولذلك أمر المعز بقتله ، فقام الأباضية بثورة عارمة ضد المعز لهذا السبب قادها زميل أبي القاسم ، الشيخ أبو خزر يغلي بن زلتاف الوسياني (٢٣٤) .

وكي ينجح أبو خزر في ثورته أخذ يعبئ الأباضية في كل مكان ، فأرسل زميله أبا نوح سعيد بن زنغيل الى أباضية ورجلان وجربة وطرابلس وجبل نفوسة يستحثهم للانضمام للثورة ، كما راسل بني أمية في الأندلس لمعاونته ضد الفاطميين ، ولكن كتابه إليهم وقع في أيدي

(٢٣٢) أبو زكريا : ص ١٧٠ — ١٧٢ ، ١٩١ — ١٩٢ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٩٤ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٨٦ .

(٢٣٣) أبو زكريا : ص ٢٠٩ — ٢١١ ، الدرجيني : جـ ١ ص ١١٩ — ١٣٠ .

(٢٣٤) أبو زكريا : ص ٢٠٥ — ٢١٧ ، الدرجيني : جـ ١ ص ١١٩ — ١٣٨ .

رجال المعز . ورغم ذلك فقد حاول المعز أن يتجنب لقاء الأباضية نظرا لكثرة جموعهم ، وأرسل الى مشايخهم يقول لهم ''ارجعوا الى بلادكم التي وليتموها قبل هذا العهد في تاهرت وغيرها فتكونوا على ماكان عليه أوائلكم ونكون على ماكان عليه أوائلنا'' . ولكن العامة من الأباضية رفضت هذا العرض المعقول وأبت إلا مناصبة المعز العداء ، ولم ينتظر أبو خزر قدوم الإمدادات من الجهات التي كان قد راسلها ، فوقع الصدام بين الفريقين في مكان يسمى باغاي في عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م ، وانهزم الأباضية لخيانة قوم من مزاتة يسمون بني يليان ، كانوا قد أخذوا أموالا من المعز وتظاهروا بالهزيمة وقت المعركة (٢٣٥) .

فر أبو خزر ولجأ الى جبل نفوسة واستقر فيه مختفيا ، أما أبو نوح فقد لجأ الى نفس الأسلوب وتنكر في ملابس الرعاة ، وأرسل المعز رجالا يبحثون عنهما وعن الشيوخ بصفة عامة ، فتعرفوا على أبي نوح وأحضروه الى المعز فأمر بسجنه ، ولكن بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي تشفع فيه ، فعفا عنه المعز وقربه إليه وجعله من جملة خواصه ، وأرسل بالأمان الى أبي خزر بعد أن شفع فيه زميله أبو نوح ، فأقبل هو الآخر وصار من خواص المعز . وعندما أراد المعز الرحيل الى مصر رحل معه أبو خزر وتخلف أبو نوح بحيلة منه (٢٣٦) .

يفهم من هذه الأحداث أن قواعد الأباضية في بلاد المغربين الأدنى والأوسط لم يقض عليها بالقضاء على الدولة الرستمية ، كما يفهم أيضا

(٢٣٥) المصدرين السابقين ونفس الصفحات .

(٢٣٦) أبو زكريا : ص ٢١٩ — ٢٢٩ ، الدرجيني : جـ ١ ص ١٣٠ — ١٣٨ ، حسن ابراهيم حسن ، وطه أحمد شرف : المعز لدين الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٣م ، ص ٣٥ .

أن قوة الأباضية نمت من جديد وأثبتت وجودها بدليل أن المعز خشى بأسها ، وبدليل أنه حاول أن يسترضي الأباضية ويعيدهم الى مراكزهم ومناصبهم الأولى في تاهرت وغيرها ، ولكنهم أصروا على الصدام معه . وهذا الاصرار لايفهم منه إلا أنهم كانوا يشعرون بالقوة ، وإلا مافعلوا مافعلوه ، ولما ثاروا ضد هذه الدولة الفتية القوية . أما الهزيمة التي منوا بها في موقعة باغاي فلم تكن عن ضعف ، ولكنها جاءت نتيجة الخيانة ، ونتيجة الاندفاع من أبي خزر الذي لم ينتظر وصول الامدادات التي كانت في الطريق اليه ، ولو انتظرها ولو لم يخن بنو يليان المزاتيين لتغير الموقف ، ولحقق الأباضية نصرا كبيرا ، ولكن الرياح جاءت بما لاتشتهي السفن فانهزم الأباضية .

ورغم هذه الهزيمة ، فإننا نرى المعز يعفو عن زعماء الثورة مثل أبي نوح ، وكان في إمكانه أن يقتله ، ولكنه ترك أحد قواده الصنهاجيين يشفعون فيه عنده ، فعفا عنه وقربه إليه كما قلنا ، ثم عفا عن قائد الثورة أبي خزر وجعل له جاها ومنزلة عظيمة حتى كان يقعده معه على سريره بينما كان غيره من الناس لايحظي إلا بالوقوف بين يديه (٢٣٧) . ولما عزم على الرحيل إلى مصر أراد من هذين الزعيمين الكبيرين أن يرحلا معه ''لخوفه من ثورتهما وخلافهما له'' وتدبيرهما ضده إن بقيا بعده في بلاد المغرب (٢٣٨) . ولايدل هذا التفكير إلا على مدى قوة الأباضية التي شعر بها المعز في تلك الفترة ، وإلا على الوجود الأباضي الذي ذهبت دولته في تاهرت وبقي رجاله وعلماؤه وقبائله التي ظلت تدافع عنه في كثير من بلدان المغربين الأدنى والأوسط .

ولو لم يكن للأباضية هذه القوة ، لما أوصى المعز عند رحيله إلى

---

(٢٣٧) أبو زكريا : ص ٢٢٨ .

(٢٣٨) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

مصر نائبه على أفريقية المنصور بلقين بن زيري بأن ينتقم ويشفيه — حسب قوله — من ''أولاد المجوس زناتة ومزاتة'' (٢٣٩) . ومعروف أن زناتة ومزاتة كانت بجانب نفوسة عماد الدعوة والدولة الأباضية . ورغم ذلك فإننا نرى هذا العامل أو النائب يتلطف بالأباضية ، ويستقبل شيخهم أبا نوح ويحنو عليه ويذهب عنه الخوف ويسترضيه فيقول له : ''اعلم ياشيخ إن رمحي لوهبي وإن فرسي لوهبي'' (٢٤٠) . ووهبي نسبة إلى الوهبية وهم الأباضية الذين تميزوا عن النكار بهذا الإسم ، والوهبية نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي ثار ضده زعيم النكار محمد بن فندين كما سبق القول .

وقدبلغت منزلة أبي نوح عند المنصور بلقين درجة كبيرة حتى إنه أجازه بجائزة سنية وأكرمه وأمره بالرجوع إلى أهله (٢٤١) . وصار أبو نوح يتنقل بين إفريقية وقسطيلية وبلاد الجريد وورجلان وزويلة ينشر الدعوة ويقاوم النكار ويناظر مشايخهم ، فكان يقابل بالترحاب والتقدير في كل مكان نزله ، وكان يقوم بالرد على الأسئلة التي توجه إليه ، ويعلم الناس ماجهلوه من أصول المذهب والعقيدة الأباضية (٢٤٢) .

وليس معنى ذلك أن المذهب الأباضي كان في مثل قوته التي كان عليها أيام الدولة الرستمية ، لأنه بطبيعة الحال كان قد فقد قوة الدولة التي كانت ترعاه وتحمي رجال ومشايخه ، وكان على هؤلاء المشايخ أن يدبروا أمورهم ولايجاهروا بعداء الدولة الجديدة التي أصبح لها

---

(٢٣٩) المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٢٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٢٤١) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

(٢٤٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ — ٢٥٠ .

والسلطان في بلدان المغربين الأدنى والأوسط ، والتي امتد سلطانها إلى مصر وبلاد الحجاز والشام ، وهي الدولة الفاطمية .

وفي نفس الوقت بدأت العامة من الأباضية يفقدون حماسهم للمذهب بالتدريج ، وبدأت أحوالهم تتغير من سيء إلى أسوأ . وقد لاحظ أبو نوح ذلك التغير ونبه عليه أهل ورجلان ، وكان قد زارهم مرتين ، وفي المرتين الثانية لاحظ تغير أحوالهم عن المرة الأولى ، فجمع وجوههم وقال لهم : ''إني رأيت فيكم ثلاث خصال ، كلها غير مرضية ، أما الأولى فنكاح السر فيكم فاش . فإذا مر أحدكم برجل وامرأة مجتمعين في موضع التهمة وزجرهما ونهاهما عن الاجتماع في موضع التهمة ، قالا له : إنا قد تناكحنا ، فكاد يظهر فيكم الفحشاء . والثانية إن أحدكم يطلق عبيده ولايعولهم ويأمرهم بطلب معاشهم فيطلقون في أموال الناس من جرائد النخل والليف والكرانف وغير ذلك ، فيكاد أحدكم أن يكون سارقا ، وهو في المحراب قاعد . والثالثة ، أنكم أظهرتم بينكم التفرقة : فطائفة يقولون ، مسجدنا ومسجدكم ، وطائفة يقولون : حصيرنا وحصيركم ، ويهودنا ويهودكم . فاجتمعوا ليردوا له الجواب ، فتباطأوا في رد الجواب ، فلما استبطأهم الشيخ استرابهم ، فما بات تلك الليلة إلا عند حمو بن اللؤلؤ في مكان يسمى (تين بامطوس)'' (٢٤٣) .

وقد زاد الطين بلة ذلك الصراع الذي نشب كثيرا بين الأباضية الوهبية وبين النكار . وقد انتقل الصراع من مناظرات تقوم بين الفريقين إلى قتال مسلح راح فيه الكثير من الفريقين . مثال ذلك ما حدث بين الوهبية والنكار بفحص توزر (٢٤٤) من قتال شديد انهزم

---

(٢٤٣) المصدر السابـق ، ص ٢٤٦ ـــ ٢٤٧ .

(٢٤٤) توزر ، مدينة في أقصى افريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال بلاد الجريد بتونس ، بينها وبين نفطة عشرة فراسخ ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٥٧ ـــ ٥٨ .

فيه النكار وحصد الموت كثيرا من رجالهم ، وتبعهم الوهبية إلى مدينة تقيوس (٢٤٥) يقاتلونهم . ولما وصلوا إليها حاصروا من بها من النكار ، فخرجوا إليهم وقاتلوهم قتال المستميت ، فانهزمت الوهبية إلى مدينة توزر . وكان أبو نوح يذود عن ساقة الوهبية ، وكاد أن يقع في أيدي النكار لولا أن أنقذه أحد الوهبية الشجعان (٢٤٦) .

يضاف الى ذلك أن بني زيري الصنهاجيين حكام أفريقية غيروا سياستهم تجاه الأباضية وتجاه سادتهم من الفاطميين أنفسهم منذ مستهل القرن الخامس للهجرة . إذ أنهم أقروا المذهب السني وتنكروا للمذهبين الأباضي والشيعي معا ، ونتج عن ذلك أنهم أعلنوا الاستقلال عن الفاطميين ، كما أنهم أخذوا في نفس الوقت في اضطهاد الأباضية ، فهاجموا تجمعاتهم ومدنهم وقتلوا من وجدوا فيها منهم . مثال ذلك مافعلوه بأباضية قلعة بني درجين ، وكانت هذه القلعة آخر معقل لهم في بلاد الجريد . فقد نزل بها جند الزيريين في عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م وحاصروها حصارا شديدا ، ولما خرج أهلها للدفاع عن أنفسهم قتلوهم عن آخرهم واستباحوا مافي القلعة وهدموها وأصبحت قاعا صفصفا (٢٤٧) .

تلك الأحداث كانت في عهد المعز بن باديس الذي اضطهد وقتل مشايخ الأباضية في أكثر من مكان ، وفي مكان واحد قتل منهم ألفا وخمسمائة عالم (٢٤٨) . وكانت هجرة بني هلال وبني سليم في تلك الفترة من العوامل المؤثرة في القضاء على الدولة الزيرية عقابا لها على

---

(٢٤٥) تقيوس : مدينة بافريقية قريبة من توزر ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٣٧ .
(٢٤٦) أبو زكريا : ص ٢٤١ — ٢٤٢ .
(٢٤٧) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٠٧ ، صالح باجية : الأباضية بالجريد ، ص ١٤١ ، ١٤٧ .
(٢٤٨) لمعرفة مدى اضطهاد المعز بن باديس للأباضية ، انظر ، الشماخي : جـ ٢ ص ٢٦ ، ٣٠ ، ٥٢ ، ٦٠ — ٦١ ، ٧٣ ، ١٢٢ ، ١٢٨.

تمردها على الفاطمين ، وفي اضطهاد الأباضية وإجبارهم على الرحيل إلى الجنوب حيث الصحراء وبلاد السودان (٢٤٩) .

وفي القرن السادس للهجرة كان لمشايخ المذهب المالكي أثر كبير في إضعاف المذهب . فقد ظهر في ذلك القرن عالم سني كبير يسمى الشيخ علي بذل جهوده في إقناع كثير ممن بقى من أباضية الجريد في التحول عن مذهبهم بالحجة والاقناع (٢٥٠) . وفي القرن السابع للهجرة اندمج أباضية الجريد بالمستوطنين من قبائل رياح وسليم ، وأصبحت المنطقة سُنِّية ونسى الناس فيها المذهب الأباضي (٢٥١) . وفي ذات القرن قام أحد الحكام وهو يحيى بن اسحاق الميورقي بتخريب مدينة ورجلان في عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ، كما هدم سورها وأفسد ماحولها من زروع وثمار (٢٥٢) ، وخرب أيضا مدينة سدارتة (٢٥٣) .

أما جزيرة جربة المشهورة حتى الآن باتباعها للمذهب الأباضي ، فقد أرسل أبو فارس سلطان افريقية إلى أهلها ليردهم عن مذهبهم ، وطلب علماءهم لمناظرتهم (٢٥٤) . ونتج عن ذلك كله أن انكمش المذهب الأباضي في بلاد المغرب ولم يبق له أتباع إلا في مناطق محدودة ، هي وادي ميزاب في بلاد الجزائر ، وجزيرة جربة وقسطيلية (بلاد الجريد) في تونس ، وجبل نفوسة في ليبيا ، ومازال الأباضية يعمرون هذه البقاع حتى الآن (٢٥٥) .

---

(٢٤٩) أبو زكريا : ص ٢٢٨ ، صالح باجية : نفس المرجع ، ص ١٤١ .
(٢٥٠) صالح باجية : ص ١٤١ .
(٢٥١) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .
(٢٥٢) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٥٤ ، ٤٩٤ ، الشماخي : جـ ٢ ص ١٠٦ .
(٢٥٣) الدرجيني : جـ ٢ هامش ٢ ص ٤٩٤ .
(٢٥٤) الشماخي : جـ ٢ ص ٢١٠ ، ٢١١ .
(٢٥٥) عوض خليفات : ص ١٧١ .

ورغم هذه النتيجة ، ورغم هذه الظروف التاريخية القاسية التي مرت بالأباضية في مصر وبلاد المغرب والتي لم يكن لهم دخل فيها ، نعود فنقول إن جهود مشايخ البصرة وتنظيماتها السرية الدقيقة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين ، وماقاموا به من إرسال الدعاة وحملة العلم إلى بلاد مصر وبلاد المغرب ، قد أثمرت ونجحت إلى حد بعيد . وقد تمثل هذا النجاح فيها رأيناه من انتشار المذهب الأباضي بين كثير من المصرين ، وانتشاره في بلاد الغرب انتشارا كاسحا لظروف تاريخية ألممنا بها من قبل ، مما مكن للأباضية في هذه البلاد وسمح لهم بإقامة دولتين أباضيتين إحداهما دولة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري في المغرب الأدنى ، والثانية دولة بني رستم في المغربين الأدنى والأوسط ، تلك الدولة التي عاشت طويلا والتي كان لها دور هام ومجيد في التاريخ الاسلامي بوجه عام وفي تاريخ المناطق التي قامت فيها هذه الدولة بوجه خاص .

ومنذ أن انتشر المذهب الأباضي في مصر على النحو الذي بيناه ، وفي بلاد المغرب على الصورة التي رأيناها ، قامت علاقات وطيدة بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة ، وكان لهذه العلاقات نتائج بارزة في مجالات عديدة من مجالات التاريخ الاسلامي . فما هي هذه العلاقات ..؟ وما هي مجالاتها ..؟ وكيف قامت ..؟ ومامداها ..؟ وماهي نتائجها ..؟ ولنلتق مع الاجابة عن هذه التساؤلات في الفصل التالي من هذا الكتاب .

الفصـــل الثانـــي

العلاقات بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة

تنوعت العلاقات التي قامت بين أباضية مصر والمغرب من ناحية وأباضية عمان والبصرة من ناحية أخرى . ويمكن أن نقسم هذه العلاقات الى مجالات ثلاث ، الأول هو مجال العلاقات السياسية ، والثاني هو مجال العلاقات الثقافية ، والمجال الثالث هو مجال العلاقات التجارية .

١ ـــ العلاقـات السياسيـة بين أباضيـة مصـر والمغرب وأباضيـة عمـان والبصـرة :

ومجال العلاقات السياسية بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة كان مجالا واسعا ، ولكنه يختلف بالنسبة لمصر عنه بالنسبة لبلاد المغرب . ذلك أن مصر لم يكن لها علاقات سياسية بأباضية عمان والبصرة بالمعنى المعروف للعلاقات السياسية ، لأنها في هذه الفترة أو منذ أن فتحت على يد عمرو بن العاص في عام ٢٠هـ/ ٦٤٠م وحتى منتصف القرن الثالث للهجرة أو حتى قيام الدولة الطولونية في عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م ، لم تكن مصر دولة مستقلة حتى يكون لها علاقات سياسية مع غيرها من الدول ، وإنما كانت إحدى ولايات الخلافة الأموية حتى زالت تلك الخلافة ، ثم إحدى ولايات الخلافة العباسية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت مصر ولاية سُنِّية تتبع خلافة سُنِّية ، وكانت عمان دولة أباضية تنحو في حياتها نحوا مستقلا عن دولة هذه الخلافة أو تلك ، بينما كانت البصرة رغم أباضيتها مدينة تعيش داخل جسم دولة الخلافة ، وكانت أقرب ماتكون الى بغداد عاصمة هذه الدولة . ولذلك فلم يكن من المتوقع أن تقوم علاقات سياسية واضحة بين عمان والبصرة من جانب ومصر من جانب آخر . ورغم ذلك كله فيبدو أنه كان لأباضية عمان والبصرة دور ما في مجرى الأحداث السياسية في مصر .

أ — أثر أباضية عمان والبصرة في الأحداث السياسية في مصر :

تلمح بعض الروايات التاريخية الى أن أباضية عمان والبصرة كانوا وراء اتصال عبدالله بن يحيى الكندي إمام الأباضية في حضرموت واليمن بأباضية مصر . وكان هذا الامام قد نجح في تولي الامامة بتأييد وموافقة أباضية البصرة في عام ١٢٨هـ ، كما قام وبمساعدة عسكرية من أباضية عمان والبصرة بثورة ضد الحكم الأموي حيث تمكنت جيوشه من احتلال بلاد الحجاز وتلقب بطالب الحق (١) ، وفي نفس الوقت أرسل أحد الدعاة الى مصر لدعوة الناس فيها وخاصة الأباضية الى بيعته ، فاستجاب له نفر من قبيلة تجيب اليمنية ومن غيرها من القبائل التي تقيم في مصر (٢) .

ومن المؤكد أن من بايعوا هذا الداعية كانوا يدينون بالمذهب

(١) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، جـ ٢٣ ص ٢٢٤ — ٢٣٣ ، تاريخ اليعقوبي : جـ ٢ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ص ٢٩٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، الدرجيني : طبقات المشائخ ، جـ ٢ ص ٢٥٨ — ٢٧٢ ، الشماخي : السير ، جـ ١ ص ٩١ .

(٢) سيدة الكاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٤٠ .

الأباضي ، وربما كانت بيعة غيرهم له نكاية في والي مصر المدعو حوثرة ابن سهيل الباهلي والذي كان يضطهد اليمنية في تلك الفترة ، حيث قتل زعماءهم في عام ١٢٨هـ/ ٧٤٥م (٣) . وقد سبق القول أن معظم مشايخ المذهب في البصرة وعمان واليمن وحضرموت كانوا من اليمنية ، ولابد أن العصبية القبلية كان لها تأثيرها في استجابة اليمنية في مصر لهذا الداعية .

كان أباضية عمان والبصرة يودون أن تنجح ثورة طالب الحق الكندي ، فأرادوا أن يشغلوا الخلافة الأموية عنه وعن حركته بتحريك ثورة جديدة ضد الأمويين في مصر ، ومن ثم كان الاتصال بأباضية مصر وتحريضهم ضد واليها . وقد كرر أباضية البصرة وعمان استخدام هذا الأسلوب ضد الخلافة العباسية أيضا . فمن المرجح أنهم كانوا وراء ثورة عنيفة اندلعت ضد الحكم العباسي في مصر في الستينيات من القرن الثاني للهجرة ، إنتقاما لما حدث لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي قتله العباسيون في عام ١٤٤هـ/ ٧٦١م وقضوا على الدولة الأباضية الوليدة التي أقامها ، وإشغالا لهم عن التصدي للدولة الأباضية الثانية التي أقامها الرستميون في تاهرت في عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م .

ومما يرجح هذا الرأي ماسبقت الاشارة إليه من وجود أزدي كبير في مصر ، ومن تسنم كثير من الأزد لقمة السلطة فيها ، فكان بعضهم ولاة وقضاة ورؤساء شرطة الى غير ذلك من المناصب التي تولوها في مصر (٤) . وقد عرفنا في الفصل السابق أيضا أن عددا كبيرا من أهل

---

(٣) المرجع السابق : ص ١٣٩ .

(٤) انظر ، ص ٤٠ — ٤٩ .

مصر كانوا قد اعتنقوا المذهب الأباضي وتعمقوا في دراسته حتى صار منهم علماء وفقهاء وصلوا الى مرتبة الفتيا ، وحتى كان أئمة تاهرت يرسلون إليهم في طلب المشورة .

وقد هيأت هذه الظروف كلها الفرصة أمام فتح بن الصلت الأزدي العماني أصلا ، المصري مولدا وسكنا ، كي يقوم مع أحد الأمويين وهو دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بثورة ضد الوالي العباسي ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس (١٦٥ ـ ١٦٧هـ/ ٧٨١ ـ ٧٨٣م) في صعيد مصر . وكان فتح ابن الصلت هذا هو ''صاحب أمر دحية كله ، وكان قائد جنده'' (٥) .

ويبدو أن هذه الثورة كانت قوية لدرجة أن والي مصر لم يتمكن من قمعها ربما خوفا من الهزيمة اذا مادخل مع الثوار في قتال ، ولذلك عزله الخليفة العباسي المهدي وولى قائدا آخر لقمع هذه الثورة ، وكان هذا القائد هو موسى بن مصعب الخثعمي الذي قام بقتال دحية وفتح ابن الصلت ، ورغم شدة بأسه إلا أنه انهزم وقتل ، مما أجبر الخليفة المهدي على إرسال جيوش عباسية من بلاد العراق ذاتها لقمع هذه الثورة التي استفحل أمرها ، واشتد لهيبها ، ونتج عن لقاء هذه الجيوش الكثيفة مع قوات الثورة ، أن قتل فتح بن الصلت الأزدي وفر دحية الى الواحات التي تقع في صحراء مصر الغربية ، وكان أهل هذه الواحات ''من المسالمة والبربر يتدينون بالشراية'' ، أي أنهم كانوا من المصريين والبربر الذين أسلموا واعتنقوا المذهب الأباضي . وعندما وصل دحية الى هذه الواحات أرسل الى أهلها يطلب العون

(٥) الكندي : ولاة مصر ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ، ١٥٣ .

والمساعدة ، ولكنهم رفضوا تقديم العون له قائلين إنهم لايقاتلون إلا مع أهل دعوتهم ، أي مع من كانوا على نفس مذهبهم ، فبعث اليهم دحية يقول لهم إنه على مذهبهم ، فخرجوا إليه وقاتلوا معه يوم الدير (٦) .

واضح من هذه الرواية أن قائد جند الثورة كان من الأزد ، وكان في الغالب أباضيا ، وكان دحية وحسب ظاهر الرواية من الأباضية أيضا وان كان هذا أمرا مشكوكا فيه ، ويبدو أنه تظاهر بذلك ومن ثم أقبل عليه أهل الواحات وقدموا له العون والمساعدة . ولانستبعد تحريض أباضية عمان والبصرة لأباضية مصر كي يقدموا عونهم لهذه الثورة أو لغيرها من الثورات التي قامت ضد الحكم العباسي الذي كان في نظرهم حكم جبابرة ، لاسيما وأنه كان لهم دعاتهم ورجالهم في مصر وفي بلاد المغرب ، وكان لهؤلاء الدعاة جهود كبيرة أفلحت في تلك الفترة بالذات في إقامة دولة أباضية هي الدولة الرستمية التي امتد حكمها الى غربي مصر .. أما وقد أفلحوا في تاهرت ، فقد حاولوا في نفس الفترة في مصر ، وإن كانت محاولة مقضيا عليها بالفشل ، لأن القائم بها كان من بني أمية ، وكانت له أهدافه الخاصة من وراء هذه الثورة ، وإن تظاهر باعتناق المذهب الأباضي ، كما أن قوة الأباضية في مصر لايمكن أن تقارن بقوتهم في بلاد المغرب حيث قامت لهم هناك دولة . ومع ذلك فقد حاولوا أو ساعدوا في تعكير صفو الحياة على الحكم العباسي في مصر ، على الأقل حتى ينشغل العباسيون عن الدولة الأباضية الوليدة التي قامت في بلاد المغرب في ذلك الحين .

ورغم هذا الفشل ورغم هذه الظروف المحيطة بالأباضية في مصر ،

---

(٦) المصدر السابق ، ونفس الصفحات .

الا أنهم لم يكفوا عن المحاولة . فقد أشارت المصادر الى قيام حركة أخرى قام بها أباضية مصر ضد الحكم العباسي فيها في عام ٢١١هـ/ ٨٢٦م في عصر الخليفة المأمون . ويبدو أن هذه الحركة أو هذه الثورة كانت من الخطورة بمكان حتى إننا نرى المأمون يرسل قائد جنده الشهير عبد الله بن طاهر بن الحسين الفارسي الأصل في ربيع الأول من عام ٢١١هـ/ يوليو ٨٢٦م لقمع الثورة والثوار . وقد نجح هذا القائد في مهمته وانتصر على الثوار وظفر بهم وعاد إلى بغداد في شهر رجب من نفس العام (٧) .

ويبدو أن العلاقات بين أباضية البصرة وأباضية مصر — وهي علاقات في معظمها مذهبية — كادت أن تتعرض في إحدى مراحلها للضعف والانشقاق ، وذلك بسبب مانجم من خلاف فكري بين الفريقين في بعض المسائل الفقهية . وكان بعض حملة العلم المصريين مثل شعيب بن المعروف وأبي المؤرج وعبد الله بن عبد العزيز وغيرهم ، لهم آراء معينة في بعض النواحي الفقهية تتعارض مع رأي أباضية البصرة وعمان ، وحاولوا إذاعة هذه الآراء أيام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة فأنكرها عليهم وطردهم من مجلسه ، فأتوا حاجبا والربيع بن حبيب وتابوا وتخلوا عن آرائهم ، فأعادهم أبو عبيدة الى المجالس الأباضية التي كان يعقدها للدعاة ولطلبة العلم وحملته ، ولكنهم عادوا الى أقوالهم مرة أخرى أيام الربيع بعد موت أبي عبيدة ، وتمادوا في هذه الآراء ، ولما فشلوا في إقناع أباضية البصرة بها ، خرجوا من هذه المدينة بليل ، وعادوا إلى مصر منشقين على إخوانهم من أباضية البصرة (٨) .

ولم يكتفوا بذلك وإنما حاولوا النيل من الامام عبد الوهاب بن

---

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ص ٢٦٥ .

(٨) الشماخي : جـ ١ ص ٩٧ ، ١٣٤ .

عبد الرحمن بن رستم إمام الدولة الرستمية والذي كان الربيع بن حبيب يعتبره إمام المسلمين جميعا ، أي إمام الأباضية سواء في بلاد المشرق أم في بلاد المغرب ، وانتهز شعيب فرصة الخلاف الذي كان قد اندلع بين عبد الوهاب وبين أحد الخارجين الثائرين عليه ، وهو محمد بن فندين الذي كان طامعا في السلطة ، ورحل شعيب هذا مع بعض المصريين الأباضية الى تاهرت حيث ساهم في إشعال نيران الثورة ضد عبد الوهاب ، واشترك في القتال الذي دار بين الفريقين طمعا في السلطة وطمعا في أن يثب على الامامة ويحل محل عبد الوهاب . ولما فشلت الثورة وقتل ابن فندين عاد شعيب الى طرابلس يجر أذيال الخيبة والفشل ، ولم يجرؤ على العودة الى مصر مرة أخرى حيث سكتت المصادر الأباضية عن ذلك ، فلم تذكر شيئا عن مصيره أو نهايته ، ولكنها تذكر أن الأباضية تبرءوا منه ومن ابن فندين ومن سار على دربهما ، إلا من تاب (٩) .

ولايفهم من ذلك أن أباضية مصر كانت تساير شعيبا في انشقاقه على الربيع بن حبيب . فقد سجلت المصادر الأباضية موقف أباضية مصر بكل دقة ، وبينت أنهم كانوا غير موافقين شعيبا على هذا الانشقاق ، وبالتالي غير موافقين له على الذهاب إلى تاهرت . وقد أشار أبو زكريا وهو أقدم مصدر أباضي مغربي على الإطلاق إلى أن شعيبا خرج من مصر ''بغير مشاورة من أهل مصر ولا رأي منهم ، ولقد نهاه خيارهم أن يخرج الى المغرب فخرج وهو عند المسلمين — أي الأباضية — بأقبح المنازل حتى قدم على عبد الوهاب'' (١٠) .

---

(٩) أبو زكريا : ص ٩٠ — ٩٧ ، ١١٩ — ١٢٢ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٨ ، ٥٤ — ٥٥ ، ٧٠ ، الشماخي : جـ ١ ص ١١٠ ، ١٣٤ .

(١٠) أبو زكريا : ص ٩٠ — ٩٢ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٣٤ .

ومعنى ذلك أن العلاقات بين أباضية مصر وأباضية البصرة لم تتأثر كثيرا نتيجة لهذه الأحداث ، وكان أغلبية أباضية مصر يسيرون على نفس النهج المذهبي الذي كان يسير عليه أباضية البصرة وأباضية تاهرت ، ولذلك نسمع بعد ذلك عن اتصالات كثيرة قامت بين أباضية مصر والبصرة وتاهرت في عصر عبد الوهاب الذي أرسل إليهم في مصر والبصرة يستفتيهم في حجه وفي بعض المسائل الفقهية كما سبق القول (١١) ، واستمرت هذه العلاقات في عهد من خلفه من بني رستم . هذا عن العلاقات بين أباضية مصر وأباضية عمان والبصرة ، أما علاقة أباضية البلدين الأخرين بأباضية المغرب فقد كانت أقوى من ذلك وأشد تأثيرا وأوسع مجالا . ولابد في ذلك من حديث .

ب ــ علاقة أباضية عمان والبصرة بدولة أبي الخطاب :

تشير المصادر بوضوح كامل إلى قيام علاقات سياسية ومذهبية قوية بين هذين الفريقين منذ أن قامت لأباضية المغرب دولة في هذه البلاد . وقد سبقت الاشارة إلى أن أباضية المغرب كانت لهم دولتان ، الدولة الأولى هي دولة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري التي أقامها في عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م في بلاد المغرب الأدنى وخاصة في إقليم طرابلس وجبل نفوسة وامتد حكمها ليشمل جزءا كبيرا من ولاية افريقية وخاصة القيروان والمناطق المحيطة بها ، ولم تستمر هذه الدولة أكثر من أربع سنوات ، فقد أرسل لها العباسيون جيوشهم التي قضت عليها (١٢) .

---

(١١) انظـــر ، ص ٩٠ .

(١٢) انظـــر ، ص ١٠٧ ــ ١١٠ .

أما الدولة الثانية التي أقامها أباضية المغرب فهي الدولة الرستمية التي أقامها عبدالرحمن بن رستم الفارسي في عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م في تاهرت في بلاد المغرب الأوسط ، وامتد حكمها ليشمل معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط ، وظلت تحكم هذه البلدان حتى عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م ، عندما أسقطها الفاطميون (١٣) .

وفي ظل هاتين الدولتين نمت العلاقات السياسية والمذهبية التي قامت بينهما وبين أباضية عمان والبصرة . فبالنسبة لدولة أبي الخطاب في طرابلس ، فإن هذه الدولة ذاتها لم تقم إلا بجهود الدعاة الذين أرسلهم مشايخ المذهب في البصرة كما سبق القول ، ولم يتم اختيار أبي الخطاب للامامة ولرياسة هذه الدولة ، إلا باشارة شيخ المذهب وإمام الكتمان في البصرة وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، فهو الذي أشار على الدعاة وحملة العلم المغاربة باختيار أبي الخطاب اماما لهم ، عندما كانوا متوجهين للعودة الى بلادهم وسألوه عما يفعلون إذا أصبح في مقدورهم أن تظهر لهم دولة في هذه البلاد ، فأمرهم أن يفعلوا ذلك وألا يؤخروه لحظة واحدة وأشار إلى أبي الخطاب وقال لهم إن رفض فاقتلوه (١٤) .

ولما قامت هذه الدولة كما قلنا في عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م وكانت هناك مشكلة حدثت بين الأباضية قبل تولية أبي الخطاب ، وهي مشكلة الحارث وعبد الجبار التي أشرنا اليها من قبل ، وكان هذان الشيخان من زعماء الأباضية في المغرب ووجدا مقتولين وسيف كل منهما في جسد الآخر ، واختلف الأباضية وقتذاك فيمن يتولونه وفيمن يتبرءون منه منهما . عندئذ اشترط أبو الخطاب ترك هذه المسألة

(١٣) انظـــر ، ص ١١٠ — ١١٤ .
(١٤) أبو زكريـا : ص ٥٦ .

والتوقف فيها حتى لا يُحدث النزاع بشأنها تصدعا في دولته وعسكره ، وسانده في ذلك أباضية البصرة ، فكتب أبو عبيدة وأبو مودود حاجب الطائي إلى أباضية المغرب يأمرانهم بالكف عن ذكر هذه المسألة والقضاء عليها وإماتتها والتوقف بشأنها (١٥) .

وبعد أن قامت دولة أبي الخطاب وتوطدت أركان هذه الدولة ، أرسل أباضية المغرب رسالة إلى أبي عبيدة يخبرونه فيها بقيام دولتهم ويطلبون رأيه في بعض المسائل . وقد سر أبو عبيدة بهذه الرسالة سرورا كبيرا وأرسل اليهم كتابا هنأهم فيه على نجاحهم وأجابهم على بعض استفساراتهم ، وجاء في هذا الكتاب : ''أتاني كتابكم تذكرون فيه ما منّ الله به عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم . ولعمري ماكثرتهم وإن كثروا بأكثر ممن كان قبلهم على من قبلكم من سلفكم ، فاقتدوا بهم تهون عليكم كثرتهم .. نسأل الله العون والتوفيق في جميع أموركم ، وأن يكفنا وإياكم بأسهم وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ، فلعمري لقد أسرني ما انتهيتم إليه من أمركم ، وإن كان ذلك لم يخف عنا ؛ غير أنا لم نظن الذي كتبتم به اليّ . والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه .. أتانا كتابكم بمسائل : فمنها من رأيت أن أجيبكم فيها ، ومنها مارأيت ألا أجيبكم من غير هوان ولاتقصير إلا الذي رأيته أصلح لجماعتكم وأقوم لشأنكم وأرفق لضعيفكم وأعطف في الذي أجيبكم فيه ، فما كان من صواب فمن الله ، وماكان من خطأ في رواية أو خبر أو غير ذلك فمن نفسي ..'' (١٦) .

---

(١٥) أبو زكريا : ص ٥٨ — ٥٩ ، الشماخي : جـ ١ ص ١١٤ .

(١٦) عوض خليفات : ص ١٤٩ ، عن ''رسالة في أحكام الزكاة'' لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التيمي ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢١٥٨٢ ب ، ورقة ١١٤ .

والرسالة كما ترى تدل على مدى العلاقات الوطيدة التي كانت تربط مركز الدعوة في البصرة ، وبين قواد الدعوة والدولة في بلاد المغرب ، وتدل على مدى حرص أباضية البصرة على توفير أسباب النجاح والاستمرار لهذه الدولة الوليدة ، فلم يشأ أبو عبيدة أن يجيبهم على بعض الاستفسارات التي تخوض في مسائل فلسفية عميقة أو استفسارات ربما تؤدي الى اختلاف الرأي بين قادة هذه الدولة وشيوخها ، كما تدل على أن هؤلاء القادة كانوا يأتمرون بأمره ويسترشدون بنصائحه ولايخرجون على رأيه ، وأنه كانت له وسائله التي يعلم بها أخبارهم قبل أن يخبروه بها ، مما يدل على حرص مشايخ البصرة على متابعة أخبار إخوانهم في بلاد المغرب وعلى معرفة أحوالهم ومساندتهم (١٧) .

وكان هذا الاتصال بين أباضية البصرة وبين دولة أبي الخطاب هو الاتصال الوحيد الذي ورد في المصادر والمراجع الأباضية ، فيما اطلعت عليه من هذه المصادر والمراجع ، ولم يكثر هذا الاتصال ويزداد إلا منذ قيام الدولة الأباضية الثانية وهي الدولة الرستمية . فقد حرص أباضية عمان والبصرة الحرص كله على مساندة هذه الدولة بكل ما كان لديهم من إمكانيات مادية وغير مادية حتى لاتنهار ويقضى عليها مثل الدولة السابقة . وكان المحور الأساسي لهذه المساندة هو اتباع وسائل عديدة ، أولها ، دعم هذه الدولة من الناحية الروحية والمذهبية والمادية ، بالاعتراف بإمامها إماما لكل الأباضية سواء في المشرق أم في المغرب ، وبتقديم العون لها من الناحية المادية ، هذا العون الذي تمثل في إرسال الأموال اللازمة لتثبيت أركانها وتوطيد حكمها . وثانيها ، المساهمة في حل مشاكلها السياسية والمذهبية بإرسال النصائح

(١٧) عوض خليفات : ص ١٤٩ .

والفتاوي اللازمة لحل هذه المشاكل .

جـ ـ الدعم الروحي والمادي من أباضية عمان والبصرة للدولة الرستمية :

وفيما يختص بهذه الناحية ، فإن أباضية عمان والبصرة بعد أن ظهرت إمامة عبد الرحمن بن رستم في تاهرت وقامت الدولة الرستمية الأباضية على يديه في عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م ، وسيطرت هذه الدولة على كثير من بلدان المغربين الأدنى والأوسط ، عملوا على الاعتراف بإمامته لهم أيضا ، واعتقدوا أن هذا الامام سوف ''يملك المشرق ويملؤه عدلا كما ملك المغرب وملأه عدلا'' (١٨) . وكانت الأحوال في البصرة وعمان تمهد لهذه الخطوة أو لهذا النوع من التفكير .

ذلك أن الأباضية في البصرة كانوا مستترين وكانوا يسيرون في طريق الضعف والزوال ويتهيأون للرحيل الى عمان . وكانت عمان أيضا في فترة انتقال بين الامامة الأباضية الأولى التي قامت على يد الجلندى بن مسعود في عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ، وبين الامامة الأباضية الثانية التي قامت على يد محمد بن عبد الله بن أبي عفان اليحمدي في عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م (١٩) . ذلك أنها كانت في الفترة التي تقع بين هاتين الامامتين تدين بالتبعية للدولة العباسية ، وكان حكامها من غير الأباضية حتى سماهم أباضية عمان بالجبابرة (٢٠) . هذا في الوقت الذي ظهرت فيه الامامة الأباضية في بلاد المغرب وصارت لها دولة

---

(١٩) نور الدين السالمي : تحفة الأعيان ، جـ ١ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢٠) أبو عبيد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٢٨ ص ١٧٠ ، مخطوط كشف الغمة رقم ٥٧١ ص ٥٨٤ ، نور الدين السالمي : جـ ١ ص ١٠٧ .

واسعة . ولذلك فكر أباضية المشرق في أن يكون إمام هذه الدولة الوليدة هو إمامهم أيضا ، ورأوا أن الفرصة قد تسنح له فيمد نفوذه حتى بلادهم في البصرة أو في عمان .

وبطبيعة الحال لم يضع أباضية عمان والبصرة هذا التفكير أي الاعتراف بإمامة عبد الرحمن بن رستم ، موضع التنفيذ إلا بعد اختبار هذا الامام ، والتعرف على أحواله وعلى سيرته في الحكم ، ومدى تمسكه بالمذهب ومدى تطبيقه له . ولذلك أرسلوا رسلا يحملون إعانة مالية كبيرة وقالوا لهم : ''قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلا وسوف يملك المشرق ويملأه عدلا ، فانهضوا اليه بما معكم من هذه الأموال حتى تردوا المدينة التي سكنها — يقصدون تاهرت — فان كان على مانقل لنا من حسن طريقته وصحة سيرته ، فادفعوها إليه وإن كان على غير ذلك فانظروا الى أفعاله ومايتولاه من الأحكام بين رعيته ثم آتونا بذلك كله'' (٢١) .

وقد وصل هؤلاء الرسل ومعهم ثلاثة أحمال من الأموال الى تاهرت وشاهدوا بأنفسهم سيرة عبد الرحمن الحسنة ومدى تقشفه وزهده وتواضعه ، إذ كان يعمل في استكمال بناء داره بنفسه وبيده ، وعندما دخلوا بيته لم يجدوا فيه إلا حصيرا يجلس عليه ووسادة ينام عليها وسيفاورمحا وفرسا مربوطا في ناحية من داره . أما الطعام الذي قدمه لهم فلم يتجاوز قرصا من خبز يسمى (سخنت) ، وبعض سمن وشيء من ملح . ولما أخبروه بخبر المال الذي جاءوا به اليه ، لم يطمع فيه و لم يبت فيه برأي إلا بعد أن اجتمع بكبار أصحابه ومشايخ القبائل التي تؤيده وتسكن حول تاهرت ، واستشارهم في أخذ هذا المال أو

---

(٢١) ابن الصغيـــــر : ص ٣٢ .

رفضه . ولما أشاروا عليه بالقبول تسلمه وقسمه ثلاثة أقسام : قسم خصصه للكراع أي لشراء الأحصنة ومايلزمها ، وقسم خصصه لشراء السلاح ، والثالث أمر به أن يوزع على فقراء الأباضية (٢٢) .

وكان لهذا الدعم العماني البصري أثر كبير في إنعاش هذه الدولة الوليدة ، وفي ازدياد قوتها حتى خافها الجيران ، وأصبح أهلها قادرون على غزو غيرهم ممن كانوا يتهددونهم بالغزو والغارة . وفي الداخل تحسنت أحوال الناس فقوي الضعيف وانتعش الفقير وشرع القوم في البناء والعمران وغرس البساتين والأشجار وشق القنوات واستصلاح الأرض البور ، وأقبل الناس عليهم من شتى البلدان وأقاصي الأقطار وساكنوهم وابتنوا معهم الدور والقصور بعد أن رأوا بأعينهم رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته ، وما يتوافر في دولته من أمن وأمان ''حتى لاترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري ، وهذه لفلان القروي ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين ، واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة'' (٢٣) .

وهكذا صارت الدولة الرستمية في مأمن من أي هجوم قد يأتيها في ليل أو نهار ، وصارت قبلة لجميع التجار من الأباضية وغير الأباضية من المشرق والمغرب ، واتبع إمامها ماتنادي به الأباضية من إقامة العدل والشورى واتباع السنة والقضاء على البدع والمحدثات . ولما وصلت هذه الأنباء إلى إخوانهم من أباضية عمان والبصرة تناجوا أن اغدوا

---

(٢٢) ابن الصغير : ص ٣٣ — ٣٥ ، أبو زكريا : ص ٨٣ — ٨٤ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٥ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٢٥ .

(٢٣) ابن الصغير : ص ٣٥ — ٣٦ .

إلى الاجتماع من جديد .

وتتفق الرواية الأباضية التي جاء بها أبو زكريا وإن كانت مختصرة جدا مع الرواية السُنِّية التي جاء بها ابن الصغير المالكي الذي عاش فترة طويلة من حكم هذه الدولة في القرن الثالث للهجرة ، فيما نقلته إلينا وأخبرتنا به هاتان الروايتان عن تراسل أباضية المشرق وقدوم شيوخهم وعلمائهم من عمان وغيرها واجتماعهم في البصرة ، واعترافهم بامامة عبد الرحمن بن رستم ، واتفاقهم على إرسال الأموال اليه للمرة الثانية ، دعما له ومساندة لدولته . فقد قال بعضهم لبعض في هذا الاجتماع ''إمامكم بالمغرب خلف من أبي بلال مرداس بن أدية ، ومن أبي حمزة الشاري ، فلا تدخروا عنه مالا ولاتحبسوا عنه عطاء وابعثوا إليه بجميع ما بأيديكم ليتقوى به على دينه ودنياه ، فإنكم تنالون بذلك شرفا عاجلا وغناء آجلا'' (٢٤) .

من هذه الرواية نرى اعتراف أباضية عمان والبصرة بامامة عبد الرحمن بن رستم ، وأن امامته أصبحت لازمة لأباضية المشرق والمغرب معا . غير أن هذا الاعتراف لم يأخذ الشكل الكامل ، إلا بعد أن أرسلوا له هذه المرة عشرة أحمال من الأموال مع نفس الرسل السابقين ، ليروا كيف يسير هذا الامام في رعيته . ولما وصل هؤلاء الرسل الى تاهرت ، رأوا تغير الأحوال الى أفضل حال ، فمن قصور قد بنيت وبساتين قد غرست ، وأرحاء قد نصبت ، وخيول قد ركبت ، وأسوار قد بنيت ، وعبيد وخدم ملئوا الدور والمنازل والقصور ، فظن القوم بالامام الظنون ، ولم ترجع إليهم ثقتهم فيه إلا بعد أن سألوا الناس عن أحواله وأحكامه ، وهل تغيرت أو تبدلت ،

---

(٢٤) ابن الصغير : ص ٣٧ — ٣٨ ، أبو زكريا : ص ٨٤ .

فأجابوهم بأن ذلك لم يحدث ، وأنه ماتغير أمره ولا تبدلت أحكامه (٢٥) .

ولما وصلوا إليه أخبروه عما يحملونه معهم من أموال وفيرة ، وأنه لابد من تسليمها له ، فلم يرض بذلك ، وجمع وجوه القوم أو مجلس الشورى ، واجتمع بهم وبالرسل في المسجد واستشارهم كما حدث في المرة الأولى . ولكن القوم رأوا في هذه المرة عدم قبول هذا المال نظرا لعدم حاجتهم اليه ، ولأن أباضية المشرق لابد أنهم أحوج إليه منهم ، لأنهم ''مستترون غير ظاهرين .. مستضعفون غير قادرين ، لأن بجماعتهم مثل مابجماعة الناس من الغنى والفقر'' (٢٦) ، ولذلك قال لهم عبد الرحمن : ''ارجعوا بمالكم فإن أربابه أحوج اليه منا لأنا في أرض قد استولى عليها العدل ، وهم في بلد غلب عليه الجور ، يدارون به على أنفسهم ومالهم ودينهم'' (٢٧) .

وقد تأثر الرسل بهذا الكلام الذي كان شاقا على نفوسهم ، ولكنهم امتثلوا لأمر عبد الرحمن ، لأنه ''ليس عليهم بد من طاعة إمامهم'' (٢٨) ، وعادوا الى بلادهم . وهناك في البصرة تعجب الناس من زهد هذا الامام وتقشفه ورغبته في الآخرة ، فعظم شأنه لديهم ، وأعجبهم فعله بالنسبة لرد الأموال اليهم ، وبالنسبة للسبب الذي من أجله رد هذه الأموال الجزيلة . عندئذ استقر رأي الأباضية في عمان والبصرة على أن يكون عبد الرحمن إمامهم . وقد عبر عن هذا المعنى ابن الصغير المالكي السني فقال : ''فعند ذلك رغب القوم في إمامته

(٢٥) ابن الصغير : ص ٣٨ ، أبو زكريا : ص ٨٤ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٥ .
(٢٦) ابن الصغير : ص ٣٩ — ٤٠ ، أبو زكريا : ص ٨٤ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٥ .
(٢٧) الشماخي : جـ ١ ص ١٢٦ .
(٢٨) أبو زكريا : ص ٨٤ .

ورأوا أنها فرض عليهم'' (٢٩) ، وعبر عنه أبو زكريا الأباضي فقال : ''وأقروا بامامته وواصلوه بكتبهم ووصاياهم'' (٣٠) . وروي عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي أنه قال اذا ''اختلف الناس ردوا الأمر الى الامام ، وامام الناس عبد الرحمن بن رستم'' (٣١) . واستمروا في الاعتراف بامامته حتى وفاته في عام ١٦٨هـ/ ٧٨٤م ، ثم في الاعتراف بامامة ابنه وخليفته عبد الوهاب (١٦٨ — ٢٠٨هـ/ ٧٨٤ — ٨٢٣م) الذي كان الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي العماني ، امام الكتمان في البصرة يقول عنه إنه ''إمامنا وتقينا وإمام المسلمين أجمعين'' (٣٢) . وإنه ''أمير المؤمنين'' (٣٣) .

وهكذا نرى كيف دعم أباضية عمان والبصرة الدولة الرستمية بالدعم المادي والمعنوي ، فأرسلوا لها الأموال واعترفوا بامامة عبد الرحمن وامامة ابنه عبد الوهاب من بعده ، لأنها إمامة ظهور ، وإمامة الظهور عند الأباضية أسمى أنواع الامامة ، وهي الهدف الذي كانوا يعيشون من أجل بلوغه وتحقيقه ، لأن امامة الظهور تعني قيام دولة يعيشون في ظلها ويحققون فيها ومن خلالها مايصبون اليه من أهداف وأحلام ومباديء ومثل ، وخاصة أنه في تلك الفترة لم تكن هناك امامة ظهور سواء في عمان أم في البصرة . فعمان كانت تحت السيطرة العباسية ، وكان من المستحيل أن تقوم امامة ظهور في مدينة البصرة

(٢٩) أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٤٠ .

(٣٠) سير الأئمة وأخبارهم ، ص ٨٤ .

(٣١) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٢٨ ص ١٣٦ . ويلاحظ أن أبي عبيدة لم يكن موجودا أثناء امامة عبد الرحمن بن رستم (١٦٠ — ١٦٨هـ) ، والثابت أنه كان موجودا في زمن المنصور بالله العباسي (١٣٦ — ١٥٨هـ) ، وربما أدرك أبو عبيدة وقت البيعة لعبد الرحمن بالامامة في عام ١٦٠هـ ثم توفي عقب ذلك .

(٣٢) أبو زكريا : ص ٩٧ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٥٥ ، مخطوط كشف الغمة للأزكوي ، ص ٥٢٩ .

(٣٣) أبو زكريا : ص ٩٨ .

لأن دولة بني العباس كانت في أوج قوتها وعظيم سلطانها ، وكان لايمكن للعباسيين أن يسمحوا للبصرة ، وهي جزء من العراق وبلد قريب من بغداد ، أن تظهر فيه أي قوة أخرى تناهض دولتهم ولاتعترف بامامتهم أو خلافتهم .

د ـ مساهمة أباضية عمان والبصرة في حل مشاكل الرستميين السياسـية والمذهبـية :

لم تقتصر مساندة أباضية البصرة وعمان للدولة الرستمية على مدها بالمساعدات المادية والاعتراف بامامتها ، بل امتدت أيضا الى المساهمة في حل مشاكلها السياسية والمذهبية . فقد مارس أباضية البصرة وعمان نفس الدور السابق الذي مارسوه عند إقامة الدولة الأباضية الأولى في طرابلس والقيروان عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م ، وذلك بتقديم العون والمساعدة في حل المشاكل التي اعترضت طريق أئمتها .

ففي عصر الامام الثاني وهو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٦٨ ـ ٢٠٨هـ/ ٧٨٤ ـ ٨٢٣م) ثار نزاع بينه وبين بعض المعترضين عليه من أمثال محمد بن فندين وجماعته الذين أرادوا عزل عبد الوهاب لأنه في نظرهم خالف شرطا كان قد شرطه على نفسه عند توليه الامامة وهو أنه لايبرم أمرا ولايتخذ قرارا إلا بموافقة جماعة معينة من الأباضية . وكان عبد الوهاب قد ولي عمالا على مدن الدولة ونواحيها رأي فيهم حسن السيرة والزهد في تولي المناصب ، وكان ابن فندين وجماعته يرون أنهم أحق من هؤلاء الولاة ، فنابذوا عبد الوهاب بحجة أنه خالف شرطا كان قد شرطه على نفسه عند توليه الامامة ، وهو شرط الاستشارة ، وقامت الفتنة بين الفريقين على هذا النحو ،

ولم يجد عبد الوهاب مناصا من الاتصال بكبار رجال الأباضية في مصر والبصرة ، فأرسل رسله بكتاب منه الى الربيع بن حبيب يستشيره في أمر هذا الخلاف ، فأفتى الربيع بصحة موقف عبد الوهاب ، وأن الامامة صحيحة والشرط باطل (٣٤) . وكان لهذه الفتوى أثرها الكبير في التفاف الناس حول عبد الوهاب حتى تمكن من القضاء على هذه الفتنة (٣٥) .

وقد سبقت الاشارة إلى أن عبد الوهاب عندما أراد أن يؤدي فريضة الحج وتهيأ لذلك ورحل من تاهرت الى جبل نفوسة بليبيا ، خاف أباضية نفوسة أن يتعرض له ولاة بني العباس فيسجنونه أو يقتلونه ، عندئذ ''تتعطل أمور المسلمين وحدود الله'' ، وربما لايوفقون في اختيار إمام يملأ الفراغ الذي يمكن أن يتركه عبد الوهاب لو حدث له مكروه أثناء رحلته للحج . فاضطر عبد الوهاب أن يرسل رسله الى الربيع بن حبيب في البصرة ، وكان يعتبره المرجع في الفتوى ، كما أرسل أيضا الى ابن عباد المصري الفقيه الأباضي المفتي بمصر يستفتيهما في هذا الأمر ، فأفتاه الربيع بأن يستأجر من يحج عنه ، وأفتاه ابن عباد بأنه ليس عليه حج ، لأن أمان الطريق من شروط وجوب الحج على من استطاعه (٣٦) .

وفي نطاق طلب العون والمساعدة والرأي والمشورة من أباضية البصرة ، الذين كان معظمهم من أهل عمان ، أرسل أهالي طرابلس كتابا الى أبي سفيان محبوب بن الرحيل في البصرة ، يستفتونه فيما

---

(٣٤) أبو زكريا : ص ٨٩ — ٩٨ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٨ ، ٤٩ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٣٠ — ١٣٢ ، الأزكوي : مخطوط كشف الغمة ، ص ٥٢١ — ٥٢٢ .

(٣٥) أبو زكريا : ص ٩١ — ٩٢ ، ٩٦ — ٩٨ .

(٣٦) ابن سلام الأباضي : ص ١٣١ ، أبو زكريا : ص ١١٤ — ١١٥ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٦٦ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٤٠ .

ثار بينهم وبين الامام عبد الوهاب من نزاع حول تعيين عامل عليهم ، كانوا قد ولوه بغير إذن هذا الامام الذي أنكر عليهم مافعلوه دون إذن منه . ومن ثم أرسلوا إلى أبي سفيان ''وهو إذ ذاك رأس الدعوة والمقدم في المشرق بعد انقراض طبقة الربيع بن حبيب وأبي غسان مخلد بن المعرد ، وأبي المهاجر ، وأبي أيوب بن وائل'' ، فرد عليهم أبو سفيان بتخطئة من ولى هذا العامل ، وأمرهم باتباع إمامهم عبد الوهاب والطاعة له (٣٧) .

وقد استمرت مشكلة هذا الوالي وهو خلف بن السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي تكونت باسمه فرقة منشقة عن الأباضية باسم الخلفية ، حتى وفاة الامام عبد الوهاب ، فخلفه ابنه أفلح بن عبد الوهاب (٢٠٨ ــ ٢٤٠هـ/ ٨٢٣ ــ ٨٥٤م) . وفي عهده استمرت هذه المشكلة لفترة لم يسكت فيها أباضية البصرة ، بل تابعوا إرسال كتبهم ورسائلهم لأباضية المغرب يحثونهم فيها على الوحدة وتجنب الفتنة .

من ذلك مافعله أبو عيسى الخراساني عندما بلغه نبأ هذا الخلاف . فقد كتب رسالة أرسلها مع جماعة من الأباضية الى أهل المغرب ، يوصيهم فيها باتباع الحق ونبذ الباطل والاقتداء بسنة السلف الصالح ، وأثنى على الامام عبد الوهاب وامتدح السمح بن أبي الخطاب ، وأنكر على من ولى خلف بن السمح بغير رضا الامام عبدالوهاب ، ثم امتدح أفلح بن عبد الوهاب ودعا الله أن يمتعه بحياة هذا الامام (٣٨) .

كما كتب من عمان محمد بن محبوب بن الرحيل إلى أهل المغرب

(٣٧) أبو زكريا : ص ١١٩ ــ ١٢٢ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٤٩ ، جـ ٢ ص ٢٩٠ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٥٧ .

(٣٨) الشماخي : جـ ١ ص ١٦١ ، ١٦٢ .

رسالة يحثهم فيها على الطاعة للأئمة ، وقال لهم في هذه الرسالة ضمن ماقال : ''إن من أحدث حدثا فهو مأخوذ به إلا أن يكون الامام أمر به ، وهو يرى أنه الحق'' (٣٩) ، مما كان له أثره في القضاء أخيرا على هذه الفتنة (٤٠) .

واستمرت الاتصالات بين أئمة عمان وبين أهل المغرب بعد القضاء على الدولة الرستمية . يستفاد ذلك مما رواه لنا أبو عبد الله الكندي في كتابه بيان الشرع من أن محمد بن محبوب بن الرحيل كتب لأهل المغرب كتبا على لسان الامام الصلت بن مالك (٢٣٧ — ٢٧٣هـ/ ٨٥١ — ٨٨٦م) يرد فيها على أسئلتهم ويعطيهم الفتوى في مسائل فقهية وعلمية (٤١) .

هـ ـ ارسال الرسل لتفقد أحوال أباضية المغرب :

لم يقف دور أباضية البصرة وعمان على هذه النواحي من الدعم السياسي والمادي وارسال الفتاوى لحل ماكان يحدث بين أباضية المغرب من خلافات أو منازعات مذهبية أو سياسية ، بل إنهم كانوا يرسلون رسلهم أيضا لتفقد أحوالهم وللوقوف على مشاكلهم ولتوطيد أواصر الصداقة والمودة والتواصل معهم في جميع الأحوال والظروف . من ذلك مايرويه لنا الشماخي نقلا عن كتاب ''سير نفوسة'' وعن الدرجيني ، من أن رجالا من أهل المشرق قدموا زائرين في عصر الامام عبد الوهاب ، فوصلوا الى جبل نفوسة وزاروا أهله من الأباضية

(٣٩) نور الدين السالمي : تحفة الأعيان ، جـ ١ ص ٢٤٨ .

(٤٠) أبو زكريـــا : ص ١٢٨ — ١٣٦ .

(١٤١) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٢٨ ص ١٩٥ — ١٩٧ .

وانتهي بهم المطاف إلى الامام عبد الوهاب الذي جمعهم بأحد علماء نفوسة . وكان هذا الامام يعظم هذا العالم ويحترمه لغزارة علمه وفضله ، فأخذوا في طرح أسئلتهم عليه لاختبار مدى هذا العلم وذلك الفضل ، ولما أجابهم على كل ماسألوا ، قالوا للامام ''لانعلم أحدا بالمشرق والمغرب مثل هذا'' العالم (٤٢) .

ولم يكن حضور كثير من أباضية المشرق إلى بلاد المغرب لهذا الهدف فقط ، وهو تعميق الصلة بينهم وبين أباضية المغرب ، بل كان لأهداف أخرى ، منها العمل بالتجارة أو الاشتغال بالعلم ونشر المذهب بين البربر ، أو هربا من اضطهاد العباسيين لهم ، أو لهذه العوامل جميعها . ونتج عن ذلك أن تدفق المشارقة من علماء وتجار وحرفيين وصناع على بلاد المغرب بصفة عامة ، وعلى تاهرت بصفة خاصة ، لما توافر فيها من أمن وأمان وعدالة وسماحة . وقد سبق أن أشرنا إلى بناء هؤلاء المشارقة من البصريين والكوفيين والمصريين وغيرهم الدور والقصور والمساجد والمحلات التجارية ، مما أدى الى ازدهار الحياة في الدول الرستمية والى ازدياد قوتها (٤٣) . ولم يكن هذا الازدهار وتلك القوة إلا نتيجة للعلاقات السياسية والمذهبية الوطيدة التي ربطت بين أباضية المغرب ومصر وأباضية البصرة وعمان ، وماساهم به البلدان الأخيران من دعم مادي وسياسي ومعنوي في إقامة هذه الدولة ، وفي مساندتها وفي حل مشاكلها السياسية والفقهية واسداء النصح لحكامها وأئمتها ، حتى تزداد قوتها وتصير علما يلتف حوله الأباضية في المشرق والمغرب ، وحصنا يلوذون به من عوادي الأيام وضربات الزمن .

وقد نجح أباضية عمان والبصرة كل النجاح فيما خططوا له ،

(٤٢) الشماخي : جـ ١ ص ١٤٥ ، ١٥٣ .
(٤٣) ابن الصغير : ص ٣٦ — ٣٧ ، ٦١ — ٦٢ .

وفيما قاموا به من أعمال ، وفيما قدموه من مساهمات للدولة الرستمية ، فقد نعمت هذه الدولة بالاستقرار السياسي طوال عهود معظم أئمتها ، كما ازدادت قوتها العسكرية إلى حد بعيد ، فتغلبت على الثورات الداخلية التي نشبت في عهد الامام عبد الوهاب وفي عهود بعض من خلفه من أفراد البيت الرستمي ، لدرجة أن عبدالوهاب تمكن في عام ١٩٦هـ/ ٨١١م من حصار مدينة طرابلس التي كانت تخضع للأغالبة في ذلك الحين ، وانتهي الأمر بحاكمها أن عقد معاهدة صلح مع عبد الوهاب اعترف له فيها بالسيادة الرستمية على المناطق الداخلية من إقليم طرابلس ، على أن يكون للأغالبة السيادة على المدينة نفسها وعلى المنطقة الساحلية فقط ، وقامت علاقات السلام بين الجانبين (٤٤) .

وبهذا الصلح وبهذا السلام قوي مركز الدولة الرستمية في الجبهة الشرقية ، وأصبحت حدود الدولة في عهده تمتد شرقا من خليج سرت وغربا حتى تلمسان فيما عدا مدينة طرابلس وولاية أفريقية التي أصبحت محاطة بأراضي الدولة الرستمية من الشرق والغرب والجنوب .

وقد اضطرد ازدياد قوة الدولة الرستمية في عهد ابنه أفلح (٢٠٨ — ٢٤٠هـ/ ٨٢٣ — ٨٥٤م) ، ووصلت إلى قمة الازدهار والقوة ، حتى إن هذا الامام أغار على مدينة بناها الأغالبة قرب تاهرت عام ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م وسموها العباسية ، لتقف في وجه الرستميين وتحتل مكانة تاهرت من الناحية الاقتصادية . وكان أفلح قد رأي في إقامة هذه المدينة على هذا النحو خطرا يهدد دولته ، فما كان منه إلا

---

(٤٤) الدرجيني : جـ ١ ص ٦٧ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٤١ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٣٢ ، شاكر مصطفى : جـ ١ ص ٦٩٨ ، ٦٩٩ .

أن انتظر حتى أتم الأغالبة بناءها ورتبوا أسواقها وعمروها بالسكان ، ثم هجم عليها وأجلى عنها سكانها وأضرم فيها النيران وأحرقها عن آخرها ، وكتب بذلك الى أمير الأندلس الأموي تقربا اليه ، فبعث إليه هذا الأمير بمائة ألف درهم ، وازدادت العلاقات بينهما قوة (٤٥) . وقد نتج عن حسن العلاقات بين الرستميين والأمويين بالأندلس أن انتشر المذهب الأباضي بين بعض الأندلسيين . وقد أشار ابن حزم في القرن الخامس للهجرة إلى وجود الأباضية في هذه البلاد (٤٦) ، واستمر هذا الوجود حتى عصر يوسف بن تاشفين (٤٧) الذي فتحها واستولى عليها من ملوك الطوائف في عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م وأنقذ الاسلام من زحف الأسبان النصارى بعد أن انتصر عليهم في موقعة الزلاقة في عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م (٤٨) .

ولم يكن في استطاعة الأغالبة أن يردو على هذا الهجوم الكاسح الذي قام به أفلح على مدينة العباسية ، لما كانوا يشعرون به من ازدياد قوة الرستميين ، ولذلك آثروا السلامة ولزموا الصمت (٤٩) . وفي الواقع فإن قيام دولة الأغالبة نفسها في عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م لم يكن الا نتيجة من نتائج قيام الدولة الرستمية . فقد أحس العباسيون بمدى التهديد الخطير الذي هدد نفوذهم وسيادتهم في افريقية والمغرب ، وما يمكن أن يتعرض له نفوذهم في مصر أيضا إذا ما ازدادت قوة هذه الدولة الأباضية ، ولذلك اعترفوا للأغالبة بحقهم في توريث الحكم

---

(٤٥) البلاذري : ص ٢٣٦ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٤٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، جـ ٥ ص ٥١ ، ٥٥ .

(٤٧) محمد بن يوسف أطفيش : رسالة ان لم تعرف الأباضية ، ص ٣٣ ، جودت عبد الكريم يوسف : ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٤٨) رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٤٩) محمد عيسى الحريري : ص ١٥٢ .

لأبنائهم ، وفي الاستقلال بافريقية حتى أصبحت دولتهم في الواقع دولة مستقلة عن الخلافة العباسية ولاتربطها بها إلا روابط شكلية (٥٠) .

كما أن شعور دولة الأدارسة التي قامت في بلاد المغرب الأقصى في عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م بالهدوء والاطمئنان من جهة العباسيين والأغالبة ، لم يكن الا نتيجة أيضا لقيام الدولة الرستمية التي أصبحت حاجزا يحول دون أي تهديد عباسي أو أغلبي يمكن أن يصل للأدارسة (٥١) .

فانظر الى أباضية المغرب كيف قلبوا موازين القوى السياسية في بلاد المغرب كلها منذ قيام دولتهم في عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م ، وكيف مهدوا لقيام الحركات الاستقلالية والدول المستقلة على أرض المغرب الكبير بعد أن ضربوا المثل لغيرهم في هذا المضمار ، وانظر الى العلاقات والروابط المتينة التي ربطوا بها أنفسهم مع إخوانهم من أباضية عمان والبصرة ، فاستمدوا منهم العون والمساعدة في نشر المذهب ، وفي قيام الدولة الأباضية ، وفي دعمها وتأسيسها ، وفي حل مشاكلها المادية والسياسية والمذهبية على نحو مارأينا ، وانظر أيضا الى ماسوف نتحدث عنه من علاقات ثقافية دعمت العلاقة بين الفريقين وزادتها قوة وعمقا وجعلتها أكثر دواما واستمرارا .

---

(٥٠) شاكر مصطفى : جـ ١ ص ٦٩٥ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول) ، ص ١٩٣ .

(٥١) محمد عيسى الحريري : ص ٢٠٣ .

٢ — العلاقات الثقافية بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة :

لم تكن العلاقات السياسية والمذهبية هي الروابط الوحيدة التي ربطت أباضية مصر والمغرب بأباضية عمان والبصرة ، فقد كانت هناك أيضا علاقات ثقافية وطيدة قامت بينهما وكان لها أثرها الفعال في توثيق الروابط وازدياد الصلات بين الفريقين . وقد تعددت مظاهر هذه العلاقات الثقافية وتنوعت . فمن رحلات علمية وتبادل للزيارات قام بها علماء هذه البلدان كل الى بلد الآخر ، ومن التقاء لهم على أرض مكة في موسم الحج حيث يجتمع علماء الأباضية من المشرق والمغرب يتبادلون الرأي والمشورة ، ومن تبادل للكتب والمراجع العلمية ، ومن مناظرات علمية وطلب للفتوى فيما يستغلق عليهم فهمه من أمور الفقه والمذهب ، الى غير ذلك من الأمور التي أدت الى زيادة الروابط الفكرية والثقافية والعلمية بين الجانبين ، والتي لابد أن نخص كلا منها بحديث .

أ — الزيارات والرحلات المتبادلة بين علماء الأباضية :

حفلت المصادر والمراجع بذكر كثير من الأخبار عن رحلات علماء الأباضية من البصرة وعمان االى مصر والمغرب ، وعن رحلات علماء أباضية مصر والمغرب الى عمان والبصرة ، ولكن هذه الرحلات كانت قليلة أو نادرة في القرن الثاني للهجرة ، ثم تتابعت وزادت فيما تلي ذلك من عصور . ومن أقدم الرحلات العلمية التي قام بها بعض علماء أباضية مصر ، هي ماسبقت الاشارة اليه من رحلة شعيب بن

المعروف حيث زار البصرة وعاد منها الى مصر ، ثم رحل الى تاهرت عقب وفاة الامام عبد الرحمن بن رستم في عام ١٦٨هـ/ ٧٨٤م [٥٢] .

ومن المفيد هنا أن نعرف أن شعيب بن المعروف لم يذهب الى البصرة للقاء علماء المذهب فيها وحده ، ولم يرحل الى بلاد المغرب بعد ذلك وحده ، وانما كان معه في الرحلتين مجموعة من علماء الأباضية المصريين الذين كانوا قد تلقوا العلم في البصرة على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وغيره من علماء المذهب فيها ، ثم عادوا مع شعيب الى البصرة حيث خالفوه ثم خالفوا الربيع بن حبيب من بعده في بعض الأمور الفقهية كما سبقت الاشارة ، ثم عادوا الى مصر ، ورحل بعضهم وعلى رأسهم شعيب الى تاهرت [٥٣] .

وتشير المصادر الأباضية أيضا الى وصول عالم أو علماء من أباضية البصرة الى جبل نفوسة بليبيا ثم الى تاهرت بالجزائر لزيارة أهل الدعوة من الأباضية وللاطلاع على أحوالهم في هذه البلاد ، ولاختبار مدى تعمقهم في المذهب ومدى دراستهم له . ولذلك فقد ناقشوا في مجلس عقده الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم علماء الأباضية المغاربة للوقوف على مدى علمهم وفقههم [٥٤] .

واذا كانت المصادر لم تسعفنا بأسماء هؤلاء العلماء الذين وفدوا الى تاهرت في عصر الامام عبد الوهاب ، إلا أنها تذكر لنا في وضوح اسم عالم كبير من علماء المذهب خرج من البصرة متوجها إلى بلاد المغرب لزيارة هذا الامام . وكان هذا العالم هو أبو غانم بشر بن غانم

---

(٥٢) انظر ، ص ٩٨ ، ١٢٨ — ١٣٠ .

(٥٣) انظر ، ص ٨٤ .

(٥٤) أبو زكريا : ص ١٢٥ ، الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٩٣ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٥٥ .

الخراساني صاحب المدونة المشهورة في الفقه الأباضي . وقد رحل أبو غانم الى بلاد المغرب مصطحبا معه هذه المدونة ، وفي جبل نفوسة وقبل أن يصل الى تاهرت ، التقى بعالمها الكبير عمروس بن فتح النفوسي وترك معه مدونته للاطلاع عليها ، فقام عمروس بنسخها ، فكان يكتب وأخته تملي عليه ، وما عاد أبو غانم من تاهرت ، إلا وكان عمروس قد انتهي من نسخ المدونة في اثني عشر جزءا . ومنذ ذلك التاريخ اشتهر أمر هذه المدونة في بلاد المغرب الاسلامي (٥٥) .

(*) وتتواتر بعض الأخبار عن وصول بعض علماء الأباضية البصريين والعمانيين الى مصر وبلاد المغرب ،وإن كانت لاتذكر أسماءهم ، ولكننا يمكننا أن نستدل على كثرة ورودهم من بعض آثارهم العلمية . وعلى سبيل المثال فقد تمكن بعض الأباضية في جبل نفوسة من كتابة القرآن وحفظه على يد هؤلاء الواردين المشارقة الذين كانوا يمرون بهذا الجبل . مثال ذلك مارواه لنا الشماخي من أن عمر بن يمكتن الذي كان يعيش في جبل نفوسة قبل عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م ، أي في عصر الدولة الرستمية ، إنما تعلم القرآن بواسطة جلوسه في طريق يمر بناحية مغمداس ، حيث "يتلقى فيها السابلة والمارة من المشرق ، فيكتب عنهم لوحة من القرآن وينصرف ، فاذا حفظه رجع الى المحجة فيكتب عن المارة والرفاق كذلك ، حتى حفظ القرآن وتعلم العلم" (٥٦) . وهي رواية واضحة الدلالة على كثرة الواردين المشارقة الى بلاد المغرب سواء كانوا تجارا أم علماء .

وظل الأمر على هذا النحو حتى قضي الفاطميون على الدولة الرستمية الأباضية في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م . ورغم القضاء على هذه

(٥٥) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٢٠ — ٣٢٣ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٩٤ .

(٥٦) الشماخـــي : جـ ١ ص ١٢٧ .

الدولة ، إلا أن جماعات الأباضية لم يقض عليها كما سبق القول ، وإن كان قد نالها الكثير من الاضطهاد والضعف ، ومع ذلك فقد بقيت صامدة وبقي المذهب موجودا في كثير من أنحاء المغربين الأدنى والأوسط ، وقام أهله بثورات ضد الحكم الفاطمي ، وبلغ من قوتهم أن المعز لدين الله الفاطمي طلب منهم إنهاء الثورة على أن يملكهم أو يجعلهم حكاما على ماكان بيدهم من بلاد قبل قيام الدولة الفاطمية في افريقية والمغرب (٥٧) .

وفي ظل هذا الوجود الأباضي الذي صمد ومازال قائما في بعض نواحي ليبيا وتونس والجزائر حتى الآن ، استمر توافد علماء المشارقة الأباضية الى هذه البلاد . من ذلك ماترويه لنا المصادر عن عالم مشرقي كبير هو ابن الجمع الذي أتى إلى مصر ومنها رحل الى بلاد المغرب في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد ، حيث التقى في مدينة توزر ببلاد الجريد في تونس بعالم الأباضية أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي ، وهناك أخذ ينشر علمه وفقهه بين كثير من أباضية المغربين الأدنى والأوسط ، وكان يتنقل في القرى والمدن مصطحبا معه أبا الربيع . وبلغ بهما الترحال الى مدينة سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى ، حيث أخذ ابن الجمع يعلم أهلها ، ''فكان خير معلم وأفضل أستاذ حتى ابتهجت به محافلها وتنورت به مجالسها وعمرت بالعلوم ربوعها'' (٥٨) .

وقد ظل ابن الجمع وتلميذه أبو الربيع مقيمين في سجلماسة حيث لقي الأول ربه ، وتسلم الثاني كتبه . وكان ابن الجمع قد أوصى بها

(٥٧) انظـــر ، ص ١١٣ — ١١٨ .

(٥٨) أبو زكريا : ص ١٩٣ — ١٩٤ ، الدرجيني : جـ ١ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، سليمان الباروني : جـ ٢ ص ١٢٨ .

اليه ، فاستفاد منها الاستفادة الكبرى حتى صار علما من أعلام الأباضية في بلاد المغرب ، لدرجة أنه عندما عاد من سجلماسة ودخل قسطيلية من بلاد الجريد ، اضطربت هذه المدينة كلها من أجله ، واحتفلت به أيما احتفال ، وأخذ الناس يسألونه في فنون العلم المختلفة ، فكان يجيبهم عما يسألون . وكان أهل سجلماسة يرسلون اليه بعد أن غادر بلادهم ، يستفتونه فيما أشكل عليهم من مسائل الفقه والعقيدة ، فكان يفتيهم ويرسل اليهم جواب ما يسألون (٥٩) .

وتحدثنا المصادر عن وصول أحد علماء عمان الى مصر وبلاد المغرب في وقت متأخر . ففي القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد نسمع عن الشيخ العماني الفقيه الحاج محمد بن عبد الله السمائلي ، الذي رحل من عمان الى مصر ومنها الى بلاد المغرب ، حيث وصلها قبل عام ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م ، وظل هناك فترة صحب فيها الشماخي صاحب كتاب ''السير'' ، وذهب معه لزيارة أبي يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى ، وهو أحد علماء الأباضية المغاربة الأفذاذ في ذلك الوقت ، وكان هذا العالم مريضا ، ورغم مرضه فقد قامت بينه وبين الشيخ العماني مناظرة في علم الطب (٦٠) . وهكذا ظل توارد علماء الأباضية المشارقة من عمان وغيرها الى مصر وبلاد المغرب حتى هذا الوقت المتأخر من العصور الوسطى ، وفيما تلي ذلك من عصور (٦١) .

---

(٥٩) المصادر الثلاث السابقة ، ونفس الصفحات .

(٦٠) الشماخـــي : جـ ٢ ص ٢٠١ ــ ٢٠٣ .

(٦١) يشير سليمان الباروني في أزهاره (جـ ٢ هامش ٢ ص ٢٤٥) الى وصول الرحالة الشهير الأديب الشيخ على بن أحمد العمانى الى نفوسة بليبيا فى أواسط القرن الثالث عشر للهجرة/ منتصف القرن التاسع عشر للميلاد ، ومنها توجه الى بلاد السودان حيث سرق منه في الطريق اليها ديوانه الجامع لأشعاره وقصائده ، وما كتبه في رحلته ، فاغتم لذلك غما لامزيد عليه أثر في صحته ، فتوفي في هذه البلاد بعيدا عن وطنه وأهله .

ولاشك أن علماء الأباضية الذين توافدوا الى بلاد المغرب كانوا يفدون الى مصر أولا ويستقرون فيها بعض الوقت حيث يقابلون من فيها من الأباضية ويتعرفون على أحوالهم ، ثم يقومون باستئناف الرحلة لزيارة إخوانهم من أباضية المغرب . وكان بعضهم يكتفي بالبقاء في مصر لفترة قد تطول أو تقصر ، وكان البعض الآخر يفضل البقاء فيها حتى نهاية حياتهم . من ذلك مايرويه لنا ياقوت الحموي من أن عالما لغويا أديبا كبيرا نزل مصر وبقي فيها فترة طويلة ، حيث استفاد منه المصريون وتنافسوا وأكثروا من الرواية عنه ، هذا الأديب الكبير هو علي بن أحمد المهلبي اللغوي الذي كان إماما في النحو واللغة ورواية الأخبار وتفسير الأشعار . وقد وفد هذا العالم الى مصر في دولة كافور الاخشيدي حيث تقابل في بلاطه مع المتنبي ، ولما زالت دولة الاخشيديين وانتقل الفاطميون الى مصر في عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م ، صار هذا الأديب الكبير من أخص جلساء المعز لدين الله الفاطمي وكذلك في عهد ابنه العزيز بالله . وظلت له هذه المكانة حتى توفي في مصر عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م (٦٢) وان كنا لاندري على وجه الدقة مدى صلته بالأباضية . وراجح أنه كان منهم لأن المهالبة كانوا يحتضنون هذا المذهب ويعطفون على رجاله ، ومعروف أن المهالبة من الأزد ، ومعروف أن الأزد هم العمود الفقري بالنسبة للأباضية ، حيث ارتبط المذهب بالأزد منذ ظهوره في البصرة وعمان برباط قوي لاتنفصم عراه كما سبق القول (٦٣) .

وكما كانت مصر ملتقى لعلماء الأباضية المشارقة ، فإنها أيضا كانت بطبيعة الحال ملتقى للأباضية القادمين من بلاد المغرب . وكان بعضهم

(٦٢) معجم الأدباء ، جـ ١٢ مجلد ٦ ص ٢٢٤ — ٢٢٦ .
(٦٣) انظـــــر ، ص ٢٠ — ٢٢ .

يستقر فيها إما طلبا للعلم أو العمل أو التجارة ، أو يفضل استئناف الرحلة الى بلاد المشرق ، الى مكة للحج ، ثم الى عمان أو البصرة طلبا للمزيد من العلم على يد علماء المذهب في هذين البلدين . وقد سبقت الاشارة الى عالم الأباضية الكبير أبي خزر الوسياني الذي ثار ضد المعز لدين الله الفاطمي في عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م بسبب قتل العالم الأباضي أبي القاسم يزيد بن مخلد ، ثم الى هزيمته وعفو المعز عنه واصطحابه معه الى مصر ، حيث بز علماءها علما وفقها حتى خافوا مناظرته والحوار معه . وظل هذا العالم الأباضي عزيز الجانب عند المعز حتى مات وقام العزيز في الخلافة وورد في عهده أحد المعتزلة الى مصر فتغلب على علمائها ، ولم ينقذ الموقف إلا أبو خزر ، الذي تمكن من التغلب على هذا المعتزلي فعادت اليه وجاهته وارتفعت منزلته لدى العزيز (٦٤) .

ويبدو أن قدوم العلماء والطلبة الأباضية من المغرب إلى مصر ظل متواصلا حتى لاحظ بعض المؤرخين وجود بعضهم في مصر في عصر صلاح الدين الأيوبي ، وأشاروا الى أنه شملهم بعطفه ورعايته كما سبق القول (٦٥) .

وكما وصل بعض العلماء والطلبة الأباضية المغاربة الى مصر وأقاموا فيها ، فان بعضهم واصل الرحلة منها الى البصرة وعمان لتلقي المزيد من العلم والدراسة . من ذلك ماتشير اليه بعض المصادر والمراجع من قدوم العالم الأديب بكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي التاهرتي من تاهرت الى البصرة . وكان هذا الأديب يعد من شعراء الطبقة الأولى في عصره ، كما كان فقيها عالما بالحديث ورجاله . وقد

---

(٦٤) انظــــر ، ص ٩٩ ــ ١٠١ .
(٦٥) انظــــر ، ص ١٠١ ــ ١٠٣ .

ولد بتاهرت ورحل عنها الى البصرة في عام ٢١٧هـ/ ٨٣٢م حيث نهل هناك من روافد العلم الثرة ، فأخذ عن مسدد الأسدي البصري شيخ الأئمة المصنفين الثقات ، كما التقى هناك بكبار الأدباء وعظماء الشعراء ، كالشاعر دعبل الخزاعي ، واللغوي الراوية العباس بن الفرج الرياشي ، والشاعر الأديب علي بن الجهم بن بدر ، وكذلك سهل بن محمد السجستاني أحد كبار علماء اللغة والشعر . كما التقي أيضا بالشاعر حبيب بن أوس الطائي المشهور بأبي تمام ، وانتقل بعد ذلك الى بغداد وأثبت وجوده في بلاط الخليفة المعتصم بالله العباسي ومدحه ، ثم عاد الى القيروان ومنها الى تاهرت حاملا معه ماحمله من المؤثرات الثقافية المشرقية ، وظل يستأنف نشاطه العلمي في تاهرت حتى توفي بها في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م ، أي انتهت حياته بنهاية الدولة الرستمية (٦٦) .

ويحكى لنا ابن الصغير الذي عاصر نهاية هذه الدولة أن أحد علماء الأباضية في عصر أبي اليقظان محمد بن أفلح (٢٦١ — ٢٨١هـ/ ٨٥٥ — ٨٩٤م) ، ويسمى عبدالعزيز ابن الأوز كانت له رحلة الى المشرق ، والمقصود بالمشرق هنا اما البصرة أو عمان أو الاثنين معا ، وكان هذا العالم ذا فقه بارع وصيت ذائع (٦٧) .

وفي القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد ، يشير أبو سعيد الكدمي العماني الى أن قريبه العلامة ابن بركة صاحب ''كتاب الجامع'' في الفقه الأباضي والذي كان يعيش في بهلا بعمان ، والذي كان مشهورا بالغنى والثراء ، يشير الى أن هذا العالم الكبير كان محبا للعلم مشجعا لأهله من العلماء والطلاب ، ولذلك كان يقصده طلبة العلم من عمان

(٦٦) سليمان الباروني : جـ ٢ ص ٦٩ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٦٧) أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٩٩ .

وغيرها ''حتى قيل إن الطلبة الغاربة لايفقدون من مقامه ، فلمع اسمه وشاع ذكره'' (٦٨) .

وفي القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد نسمع عن وصول العالم الأباضي المغربي الكبير أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني الى بلاد المشرق من أجل طلب العلم ، فتنقل في عواصم الشرق وأكثر من الرحلة وقام بجمع وترتيب كتاب مسند الربيع بن حبيب الفراهيدي المعروف لدى الأباضية باسم الجامع الصحيح (٦٩) . ويغلب على الظن أنه حصل على هذا الكتاب من عمان ذاتها ، لأنها في تلك الفترة كانت هي الملاذ الوحيد للمذهب الأباضي في المشرق ، ولذلك نرجح قيام الورجلاني بزيارة لعمان ضمن مازار من بلاد .

وقد وصل الى عمان أيضا أحد الحجاج المغاربة قادما من جزيرة جربة ببلاد تونس ، ويسمى الحاج عيسى بن زكريا ، حيث استقر فيها فترة من الزمن ثم عاد الى بلاده محملا ببعض الكتب العمانية ، مثل كتاب حل أو شرح محمد بن وصاف العماني لكتاب دعائم الاسلام لأحمد بن النظر العماني ، وكتاب جامع الشيخ أبي الحسن البسيوي ، وكتاب جامع ابن جعفر وكتب غيرهم من علماء عمان . وحمل في نفس الوقت رغبة أباضية عمان الى اخوانهم أباضية المغرب في تدوين كتاب يتحدث عنهم وعن شيوخهم كي يتعرفوا من خلال هذا الكتاب على سير الأوائل ومناقب الأسلاف من أهل المغرب ، منذ أن ظهر المذهب الأباضي في هذه البلاد حتى وقتهم (٧٠) .

---

(٦٨) الاستقامة ، تحقيق محمد أبو الحسن ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٥م ، جـ ١ ص ٥ .

(٦٩) فرحات الجعبيري : البعد الحضاري للعقيدة الأباضية ، مسقط ، سنة ١٩٨٧م ، هامش ٨٣ ، ص ١١٩ — ١٢٠ ، على يحيى معمر : الأباضية في الجزائر ، ص ٢٣٨ .

(٧٠) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٨٧ ، فرحات الجعبيري : نظام العزابة ، ص ٢٩٥ ، عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، عمان ، سنة ١٩٧٨م ، ص ١٧ ، ١٨ .

ولما وصلت هذه الرغبة المحمودة الى علماء الأباضية في المغرب ، كلف علماء جربة العالم الأباضي المشهور أبا العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) ، بوضع كتاب في هذا المعنى حسب رغبة اخوانهم من أباضية عمان ، فكان هذا الأمر سببا في قيام الدرجيني بتأليف كتابه الشهير المسمى ''طبقات المشائخ بالمغرب'' ، حيث تحدث فيه عن تاريخ الدولة الرستمية ومناقب الأسلاف من علماء ومشائخ الأباضية طبقة بعد طبقة حتى عصره (٧١) .

واذا كانت المصادر قد أشارت الى ورود هذا العدد من علماء الأباضية المغاربة الى عمان والبصرة على مدى فترات التاريخ الاسلامي المختلفة ، فانها أشارت على استحياء الى ورود بعض علماء الأباضية المصريين أيضا . وقد سبقت الاشارة الى رحلة بعضهم الى البصرة وعمان ينهلون من شيوخ المذهب هنا أو هناك ، يتعلمون على أيديهم أو يناقشون بعض المسائل التي كانت محل خلاف بين شيوخهم . ومن هؤلاء الذين رحلوا الى البصرة في طلب العلم ، شعيب بن المعروف وكذلك زملاؤه الذين عرفوا باسم حملة العلم ، حيث تعلموا فيها على أيدي مشائخ المذهب وعادوا الى مصر ونشروه بين المصريين الذين نبغ بعضهم في هذا المذهب حتى وصل الى درجة الفتيا (٧٢) .

وهناك اشارة أخرى الى قدوم أبي المؤرج عمر بن محمد المصري

(٧١) المصادر السابقة ونفس الصفحات .

ويلاحظ أن ورود العلماء والطلاب المغاربة الأباضية الى عمان ظل مستمرا حتى وقت متأخر ، اذ يشير نور الدين السالمي الى قدوم الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكريا الجربي الأباضي المغربي الى بلاد عمان في عهد الامام بلعرب بن سلطان بن سيف الذي تولى حكم عمان عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨١م ، فسر بما رأي من أحوال عمان وظهور العدل فيها ، ومن احياء السنن واماتة البدع ، وطلب هذا العالم المغربي من هذا الامام أن يحث الرعية على طلب العلم وعمارة المدارس . انظر ، تحفة الأعيان ، جـ ٢ ص ٨١ .

(٧٢) انظـــــــر ، ص ٨٤ .

الى عمان بعد أن كان قد اختلف هو وبعض اخوانه المصريين مع مشايخ المذهب في البصرة في بعض المسائل الفقهية ، فأتي أبو المؤرج هذا الى عمان حيث حاجه الأباضية فيها فاقتنع بوجهة نظرهم واضطر أن يتخلى عن آرائه السابقة (٧٣) .

واذا كانت المصادر والمراجع لم تعطنا الا هذا القدر من المعلومات والأخبار — وهو قدر لابأس به — عن رحلات العلماء الأباضية بين كل من البصرة وعمان من ناحية ومصر وبلاد المغرب من ناحية أخرى ، فانها ولحسن الحظ وافتنا بأخبار طيبة عن اتصال هؤلاء العلماء وتجمعهم في مكان واحد . وكان هذا المكان هو مكة المكرمة حيث يلتقي الجميع هناك في موسم الحج .

ب — إلتقاء علماء الأباضية في موسم الحج ، والجوار في مكة :

تم إلتقاء علماء أباضية عمان والبصرة بعلماء أباضية مصر والمغرب في بلاد الحجاز منذ وقت مبكر ، واستمر طوال عصور التاريخ الاسلامي . وقد ساعد على هذا اللقاء المستمر أمران : الأمر الأول هو أن الأباضية كانوا من أكثر الناس حجا ، وكان الأئمة الرستميون يشجعون الناس على أداء هذه الفريضة ، وكانوا هم أنفسهم يخاطرون بالذهاب الى بلاد الحجاز لأدائها ، كما كان علماء الأباضية يأتون من مصر والمغرب ومن البصرة وعمان للحج ، ومنهم من كرر الحج مرات عديدة . وقد سبقت الاشارة الى ذلك حين حديثنا عن الحج كوسيلة من وسائل نشر الاسلام . أما الآن فاننا لانتحدث عن الحج بهذا المعنى ، وانما نتحدث عنه باعتباره وسيلة أو فرصة لتجمع والتقاء علماء

(٧٣) أبو غانم الخراساني : المدونة الصغرى ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٤م ، جـ ١ ص ٧ ، ٨ .

الأباضية من المشرق والمغرب ، لأن الحديث هنا عن العلاقات الثقافية وعن تجمع وتواصل هؤلاء العلماء والتقائهم كمظهر من مظاهر هذه العلاقات .

كان هؤلاء العلماء يجتمعون في بلاد الحجاز يتبادلون الرأي والمشورة ويصدرون الفتاوي ويردون على أسئلة الحجيج من الأباضية وغير الأباضية ، ويصدرون أحكامهم فيما يرد اليهم من مسائل فقهية أو مذهبية ، فاذا حدث خلاف بين الأباضية في أي بلد من بلدانهم ، كان أصحاب هذا الخلاف غالبا ماينتهزون فرصة تجمع علمائهم في موسم الحج ويرسلون إليهم بشكاواهم أو أسئلتهم ، فيصْدرون لهم الفتوى ، وغالبا ماكان يلتزم بها الشاكون أو السائلون . وقد سبقت الاشارة الى قيام الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بإرسال رسوليه الى مصر ومكة حيث قابلا في مصر الفقيه الأباضي المصري محمد بن عباد ، وفي مكة الفقية الأباضية البصري العماني الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي ، لأخذ الفتوى فيما نشب بينه وبين ابن فندين من خلاف ونزاع (٧٤) .

أما الأمر الثاني الذي دفع علماء الأباضية في المغرب للتجمع في بلاد الحجاز في موسم الحج ، هو تشجيع الأباضية للعلم والعلماء وحرصهم على التعلم ، وكان اللقاء في مكة هو أحد الوسائل الهامة لتحصيل هذا العلم . ومما يدل على اهتمام أباضية المغرب بالعلم وتحصيله ، أن الأئمة أنفسهم كانوا علماء ، وكان البيت الرستمي بصفة عامة هو بيت العلم وفنونه المختلفة من الأصول والفقه ، والحديث والتفسير والنحو والفصاحة وعلم النجوم (٧٥) .

---

(٧٤) انظـــــــر ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ .

(٧٥) أبو زكريا : ص ٩٩ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٥٦ ، الازكوي : مخطوط كشف الغمة ، ص ٣٥٠ .

ومن المعروف أن الامام الأول للدولة الرستمية وهو عبد الرحمن ابن رستم له تفسير منسوب اليه ، وله ديوان نفيس ذكر الورجلاني أنه رآه ، وله أيضا رسائل متعددة وأجوبة كثيرة في فنون العلم بعضها موجود وبعضها مفقود (٧٦) . كما أن ابنه الامام عبد الوهاب وأخاه كانا يتعلمان مسائل الفرائض والشريعة ونبغا في ذلك حتى تعلم منهما الكثيرون من أهل المشرق والمغرب (٧٧) . ولعبد الوهاب كتاب يسمى ''مسائل نفوسة'' ، لأن أباضية نفوسة كانوا قد أرسلوا اليه يسألونه عما أشكل عليهم في بعض مسائل الفقه والعقيدة ، فأجابهم في كتاب سمي بهذا الاسم (٧٨) .

وقد بلغ شغف عبد الوهاب بالعلم أنه أرسل الى أباضية البصرة بألف دينار يشترون له بها كتبا ، فاشتروا له ورقا ونسخوا له حمل أربعين جملا من الكتب وأرسلوها اليه ، فأخذ عبد الوهاب في قرائتها ولما أتي عليها جميعا قال ''الحمد لله ، ليست منها مسألة عندي إلا مسألتين ، لو سئلت عنهما قسمتهما الى نظائرهما من المسائل لصادفت ماذكره في الكتاب'' (٧٩) ، مما يدل على عظيم علمه واطلاعه الواسع . ويؤيد الشماخي هذا القول ويذكر أنه اطلع على أجوبة للامام عبد الوهاب في الفقه والأحكام وأصول الدين ، وكذلك لابنه الامام أفلح (٨٠) .

وقد أفادنا أبو زكريا والدرجيني بأن أفلح هذا كان عالما كبيرا

---

(٧٦) الشماخي : جـ ١ ص ١٦٧ ، محمد عيسى الحريري : ص ٢٣٧ .

(٧٧) أبو زكريـــا : ص ٩٩ .

(٧٨) ابن الصغيـــر : ص ٤٥ ، ٤٦..

(٧٩) أبو زكريا : ص ٩٩ — ١٠٠ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٥٦ ، ٥٧ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٤٢ ، الأزكوي : مخطوط كشف الغمة ، ص ٥٣١ .

(٨٠) السيـــــر ، جـ ١ ص ١٦٧ .

حتى أنه كانت له أربع حلقات من الطلبة يعلمهم فيها فنون العلم المختلفة (٨١) . وقد بلغ علمه وتمكنه من اللغة العربية أنه لم يعد خطبة قط طوال عهد إمامته البالغ اثنين وثلاثين عاما (٨٢) . ولم يكن نبوغه في علوم الدين وحدها ، إنما كان بجانب ذلك شاعرا عالما بالحساب والفلك والتنجيم (٨٣) . كما كان ابنه الامام محمد بن أفلح أبو اليقظان عالما ومؤلفا . ويذكر المؤرخون أنه لم ينل الامامة إلا بعد أن ألف كتابا من أربعين جزءا في الاستطاعة ، ولم يرشحه والده للامامة إلا بعد أن جلس للطلاب في ثلاث حلقات (٨٤) ، كما أنه رد على المخالفين للأباضية في كتب كثيرة بليغة شافية (٨٥) .

وتتواتر الأخبار باشتغال معظم الأئمة الرستميين الآخرين بالفقه والعلم ، مما شجع كثيرا من الناس على طلب العلم وتحصيله والاشتغال به وتعليمه ، ولذلك كثرت الرحلة في طلبه . وكان الحج من الرحلات المفيدة في هذا الباب ، فكما هو أداء للفريضة ، فهو في نفس الوقت نهل من معين لاينضب . وكان هذا المعين يتمثل ليس في العلماء من الحجاج الوافدين الى بيت الله الحرام فقط ، بل أيضا فيما كان يعرف بالعلماء أو الفقهاء المجاورين ، وهم الذين كانوا يتخلفون عن العودة الى بلادهم بعد أداء الفريضة ، ويقيمون في مكة أو المدينة عاما أو أعواما وربما بقية العمر .

وقد وجد من هؤلاء الفقهاء المجاورين في مكة في عصر ابن سلام

---

(٨١) أبو زكريا : ص ١٣٦ ، الدرجيني : جـ ١ ص ٧٧ .

(٨٢) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣١٩ — ٣٢٠ ويذكر الدرجيني خطأ أن امامة أفلح كانت تسعا وأربعين عاما .

(٨٣) محمد عيسى الحريري : ص ٢٣٧ .

(٨٤) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣١٩ — ٣٢٠ .

(٨٥) أبو زكريا : ص ١٤٨ .

الأباضي الذي عاش في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد ، مائة وخمسون من الأباضية ، منهم خمسة وعشرون من أهل عمان وحدها (٨٦) ، وعديدون من أهل البصرة ومصر وغيرها . وكانت الأموال تأتيهم من بلادهم الأصلية لمعاونتهم على الاقامة في مكة . فيروى الدرجيني والشماخي أن أبا الحر علي بن الحصين العنبري العالم الأباضي البصري كان من الفقهاء المجاورين في مكة ، وكان غنيا موسرا ، وأنه كانت ''له غلة تأتيه من البصرة نقرة واحدة ذهبا'' فكان يقسمها نصفين ، نصف يوزعه على فقراء الأباضية ، وربع لنفقته ، والربع الآخر يدخره لاعانة ومساعدة من يمر به من الأباضية ، وكان له مجلس في مكة يجلس فيه للذكر والعلم وإلقاء الدروس على الطلاب يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع (٨٧) .

وقد جاور بمكة أيضا أبو عبيدة الصغير ، وهو عبد الله بن القاسم الذي كان من العمانيين التجار الذين كانوا يرحلون من عمان الى البصرة والى بلاد الصين ، والى مكة وغيرها من البلدان . وقد جاور أبو عبيدة عبد الله بن القاسم هذا بمكة فترة من الزمن وتزوج فيها ، وكان موجودا في هذه المدينة حين مات أبو جعفر المنصور في عام ١٥٨هـ/ ٧٧٥م ، ثم خرج منها الى بلاد الصين تاجرا ، وله فيها قصة مع التجار تدل على عظيم أمانته ونبل أخلاقه وشدة تدينه (٨٨) .

وتستمر المصادر فتذكر لنا العديد من أسماء المجاورين من علماء الأباضية ، مثل الفقيه أبي مروان العباس بن الوضاح ، وسفيان بن محبوب الكندي (٨٩) ، ومحمد بن محبوب بن الرحيل الذي أقبل من

---

(٨٦) ابن سلام الأباضي : ص ١٣٠ .

(٨٧) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٦٩ ، الشماخي : جـ ١ ص ٩٢ — ٩٤ .

(٨٨) الشماخي : جـ ١ ص ٨٧ . (٨٩) ابن سلام الأباضي : ص ١٣٠ .

البصرة وحج وأقام في مكة ثم انتقل منها الي عمان وتصدى لنشر العلم بها حتى توفي ودفن في صحار في الثالث من المحرم من عام ٢٦٠هـ/ ٩ أكتوبر ٨٧٣م . وكان هذا الفقيه العماني المجاور قد التقى في مكة قبل عودته الى عمان بعمروس بن فتح النفوسي المغربي (ت ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) حيث أخذ عمروس يلقي أسئلته واستفساراته عن بعض الأمور الفقهية ، وطلب من زملائه حفظ الأسئلة بينما يقوم هو بحفظ الأجوبة التي يدلي بها ابن محبوب . ولما عاد عمروس الى بلاده أخذ يعلم الناس هناك ماحفظه هو وأصحابه من علم ابن محبوب (٩٠) .

وقد سبقت الاشارة إلى التقاء صاحب أبي حماد النفوسي في مكة بحجاج عمان وعلمائهم في أيام منى ، هو ورجل آخر يسمى حبيب المهدي . وقد جاور هذان الرجلان مدة عام ، وحج صاحب أبي حماد مرة ثانية ، ثم انصرف الى مصر وأقام بها ، ومنها ذهب الى الحج للمرة الثانية ثم عاد الى بلاده حيث لقيه هناك في بلاد المغرب ابن سلام الأباضي بعد سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م (٩١) .

ويحدثنا الدرجيني وغيره بأن بعض علماء أباضية الجريد بتونس كانوا يفدون الى مكة ويلتقون فيها بإخوانهم من أهل عمان وفقهائها . مثال ذلك ما أشار إليه من التقاء الشيخ يخلف بن يخلف النفطي والشيخ أبي يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي مع من صحبهما من إخوانهما بأهل عمان من الحجاج ومعهم فقيههم الذي حج بهم وهو ناجية بن ناجية . وكان هؤلاء الفقهاء الثلاثة يقومون بالاجابة على جميع الاستفسارات الخاصة بمناسك الحج وغيرها من مسائل الفقه والدين ،

---

(٩٠) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٢٤ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، فرحات الجعبيري : البعد الحضاري ، هامش ١٠٧ ص ١٠٧ ، هامش ٥٢ ص ١٠٩ .

(٩١) ابن سلام الأباضـــي : ص ١٣٠ .

ولذلك قال الدرجيني بأن الأباضية حجوا حجة لم يحجها مغربي قبلهم ولابعدهم ، نظرا لاجتماع هؤلاء الفقهاء الثلاثة على هذا النحو في ذلك الموسم في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد (٩٢) .

ويتعدد التقاء علماء الشمال الافريقي من الأباضية بعلماء عمان في مكة في موسم الحج . إذ يخبرنا الشماخي بأن نصر بن سجميمان ، وكان إماما تقيا ورعا نفوسيا من (أصلابونن) ، التقى بعلماء عمان في مكة ، فسألهم بعض الأسئلة في العقيدة هو وصاحب نفوسي ، فأجابوه على ماسأله اجابة تدل على وحدة الفكر الأباضي في المشرق والمغرب . وكان قد سألهم عن السخط والرضا ، وعن مسأل خلق القرآن ، فأجيب بما يفيد اتفاق الأباضية على هذه المسائل في عمان والبصرة ومكة ومصر والمغرب ، إلا من خالف إجماعهم من بعض أهل عمان وبعض أهل المغرب (٩٣) .

وكانت هذه إحدى النتائج الهامة التي نجمت عن التقاء حجاج وعلماء أباضية عمان والبصرة بحجاج وعلماء أباضية مصر والمغرب . وكما رأينا كان اللقاء على أرض مكة ليس للحج وحده ، وانما كان للمذاكرة والمدارسة وتلقي العلم والاستفسار عما أشكل من مسائل الفقه والعقيدة . وقد استفاد علماء الأباضية المغاربة والمصريون من ذلك كل الاستفادة ، ولم يكن ذلك متاحا إلا بفضل التواجد على أرض مكة وبلاد الحجاز في موسم الحج .

---

(٩٢) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٩٨ ، الشماخي : جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٩٣) الشماخي : جـ ٢ ص ١٣٧ .

جـ — تبادل المراسلات والكتب العلمية والفقهية والأدبية :

ولكن اللقاء في موسم الحج لم يكن متاحا لكل الأباضية ، أقصد الحكام والأئمة منهم . وحتى لو كان متاحا فان العيون كانت ترصدهم . وقد سبقت الاشارة الى إفتاء الامام عبد الوهاب بعدم الحج خوفا عليه من الوقوع في قبضة العباسيين (٩٤) ، كما سبقت الاشارة أيضا الى قبضهم على ابن الامام أفلح بن عبد الوهاب وايداعه السجن في بغداد (٩٥) . ولذلك كان اللقاء في موسم الحج أو الحج نفسه متعذرا على المعروفين والمشهورين من الحكام الأباضية في كثير من الأحيان .

واذا تعذر اللقاء أو تعذر الانتقال الى مكة أو الى أي من البلدان التي ينتشر فيها المذهب الأباضي كعمان والبصرة ، فان الأباضية كانوا يستعيضون عن ذلك بالمراسلة . فقد كانوا يتراسلون فيما بينهم ، فيرسل بعضهم بالأسئلة والاستفسارات ويرد عليهم اخوانهم في شكل رسائل مطولة أو فتاوي قصيرة . وقد سبقت الاشارة الى قيام محمد ابن محبوب بن الرحيل (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) الذي كان يعيش في عمان من أنه كتب الى أهل المغرب في شأن الذين يقومون بأعمال تخالف ما يأمر به الامام (٩٦) ، كما أنه كتب على لسان امام عمان الصلت بن مالك (٢٣٧ — ٢٧٣/ ٨٥١ — ٨٨٦م) ردا على بعض الأسئلة التي كان قد أرسلها إليه أهل المغرب بخصوص العالم أو الامام أو القاضي أو العامل الذي يتلقى الهدية من الناس (٩٧) .

---

(٩٤) انظـــــر ، ص ٩١ — ٩٢ .

(٩٥) انظـــــر ، ص ٩١ — ٩٢ . (٩٦) انظـــــر ، ص ١٤٢ — ١٤٣

(٩٧) أبو عبد الله الكندي : بيان الشرع ، جـ ٢٨ ص ١٩٥ — ١٩٧ .

كما ترد الاشارة أيضا الى إرسال الاجابة إلى بلاد المغرب عن ''مسائل أرسل بها إلينا أخونا محمد الأبديلاني'' خاصة بتفسير بعض آيات القرآن الكريم . وقد استغرقت هذه الاجابة حوال خمسا وعشرين صفحة (٩٨) . كما نسمع أن القاضي أبا الحسن العماني أرسل فتواه لأهل المغرب في بعض الأمور الفقهية التي تتصل بالعلاقة بين الرجل وزوجته (٩٩) ، كما أرسل بعض العمانيين إلى علماء المذهب في المغرب يطلبون الاجابة عن بعض مايودون معرفته في بعض مسائل الفقه . من ذلك ماحدث في عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م عندما أرسل بعض العمانيين رسالة إلى أبي مهدي عيسى بن اسماعيل تتضمن أسئلة في الأصول والفروع ، فأجاب على أسئلتهم في رسالة كبيرة مطولة تضمنت ثلاثا وثلاثين صفحة (١٠٠) .

ولم يقتصر التعاون العلمي والفقهي بين أباضية المغرب والمشرق على هذا الجانب وهو طلب الفتوى أو الرد على الاستفسارات وإرسال الرسائل ، وإنما كان الأباضية هنا وهناك يروون العلم بعضهم عن البعض الآخر ، ويأخذون من مدونات بعضهم البعض ، ويطلبون ماعند إخوانهم في البلدان المتباعدة من كتب ، بل ويطلبون تأليف كتاب معين كما حدث عندما طلب أباضية عمان من إخوانهم أباضية المغرب أن يؤلفوا لهم كتابا في سيرة مشايخ المذهب من المغاربة ، فقام الدرجيني على هذا العمل خير قيام كما سبق القول (١٠١) . كما قام عالم أباضي مغربي آخر هو عمروس بن فتح النفوسي بنسخ مدونة أبي غانم الخراساني كما سبقت الاشارة (١٠٢) .

(٩٨) السعدي : قاموس الشريعة ، جـ ٤ ص ٣٥٣ — ٣٧٨ .
(٩٩) الشماخي : جـ ٢ ص ١٣٨ .
(١٠٠) فرحات الجعبيري : البعد الحضاري ، ص ١٦٨ .
(١٠١) انظر ، ص ١٥٦ — ١٥٧ . (١٠٢) انظر ، ص ١٥٠ .

وهذه المدونة في حد ذاتها ماهي إلا رواية أبي غانم عن ستة من تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وهم محمد بن عباد المصرى ، وعبد الله بن عبد العزيز ، وأبو المؤرج عمر بن محمد ، ووائل بن أيوب ، ومحبوب بن الرحيل . وكان أبو غانم هذا معاصرا لهم والتقي بهم في مدينة البصرة التي كان تجمع بين طلبة وعلماء الأباضية البصريين والمصريين والمغاربة وغيرهم ، ولذلك نراه في الجزء الأول والثاني من مدونته الصغرى يكثر الرواية عن ابن عباد المصري وعن أبي المؤرج المصري وعبدالله بن عبدالعزيز (١٠٣) ، مما يدل على أنه أخذ علمه عن أباضية البصرة وعمان ومصر ، وانتشر هذا العلم بين المغاربة من الأباضية بعد أن نسخ عمروس مدونته على نحو ما أشرنا .

واستمر المغاربة في الرواية عن أباضية عمان والمشرق ، فنرى أبا صالح يعلو بن صالح الصدويني الذي توفي عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م يأخذ برأي أبي صالح الدهان أحد مشايخ الأباضية في عمان والبصرة في بعض المسائل الفقهية (١٠٤) ، ونرى الشماخي يروي عن جابر بن زيد عن ابن عباس (١٠٥) ، ونرى أبا الربيع سليمان بن يخلف الذي جعله الدرجيني من علماء الطبقة الحادية عشرة (٥٠٠ — ٥٥٠هـ) ، وكان من أكابر علماء المغرب الأباضية في تلك الفترة ، نراه يروي عن ابن بركة العماني صاحب كتاب ''الجامع'' والذي عاش في القرن الرابع للهجرة ، وكان ينقل عنه قوله ''قلما تعسف أحد مذاهب المسلمين (أي الأباضية) بغير فهم إلا حرم التوفيق'' ، وقوله أيضا

(١٠٣) ابن غانم الخراساني : المدونة الصغرى ، جـ ٢ ص ٢٦٣ — ٢٦٩ وما بعدها .
(١٠٤) الشماخـــي : جـ ٢ ص ١٣٦ .
(١٠٥) المصدر السابــق ، جـ ٢ ص ١٣٦ .

''أعوذ بالله من مسامحة الآراء وتقليد الآباء والكبراء ، واتباع الأمراء'' (١٠٦) .

وهذا النقل وتلك الرواية لاتتأتى إلا إذا وصلت كتب المشارقة من عمان والبصرة إلى المغاربة في مصر وبلاد المغرب . وكانت هذه الكتب تصل اليهم على أيدي العلماء الذين كانوا يتبادلون الرحلات والزيارات كما سبق القول ، ومع التجار ، وأثناء موسم الحج الذي كان فرصة ممتازة لالتقاء أباضية عمان والبصرة ، بأباضية مصر وبلاد المغرب . وقد حرص أئمة الأباضية وشيوخهم في مصر وبلاد المغرب على استقدام كتب العلم الأباضية وغير الأباضية ، وبذلوا في ذلك الأموال الضخمة . وقد سبقت الاشارة إلى حصول الامام عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم على أربعين حمل جمل من الكتب أرسلها له أباضية البصرة نظير مبلغ من المال كان قد أرسله لشراء هذه الكتب (١٠٧) . وكان ابنه الامام أفلح يحث رعيته على شراء الكتب ودراستها ، وكان يقول لهم : ''عليكم بدراسة كتب المسلمين (أي الأباضية) لاسيما هذا الكتاب ، يعني كتاب أبي سفيان محبوب رحمه الله'' (١٠٨) .

وبجانب كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل فقد درس أباضية مصر والمغرب مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخراساني . وبالطبع فانهم لم يفعلوا ذلك الا بعد أن وصلت اليهم هذه المدونة وقاموا بنسخها كما سبق القول (١٠٩) ، وذلك في أواخر عهد الدولة الرستمية ،

---

(١٠٦) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٧٩ .

(١٠٧) انظر ، ص ١٠٥ .

(١٠٨) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٧٨ .

(١٠٩) انظر ، ص ١٥٠ .

ولذلك كان اعتماد الأباضية المصريين والمغاربة في الفقه على هذه المدونة ، وفي الحديث على كتاب الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي العماني (١١٠) ، الذي وصل هو الآخر الى المغرب منذ وقت مبكر ، وقام أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي المعروف بالورجلاني المتوفي عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م بترتيبه وإضافة ماروواه غير الربيع عن ضمام عن جابر وغيرهما ، وحرره على النحو المعروف به الآن(١١١) .

وقد ظلت آثار الربيع تدرس في بلاد المغرب وظل طلبة العلم الأباضية الذين عرفوا منذ القرن الخامس لهجرة باسم العزابة يعقدون مجالس العلم في المساجد ويقرأون آثار الربيع . وكان السامعون يحرصون الحرص كله على ذكر السند عند كل رواية . وقد حدث أن قام أحد العزابة بقراءة آثار الربيع (١١٢) في أحد المساجد في مدينة (أجلو) ، وقام آخر يفسر للناس مايقوله هذا القاريء بلسان البربر ، ولكنه كان يتجاوز السند ولايذكره ، فاعترض عليه أحد الجالسين وقال له : ''مالك لاتذكر أئمتك'' . فكان المفسر يذكر رواة الحديث فيقول روي أبو صفرة عبد الملك بن صفرة عن الربيع عن ضمام عن جابر .... الخ (١١٣) ، مما يدل على تقدير المغاربة لأئمة المذهب المشارقة ، ولما كتبوه من كتب .

---

(١١٠) صالح باجية : الأباضية بالجريد ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١١١) الشماخي : جـ ١ ص ١٠٩ ، شارل بللا : الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء . ترجمة د . ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٢٩٠ .

(١١٢) يفهم مما قاله الشماخي أن الربيع بن حبيب كانت له كتب أخرى غير كتاب المسند المعروف باسم الجامع الصحيح ، إذ قال ان ''أبا صفرة عبد الملك بن صفرة روي آثار الربيع ... وأما كتاب المسند عن أبي عبيدة المسمى بكتاب الربيع فلا أدري من رواه ولعله هو الراوي أيضا . وكان مشوشا وانما رتبه أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني'' ، انظر ، السير ، جـ ١ ص ١٠٩ .

(١١٣) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤١٦ ، الشماخي : جـ ٢ ص ٧٧ .

وقد اعتمد أباضية المغرب فيما ألفوه من كتب عن المذهب وسيرة مؤسسيه وتاريخه على ماورد إليهم من كتب من عمان والبصرة ، فقد اعتمد الدرجيني في تأليفه لكتابه المعروف باسم الطبقات على السيرة التي كتبها أبو سفيان محبوب بن الرحيل آخر أئمة الكتمان في البصرة ، عن التابعين ومن أتي بعدهم من أئمة الأباضية . وقد عاش هذا الامام في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وكان له كتاب في تاريخ الأباضية يشتمل على الأخبار والفقه والكلام والعقائد ، وهو من أهم كتب الأباضية . وقد عاد أبو سفيان في أواخر أيامه الى عمان حيث مات بها واعتمد عليه الدرجيني في تأليف كتابه المشار اليه (١١٤) .

وبذلك انتقل علم محبوب بن الرحيل الى بلاد المغرب . وكان الطلاب والعلماء يتعهدونه بالدراسة والمذاكرة ويفضلونه ويفضلون كتب المشارقة في المذهب على غيرهم من الناس . وكان الآباء يقومون بتلقين أبنائهم أصول المذهب من هذه الكتب . والمثال على ذلك مارواه الدرجيني من أن أبا محمد ويسلان بن أبي صالح أبي بكر بن قاسم اليراسني كان يقرأ على أبيه مختصر بن محبوب ، فكان الوالد يسمع ابنه ويعلق على مؤلف هذا الكتاب قائلا : ''كلام محقق فقيه أصولي'' ، وكان يكثر من ذكر هذه العبارة حتى يعرف ابنه أن ''تآليف أهل المشرق مفيدة دون سواها'' . وهذا المختصر الذي حظي بهذه الأهمية كان يقع في سبعين جزءا ، وما وصل الى يد القارئ المذكور الا الجزء السادس منه فقط (١١٥) ، ومع ذلك نراه يمتدح هذا الكتاب ، فماذا نراه يفعل لو كانت بقية أجزاء الكتاب قد وصلت اليه ..؟ .

---

(١١٤) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٧٨ هامش (١) ، عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص ١٨ ، ١٩ ، فرحات الجعبيري : نظام العزابة ، ص ٢٩٥ .

(١١٥) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، الشماخي : جـ ٢ ص ٤٩ ، ٥٠ .

وقد ظل أمر هذا الكتاب مذكورا وظلت دراسته قائمة حتى القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد ، حيث ذكره البرادي الذي عاش في ذلك القرن في جواهره ، وقال إنه وقف في بلاد المغرب على كتب علم عمانية وجدها هناك ، منها هذا الكتاب وغيره من الكتب العمانية الأخرى التي سبقت الاشارة إلى بعضها ، مثل كتاب الربيع بن حبيب المعروف بالمسند أو الجامع الصحيح ، وكتاب ضمام لأبي صفرة عبد الملك بن صفرة ، وكتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل ، كما أنه رأي أيضا كتاب التخصيص لأبي بكر الازكوي ... الخ (١١٦) .

ومن الكتب العمانية الهامة التي وصلت الى بلاد المغرب ، كتاب الدعائم لأحمد بن النظر العماني (١١٧) ، وهو مجموعة قصائد في العقيدة والأحكام الشرعية ، وقد وجدت منه في بلاد المغرب نسخة غير محلولة أو مشروحة ، ولما شرحه أحمد بن وصاف العماني ، وصل هذا الشرح إلى هذه البلاد مع جملة ماوصل اليها من كتب مع الشيخ عيسى بن زكريا كما سبق القول . وكان هذا الكتاب محل دراسة وتقدير حتى إن الأباضية هناك كانوا يعتبرون ماخالفه فهو مخالف للسُنّة (١١٨) .

وكان أبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي المغربي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) صاحب كتاب القواعد وكتاب قناطر الخيرات يحفظ

---

(١١٦) البرادي : الجواهر ، مخطوط بمكتبة مسجد جامعة السلطان قابوس ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

(١١٧) كتاب دعائم الاسلام للعلامة أحمد بن النظر العماني من علماء القرن السادس للهجرة ، وقد وضعت له شروح عديدة منها شرح لمحمد بن وصاف النزوي في مجلدين كبيرين سماه الحل والاصابة ، وشرح لأحمد بن عبدالله الرقيشي الازكوي في كتاب لازال مخطوطا سماه مصباح الظلام على دعائم الاسلام . انظر : الازكوي : مخطوط كشف الغمة ، ص ٧٢٣ ، سالم الحارثي : العقود الفضية ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، وقد اطلعت على الدعائم وعلى هذه الشروح بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي ، متعنا الله بعلمه وفضله .

(١١٨) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٨٦ — ٤٨٧ .

ويدرس كتبا مشرقية كثيرة ، منها كتاب الدعائم (١١٩) الذي تحدثنا عنه ، وغيره من الكتب مما يكثر شرحه ويطول . وقد قام الشماخي في عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م وألف كتابا في إعراب الدعائم سماه ''إعراب مشكل الدعائم'' (١٢٠) ، مما يدل على استمرار اهتمام علماء الأباضية في بلاد المغرب بكتب الأباضية العمانيين حتى ذلك الوقت المتأخر من العصور الوسطى (١٢١) .

وقد تجاوز اهتمام أباضية المغرب كتب المذهب الأباضي إلى غيرها من الكتب . فكان بعضهم كثير المطالعة والقراءة لكتب المذاهب الأخرى . والمثال على ذلك هو أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي الذي عاش في القرن السادس للهجرة ، حيث يحكي عنه الدرجيني أنه كان كثير المطالعة والقراءة في كتاب الإشراف وغيره من تصانيف أهل الخلاف ، أي الذين يخالفون المذهب الأباضي (١٢٢) .

ولعل كتاب الإشراف هذا هو كتاب ''الاشراف على مذاهب الأشراف'' لأبي بكر النيسابوري الشافعي المتوفي عام ٣١٨هـ/ ٩٣٠م الذي فصل فيه القول في المذاهب الاسلامية ، وعلق عليه العالم العماني الشهير أبو سعيد الكدمي في كتاب له سماه ''زيادات

(١١٩) الشماخي : جـ ٢ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(١٢٠) فرحات الجعبيري : البعد الحضاري ، ص ١٢٧ .

(١٢١) استمر الاهتمام بكتب المشارقة الأباضية حتى العصر الحديث ، اذ أن عالما مغربيا يسمى محمد ابن عمر بن أبي ستة حشى في القرن الحادى عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد على كتاب الجامع الصحيح للربيع بن حبيب في أربعة أجزاء تسمى كتاب الترتيب ، كما حشى أيضا على كتاب قواعد الاسلام للجيطالي . انظر ، فرحات الجعبيري : نظام العزابة ، ص ٢٧٢ ، كما حشى السعد التفتازاني وهو أحد علماء المالكية في مصر على كتاب شرح القصد في أصول الفقه . وكان هذا العالم المالكي يميل في مسائل كثيرة الى المذهب الأباضي ، وكان رواقه في الأزهر يجاور رواق الأباضية ، وقيل ان رواقه كان يتسع للأباضية ، فكان رواقا لهم أيضا . انظر ، محمد بن يوسف أطفيش : رسالة إن لم تعرف الأباضية ، ص ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٦ .

(١٢٢) الدرجيني : جـ ٢ ص ٢٩٦ .

الإشـــــراف'' (١٢٣) .

وكما استفاد المغاربة والمصريون بطبيعة الحال من كتب العمانيين والبصريين من الأباضية ، فقد استفاد هؤلاء من كتب المغاربة والمصريين من الأباضية ، وذلك من خلال لقاءاتهم بالعلماء المغاربة والمصريين الذين كانوا يرحلون الى البصرة وعمان ، أو أثناء التقائهم بهم في مكة أثناء موسم الحج كما سبق القول .

وقد وصل الى عمان فيما يبدو عدد وفير من كتب الأباضية المغاربة حيث تكثر الاشارة عند بعض أباضية عمان الى الاستفادة من هذه الكتب . يظهر ذلك مما ورد في كتاب قاموس الشريعة لمؤلفه العماني جميل بن خميس السعدي الذي أكثر من الاشارة الى كتب مغربية لاشك أنها كانت موجودة في عمان قبل عصره بزمن طويل ، واستطاع أن يحصل عليها وأن يستفيد منها في تأليفه لهذا الكتاب الذي بلغ عدد أجزائه اثنين وتسعين جزءا .

وفـي هذا الكتـاب الضخـم كثيـرا مايقـول السعـدي إنـه أخذ هـذه المسألـة من ''كتـاب أو كتـب بعـض أهـل المغـرب من أصحابنـا'' (١٢٤) ، والمقصود بالأصحاب هنا هم الأباضية . أو أنه أخذا هذا الفصل عن ''بعض كتب أهل المغرب'' (١٢٥) ، وأحيانا يشير الى أنه أخذ من شيوخ أهل أفريقية (١٢٦) ، أو ''من سيرة بعض أصحابنا من أهل المغرب'' (١٢٧) ، أو من ''شيوخ أهل المغرب من

---

(١٢٣) المصدر السابق ، جـ ٢ هامش (١٧) ص ٤٩٦ .

(١٢٤) قاموس الشريعة ، جـ ٤ ص ٥٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٨ ، ١٤١ ، ١٨١ .

(١٢٥) المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٢٠١ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ .

(١٢٦) المصدر السابـق ، جـ ٤ ص ٢٧٩ .

(١٢٧) المصدر السابـق ، جـ ٤ ص ٣٥٣ .

أصحابنا فيما وجدت عنهم .... الخ'' (١٢٨) . وفي أحيان قليلة جدا يشير الى اسم الكتاب الذي أخذ منه فيقول : ''ومن كتاب الجهالات تأليف أهل المغرب'' (١٢٩) ، وفي ندرة بالغة يشير الى اسم المؤلف فيقول : ''حكي عن شعيب المعرف من الأباضية'' (١٣٠) .

ومعروف أن شعيبا هذا هو أحد شيوخ المذهب من المصريين ، مما يدل على أنه استفاد من شيوخ المذهب سواء في مصر أم في بلاد المغرب ، وإن كانت استفادته من المغاربة أكثر ، إذ نراه يكثر من الاشارة اليهم وإلى كتبهم وإلى أسماء بعض من أخذ عنهم مثل الشيخ فتح بن نوح المغربي النفوسي الذي يكثر من الاشارة الى قصيدة له في المذهب وعقائده (١٣١) ، ومثل اسماعيل الجيطالي النفوسي الذي شرح هذه القصيدة ، ومثل الفقيه تبغورين بن عيسى بن داود المشوطي المغربي (١٣٢) .

وليس السعدي وحده هو الذي يمكن أن يستدل منه على وصول كتب أباضية المغرب الى عمان . فمخطوط كشف الغمة للإزكوي العماني مثال آخر يمكن أن نضربه في هذا المجال . ذلك أن الفصول التي لم تحقق ولم تنشر بعد من هذا المخطوط القيم ، وخاصة الفصول الخاصة بالدولة الرستمية يكاد الكلام فيها يكون طبق الأصل لما كتبه الدرجيني ، ذلك العالم الأباضي المغربي في كتابه المعروف باسم طبقات المشايخ بالمغرب .

(١٢٨) المصدر السابق ، جـ ٤ ص ١٤٣ .
(١٢٩) المصدر السابق ، جـ ٤ ص ١٢٢ .
(١٣٠) المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٣٣٢ .
(١٣١) المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٢٣ ، ٥٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ .
(١٣٢) المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٤٠ .

وبخلاف الدرجيني وكتابه ، فقد وصل أيضا الى عمان كتاب آخر هو كتاب الجيطالي المعروف باسم ''دعائم الاسلام'' ، كما وصل غيره من كتب المذهب التي استفاد منها العمانيون في القديم والحديث وحتى الآن . ومع ذلك فان المعلومات المتاحة لنا في الوقت الحالي تجعلنا نقول أن إنتاج المشارقة من الأباضية كان أغزر وأكثر . والدليل على ذلك ماورد في بعض المراجع من أن حريقا واحدا شب في مدينة واحدة هي مدينة الرستاق إلتهم حوالي تسعة آلاف مجلد (١٣٣) ، كما يدل عليه أيضا ماقامت به وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان من طبع كثير من المخطوطات وكتب التراث في مجال الدراسات الفقهية واللغوية والأدبية والدينية والتاريخية . كما يدل عليه أيضا ما أفادني به معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي المستشار الخاص لجلالة السلطان للشئون الدينية والتاريخية ، من أنه رأي وهو صبي حجرة واسعة لخال والده ، وهو الشيخ سعيد بن محمد بن مسعود البوسعيدي ، وقد ملئت هذه الحجرة كتبا من السقف إلى الأرض . وقد ورث الشيخ سعيد هذه المكتبة الوفيرة الكتب ، عن والده الذي كان علامة عصره ومرجعا للعلم والفقه في ذلك الحين . ومن المكتبات الذاخرة أيضا في عمان ، مكتبة الشيخ خلف بن سنان الغافري ، والذي يقول فيها :

لنا كتب في كل فن كأنها جنان	بها من كـل ماتشتهـي النفـس
جرى حبها مني ومن كل عالم	زكي الحجى والفهم حيث جرى النفس
فلا أبتغي ماعشت خلا مؤانسا	سواها فنعم الخل لي وهي الأنس
ولســت أرجى أن يفـوز بمثلها	على غابر الأيام جن ولا أنـــس

(١٣٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، وعوض خليفات : عمان والحضارة الاسلامية ، مسقط ، سنة ١٩٨٧م ، ص ٢٢٨ .

وكذلك مكتبة الشيخ بشير بن سعيد بن عبد الله بن أبي سبت ، والتي يذكر متألما لما يمكن أن يصيبها ، فيقول :

بكــت عينــي على كتبــي	بدمـع واكــف سكــب
وعينــي طالمــا سهــرت	لهــا بالليـل في طـــرب
وبـــالإصباح مجتهـــدا	وبــذل النفــس في الطلــب
لوجــــه الله محتســــبا	لـــيوم فيه منقلبـــــي
عســـاه أن يقـــــيني	حــر ذات الحــر مــن لهــب
فأمســت والقتــام بهــا	كــذي يتــم بغــيـر أب
فيا أسفــي على مــن لا	يــذوق حـــلاوة الأدب
فادعــوا الله يحفظهــا	ويكلــؤهــا من العطــب
بِــوالٍ عالــم ثقـــة	ولـــيّ مرتضـــى أرب
هــو المدعــو ربــي لاسواه	مـــدة الحقــب

وكذلك مكتبة العلامة الشيخ عبدالله بن حميد السالمى ، ومعالى السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدى الذى تفضل مشكورا بإفادتى بهذه المعلومات عن هذه المكتبات ، يحوز شخصيا مكتبة فخمة واسعة ، تزخر بكثير من كتب التراث النادرة ، وبعدد هائل من المخطوطات القيمة التى وضعها أصحابها فى علوم الدين واللغة والأدب ، وتتسع لمن يريد البحث والاطلاع من العلماء والباحثين . وقد أفدت من هذه المكتبة أيما إفادة ، ووجدت من صاحبها ـــ أكرمه الله ـــ كل تشجيع وعون ورعاية . وكما علمت فإنه جمع هذه الكتب وحصل على هذه المخطوطات بجهوده الذاتية ، مدفوعا فى ذلك بعاطفة جياشة ورغبة قوية وحب كبير للعلم والثقافة والفكر ، حتى إن مكتبته هذه تعتبر أولى المكتبات العمانية التى يجد فيها الباحث أو القارىء ما يهوى وما يشتهى ، من غذاء روحى وثقافى متنوع وشهى ، مما يدل

دلالة قاطعة على مدى شغف العمانيين بالعلم ، وعلى مدى حبهم لجمع الكتب ، وعلى تشجيع البحث والإنتاج العلمى منذ القديم وحتى العصر الحديث والمعاصر .

ومما يدل أيضا على وفرة الانتاج العلمي لأباضية عمان والبصرة ، وعلى انتقال كتبهم الى مصر والمغرب ، ماسلفت الاشارة اليه من ارسال حمل أربعين جملا من الكتب الأباضية من البصرة الى بلاد المغرب في عصر الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٣٤) . كما يدل عليه أيضا ماذكره الدرجيني عن أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله بن بكر الذي توفي في ذي الحجة من عام ٥٠٤هـ/ يونية ١١١١م ، من أنه قال انه دخل الديوان في جبل نفوسة للاطلاع على مسألة معينة ، فوجده مليئا بالكتب ، ومشتملا على تصانيف كثيرة في المذهب الأباضي ، وانه نظر ''فيما هناك من كتب المذهب التي وصلت من المشرق فاذا هي نحو ثلاثة وثلاثين ألف جزء'' ، وأنه تخير أكثرها فائدة وأخذ في قراءتها طيلة أربعة أشهر (١٣٥) .

وفي نهاية الحديث عن الكتب وتبادلها يلاحظ أن هذه الكتب كان معظمها خاصا بالمذهب وماصنف فيه ، وفي مشايخ وعلماء الأباضية في البلدان التي نخصص لها هذا الحديث ، ولكن هذا الأمر لاينفي أن الأباضية تبادلوا الكتب في غير المذهب ، سواء في الأدب أو الشعر أو النحو غير ذلك . والمثال على ذلك أن الجيطالي كان يحفظ ويدرس ضمن مايحفظ ويدرس جمل الزجاج في النحو ومقامات الحريري (١٣٦) . كما وصلت الى المغرب بعض من كتب الشعر

---

(١٣٤) انظر ، ص ١٦٠ .

(١٣٥) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، الشماخي : جـ ٢ ص ٩٠ .

(١٣٦) الشماخي : جـ ٢ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

والأدب العماني حيث نسمع أنه وجد في جزيرة جربة قصيدة عمانية لشاعر عماني عاش في القرن العاشر للهجرة (١٣٧) .

وهكذا تنوعت مظاهر العلاقات والاتصالات الثقافية والفكرية بين أباضية عمان والبصرة من جهة وبين أباضية مصر وبلاد المغرب من جهة أخرى ، وذلك فيما سجلناه وأشرنا اليه من زيارات متبادلة بين علماء الأباضية في هذه البلدان ، ومن لقاءات لعلمائهم في موسم الحج حيث كانوا يدرسون ويتبادلون الرأي والمشورة ويصدرون الفتاوي ويحلون مشاكل ومسائل الفقه والعقيدة ، ومن جِوارٍ لهؤلاء العلماء في مكة ، حيث يكرسون وقتهم كله للتأليف والدرس والبحث ، ومن تبادل للمراسلات والكتب العلمية والفقهية ، مما أدى الى استفادة علماء كل بلد من علم زملائهم في البلدان الأخرى التي نعنيها في هذا الحديث ، والى تنشيط حركة التأليف والتدوين في الفقه الأباضي والعلوم الدينية وغيرها من العلوم ،والى إثراء كبير في مجال الحركة العلمية الأباضية على وجه الخصوص حتى إن بعض مؤلفاتهم فيها وصل عدد مجلداتها الى أكثر من تسعين جزءا . إذن فهي علاقات ثقافية زاهرة ومزدهرة قامت بين أباضية عمان والبصرة وأباضية مصر والمغرب . وقد دعم من هذه العلاقات وشد من أزرها ، ماقام بينهم أيضا من علاقات تجارية .

٣ ـ العلاقات التجارية بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة :

اشتغل كثير من العلماء والحجاج الأباضية الذين أشرنا اليهم في

(١٣٧) فرحات الجعبيري : نظام العزابة ، ص ٢٩٦ .

ثنايا هذا البحث ، أو لم نشر اليهم ، والذين زاروا هذا البلد أو ذاك من بلدان المشرق أو المغرب بالتجارة ، ولكنهم لم يكونوا كل التجار . وكان العمل في التجارة في ذلك الوقت وخاصة أثناء الدعوة للمذهب الأباضي التي اتخذت طابع السرية والكتمان ، وسيلة للكسب ووسيلة للتخفي والنجاة من مطاردة عيون الخلافة أموية أو عباسية . والمعروف أن الأباضية كانوا تجارا من الطراز الأول ، وكانوا يعتمدون في حياتهم بصفة رئيسية على التجارة ، ولذلك نشطوا في التنقل بتجاراتهم من بلاد المشرق الى مصر وبلاد المغرب ، لهذا السبب وللأسباب العلمية والثقافية والمذهبية التي أشرنا اليها .

وقد ساعد الأباضية في عمان والبصرة على العمل بالتجارة وعلى الاتصال التجاري بأباضية مصر والمغرب ، أن عمان والبصرة كانتا أهم المراكز التجارية الواقعة على الخليج العربي وفي المشرق الاسلامي بصفة عامة ، إذ أنهما كانتا تستقبلان السفن والسلع التجارية القادمة من بلدان الشرق الأقصى . ومن المعروف أن العمانيين والبصريين كانوا من أنشط التجار في المحيط الهندي وبحر الصين ، كما كانوا يجلبون السلع الافريقية من ساحل شرقي افريقيا ، وكان بيدهم وخاصة العمانيين زمان التجارة في هذه البحار الثلاث : بحر الصين والمحيط الهندي وبحر الزنج (١٣٨) . وكانت فرصة استغلوها أحسن استغلال في تدعيم علاقاتهم بالبلدان الاسلامية بصفة عامة وبالبلدان الأباضية المذهب مثل الدولة الرستمية أو التي يوجد بها أباضية مثل مصر بصفة خاصة ، ساعدهم على ذلك وجود طرق عديدة برية وبحرية تربط فيما بين

---

(١٣٨) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦م ، جـ ٢ مجلد ١ ص ٢٢٠ ، المسعودي : مروج الذهب ، جـ ١ ص ١٣٩ — ١٤٠ ، حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٣٩٥ ، رجب محمد عبد الحليم : العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الاسلام ، مسقط ، سنة ١٩٨٩م ، ص ٥٧ — ٥٨ .

البصرة وعمان وبينهما وبين مصر وبلاد المغرب .

أ ــ الطرق التجارية التي تربط عمان والبصرة بمصر والمغرب :

فقد أشار أبو اسحاق الحربي في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة الى وجود طريق بري بين البصرة وعمان عبر سفوان التي يفترق عندها الطريق الى طريقين ، أحدهما يتجه الى مكة ، والثاني يتجه جنوبا الى عمان فاليمن ، وأفاد هذا الكاتب بأن هذا الطريق كان مستعملا في الجاهلية قبل الاسلام (١٣٩) . وبعد ظهور الاسلام تحدث المؤرخون والجغرافيون المسلمون عن هذا الطريق ، وأنه كان يمر عبر قطر وساحل هجر ثم الى عمان ومنها بريا عن طريق الساحل الى عدن ثم الى مكة (١٤٠) .

وبجانب هذا الطريق البري ، كان هناك الطريق البحري الذي يربط مابين البصرة وعمان ، وكان هو الطريق المفضل نظرا لغلبة الرمال على الطريق البري وخاصة مابين البحرين وعمان ، ولعدم الأمان بسبب تنازع القبائل العربية المحيطة بالطريق البري وذلك في القرن الرابع للهجرة . كذلك كان الطريق البحري من عمان الى جدة هو المفضل أيضا لكثرة القفار وقلة السكان في الأراضي الممتدة بين جنوب عمان وبين اليمن (١٤١) ، وفي نفس الوقت كان الطريق البري بين عمان

(١٣٩) أبو اسحاق الحربي : مناسك الحج ، حققه حمد الجاسر تحت عنوان ''كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة'' ، دار اليمامة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨١م ، ص ٥٧٢ ــ ٥٧٤ .

(١٤٠) ابن خرداذبة : ص ٦٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ابن قدامة : ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، القلقشندي : صبح الأعشي : جـ ٥ ص ٩٧ .

(١٤١) الاصطخري : مسالك الممالك ، ليدن ، سنة ١٩٦٧م ، ص ٢٦ ــ ٢٨ ، ابن حوقل : ص ٤٥ ، ٤٧ .

واليمن لايزال مسلوكا أو مطروقا ، إذ كانت الجمال تحمل الورس من اليمن الى عمان في قوافل منتظمة (١٤٢) . وكان هذا الطريق هو مسلك الهجرات العربية القادمة من اليمن الى بلاد عمان قبل ظهور الاسلام على مدى قرون عديدة ، كما أن أغلب متاجر الشرق كانت تأتي الى عمان ومنها على هذا الطريق البري الى عدن (١٤٣) . وعندما تصل تجارة عمان والبصرة الى عدن سواء بطريق البر أم بطريق البحر ، كانت تصعد الى جدة عن طريقين وكلاهما بريان ، أحدهما ساحلي والآخر داخلي ، وهو أبعد من الأول ، إلا أنه أنقى هواء وأقل وباء (١٤٤) . هذا بخلاف الطريق البحري الذي يمتد من عدن الى ميناء جدة والجـار .

فاذا وصلنا إلى جدة والجار فاننا بذلك نكون قد وصلنا الى المينائين اللذين كانا يربطان بين البصرة وعمان من ناحية ، وبين مصر وبلاد المغرب من ناحية أخرى . وكما يقول المقدسي فقد كانت جدة والجار خزانتي مصر (١٤٥) ، وكما يقول غيره ، كانت جدة ''خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر'' (١٤٦) . ولذلك كانت هذه المدينة أكثر بلاد الحجاز مالا وتجارة بعد مكة (١٤٧) ، كما كانت ميناء الجار تستقبل الحبوب والمواد الغذائية القادمة من مصر الى المدينة المنورة (١٤٨) ، مما

(١٤٢) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، جـ ١٨ ، ص ٣١٨ .

(١٤٣) حسـن محمود : ص ١٢٥ .

(١٤٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١١٠ ، ١١١ ، البكري : جزيرة العرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق د . عبدالله يوسف الغنيم ، ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٧م ، ص ٤٧ .

(١٤٥) أحسن التقاسيـم ، ص ٩٧ .

(١٤٦) ابن خرداذبة : ص ٦٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ابن قدامة : ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، المقدسي : ص ٧٩ ، بزرك : كتاب عجائب الهند ، ليدن ، سنة ١٨٨٦م ، ص ٩٣ ، ١٤٧ .

(١٤٧) الاصطخري : ص ١٩ ، ابن حوقل : ص ٣١ ، ٣٢ .

(١٤٨) المقدسـي : ص ٨٤ .

يدل على شدة الروابط التجارية بين مصر وبين مينائي جدة والجار .

وعلى ذلك فقد كانت تجارة البصرة وعمان تأتي الى موانى جدة والجار ، ومنهما تسير بالسفن الى موانى مصر البحرية ، وخاصة ميناء القلزم (السويس) الذي أصبح محطة تجارية هامة بين الشرق والغرب ، حتى قال عنه الاصطخري أنه كان ''فرضة مصر والشام'' ، ومنه كانت تحمل متاجر الشام ومصر وبلاد المغرب الى بلاد الحجاز واليمن وعدن وعمان وسواحل الخليج العربي وإلى بلاد السند والهند والصين (١٤٩) .

ولم تكن مصر ترتبط تجاريا مع عمان والبصرة بواسطة هذا الخط الملاحي الذي يربط القلزم بجدة فقط ، وانما كان هناك طريقان آخران يربطانها بهما ، أولهما هو الطريق البحرى الذي يصل ميناء القلزم بزبيد وعدن مباشرة عبر البحر الأحمر ، وثانيهما الطريق الذي يمر عبر نهر النيل أو على شاطئه حتى مدينة قوص في أعالي صعيد مصر ، ومنها يجتاز التجار الصحراء الشرقية الى ميناء عيذاب أو ميناء القصير ، وهما الميناءان المصريان اللذان يقعان على البحر الأحمر ، ومنهما يركب التجار هذا البحر الى زبيد أو عدن (١٥٠) .

وقد أصبح طريق القاهرة — قوص — عيذاب — عدن هو الطريق المفضل للتجار بعد أن اندلعت الحروب الصليبية في بلاد الشام ، وأصبحت منطقة البحر الأحمر الشمالية معرضة لتهديد الصليبيين ، ومن ثم تحولت التجارة وقوافل الحج القادمة من بلاد المغرب والسودان الى مينائي القصير وعيذاب ، ومنهما الى الأراضي

---

(١٤٩) الاصطخري : ص ٣٣ .

(١٥٠) القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ص ١٧ .

المقدسة وإلى عدن ، ومنهما الى سائر البلاد التي تطل على المحيط الهندي والخليج العربي ، ومنها عمان والبصرة بطبيعة الحال (١٥١) .

إذن فالاتصال التجاري بين البصرة وعمان ومصر كان قائما وطوال العصور التاريخية الاسلامية ، وكذلك كان هذا الاتصال قائما بين مصر وبلاد المغرب طوال عصور التاريخ ، وكان موقعها في الركن الشمالي الشرقي من القارة الافريقية يساعدها على هذا الاتصال ويدعمه بصورة طبيعية .

وبخلاف الموقع فقد كانت مصر ولازالت تتمتع بسواحل طويلة تطل منها على البحر المتوسط ، وكانت هذه السواحل تربطها تجاريا ببلدان المغرب العربي إما بحرا عن طريق ميناء الاسكندرية ، ومنه الى سائر موانى المغرب ، واما برا بواسطة طريق يخرج من الفسطاط والقاهرة الى الاسكندرية ، ومنها الى برقة وافريقية وبلاد المغرب ، واما عن طريق آخر يخرج من الفسطاط والقاهرة الى بلاد المغرب دون أن يمر بالاسكندرية ولكنه يلتقي بالطريق الذي يخرج منها في ذات الحمام . وكانت هذه الطرق طرقا للبريد (١٥٢) ، وطرقا للتجارة في نفس الوقت .

كما أن مصر كانت ولازالت تربطها بليبيا حدود طويلة هي حدود مصر الغربية ، وكانت صحراء مصر الغربية تضم واحات عديدة كانت مراكز للتجارة واستقبال التجار القادمين من فزان وزويلة وبلاد المغرب والسودان بصفة عامة (١٥٣) . وهذه الصحراء بطبيعة الحال تتصل

(١٥١) سيدة الكاشف : ص ٢٩٥ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٦م ، ص ٥٦ .

(١٥٢) المرجع السابـــق ، ص ٢٩٧ .

(١٥٣) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٢م ، ص ٣٤٣ .

بالصحراء الليبية التي تمتد غربا لتصل الى أعماق الصحراء الكبرى وتربطها بالبلدان التي تطل على هذه الصحراء من الشمال ، وهي بلاد المغرب العربي ، والتي تطل عليها من الجنوب ، وهي بلاد السودان .

وعلى ذلك فان الطرق التي ربطت بين مصر وبلاد المغرب كانت طرقا عديدة ، بحرية وبرية وصحراوية . ولذلك أصبحت مصر محطة استقبال للتجار القادمين من هذه البلدان سواء أرادوا التجارة مع مصر والعودة الى بلادهم ، أو أرادوا إستئناف السير الى بلدان المشرق ومنها عمان والبصرة . وقد كانت قوافلهم تأتي الى الاسكندرية أو الفسطاط والقاهرة ، ومنها الى ميناء القلزم (السويس) ، ثم بالبحر الى مواني الحجاز فعدن فعمان فالبصرة والمشرق ، واما بالطريق البري الذي يبدأ من ضاحية للقاهرة تسمى الخانكاة حيث يتجمع فيها التجار والمسافرون الذين يريدون السيرفي قوافل تذهب الى بلاد الشام أو الى الجزيرة العربية حيث كان يتفرع من هذه الضاحية طريقان رئيسيان ، يتجه أحدهما الى الجزيرة العربية عبر صحراء سيناء ، ويتجه الآخر الى بلاد الشام (١٥٤) . واما بطريق النيل ، الى قوص ، فعيذاب ، فعدن ، فعمان والبصرة وسائر البلدان ، وهو ماسبق أن أشرنا اليه .

ب ـــ ازدهار التبادل التجاري بين عمان والبصرة ومصر والمغرب :

وعلى ذلك فقد ازدهرت التجارة التي كانت تمر عبر هذه الطرق التجارية العديدة ازدهار كبيرا ، ولعبت مصر دورا هاما في هذا الازدهار . ذلك أنها كانت تمثل دور الوسيط التجاري بين الشرق

---

(١٥٤) القلقشندي : جـ ٥ ص ١٧ ، الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣م ، جـ ٢ ص ٢٣٤ .

والغرب (١٥٥) أو بين عمان والبصرة من جانب وبلاد المغرب من جانب آخر ، وأصبحت مخزنا لمختلف البضائع المشرقين والمغربية (١٥٦) ، وأصبحت موانيها وأسواقها تعج بالتجار من شتى الأجناس والملل ، وبمختلف أنواع السلع وضروب التجارة ، وكانت خير رابط بين أباضية المشرق وأباضية المغرب .

وقد ساعد على هذا الربط وعلى هذا الازدهار بخلاف ماذكرنا ، عدة أمور : الأمر الأول هو طبيعة الامتداد الجغرافي لحدود الدولة الرستمية ، تلك الحدود التي كانت تمتد في الشمال الشرقي الى طرابلس والى سرت والى برقة ، ومنها بالطبع يمكن الوصول الى الاسكندرية . وفي الجنوب الشرقي تمتد هذه الحدود الى مدينة زويلة السودانية التي كان أهلها أباضية (١٥٧) ، ومنها بالطبع يمكن الوصول شرقا الى واحات مصر الغربية وجنوبا الى بلاد الكانم والبرنو في حوض بحيرة تشاد ، ومنها الى بلاد السودان الشرقي (سودان وادي نهر النيل) فالبحر الأحمر ، أو بلاد السودان الشرقي فالحبشة والصومال ، فساحل شرقي أفريقيا (١٥٨) الذي كان يرتبط بحريا وتجاريا وبشريا بعمان في معظم عصور التاريخ .

والأمر الثاني هو وقوع مدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية على طريقين تجاريين كانا من أشهر الطرق التجارية في ذلك الوقت أحدهما طريق الشرق والغرب الذي يربطهما بمصر وببلاد المشرق الاسلامي ، والثاني طريق الشمال والجنوب الذي هيأ لها فرصة التجارة مع بلاد السودان التي تقع جنوب الصحراء الكبرى ومع بلاد البحر المتوسط

---

(١٥٥) سيدة الكاشف : ص ٢٨٦ .
(١٥٦) محمد عيسى الحريري : ص ١٩٣
(١٥٧) انظر ، الخريطة رقم (١) .
(١٥٨) الشاطر بصيلي : ص ٣٩١ ، ٣٩٣ .

في الشمـــال (١٥٩) .

فاذا كانت حدود الدولة الرستمية واذا كانت عاصمتها على هذا القدر من الأهمية فيما يختص بالتجارة مع مصر فعمان والبصرة ، فان انتشار القبائل الأباضية في المناطق الصحراوية التي تربط هذه الدولة الأباضية بمصر كان أمرا في غاية الأهمية فيما يختص بالتبادل التجاري المزدهر بين هذين البلدين ، وبينهما وبين عمان والبصرة ، وهو الأمر الثالث الذي دعم هذا الازدهار وساعد عليه .

ذلك أن القبائل الساكنة في الصحراء الليبية الممتدة بين طرابلس وزويلة ، كان معظمها يدين بالأباضية وخاصة قبائل لواتة وزناتة ونفزاوة ونفوسة وهوارة . وكانت هوارة التي تسكن طرابلس حتى سرت وكذلك قبائل نفوسة التي كانت تسكن جبل نفوسة المعروف باسمها والذي يقع جنوب طرابلس ويمتد غربا ويمر ببلاد الجريد بتونس ويصل أباضية ليبيا بأباضية تاهرت والجزائر ، وكذلك قبائل لماية التي كانت تسكن برقة ومايحيط بها من صحاري ، نقول أن هذه القبائل تولت حماية القوافل التجارية ، وكانت هذه القبائل تجوب صحراء سرت ذاهبة آيبة بين المدن الرستمية في المغربين الأدنى والأوسط وبين مصر ، تحمل قوافلها السلع الرستمية والمصرية والمشرقية (١٦٠) ، مما أدى الى ازدهار التبادل التجاري بين هذه البلاد الى حد كبير .

وقد عبر ابن الصغير عن هذه الحركة التجارية المزدهرة في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد ، فقال إن التجار الرستميين استعملوا الطرق والسبل التي توصل الى بلاد السودان والى جميع البلدان من

---

(١٥٩) محمد عيسى الحريري : ص ٢٣٣ .

(١٦٠) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص ٤٨٦ ، محمد عيسى الحريري : ص ١٩٣ ، الطاهر أحمد الزاوي : ص ٢١ ، ٢٢ .

مشرق ومغرب في عهد الامام عبد الرحمن بن رستم الفارسي (١٦١) ، وأن تاهرت عاصمة الدولة أصبحت في عهده وعهد أولاده وأحفاده ملتقى التجار الذين وفدوا بتجاراتهم من كل الأمصار والآفاق ، من البصرة والكوفة ، ومصر وافريقية والمغرب وغيرها ، لخوفهم على أموالهم من أئمة الجور ، فاستقروا فيها وفي نواحيها ، وبنوا فيها المنازل والقصور والمساجد من أجل الاستقرار والعمل في هذه التجارة الواسعة ، فكثرت فيها الأموال ونفقت فيها السلع ، وأثرى أهلها ثراء فاحشا ، فبنوا القصور الفخمة ، واتخذوا الضياع خارج المدينة ، وأجروا فيها الأنهار والترع والقنوات (١٦٢) ، كما اغتنى أهل البوادي والقبائل التي كانت تنتشر حول تاهرت حتى اتخذوا العبيد والخيول ، وأصبحوا على درجة من القوة أخافت حكام تاهرت (١٦٣) .

وقد بلغ من كثرة التجار الذين كانوا يفدون من المشرق ومصر الى بلاد نفوسة والى تاهرت وسائر بلدان الأباضية في المغرب ، أن بعض علماء نفوسة حفظوا القرآن وتعلموا العلم عن طريق جلوسهم في الطرق التي يمر بها هؤلاء التجار ، اذ كانوا ينتظرون قدومهم ويترقبون حضورهم ، فيجلسون بين أيديهم ويأخذون عنهم ويتعلمون منهم ، ثم ينتظرون قافلة أخرى يتعاملون معها بنفس الأسلوب وهكذا (١٦٤) .

وقد شجع هذه الحركة التجارية المزدهرة أيضا ماقام به أئمة الدولة الرستمية ، من حمايتهم للتجار واشتغالهم هم أنفسهم بالتجارة قبل

---

(١٦١) أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٦ .

(١٦٢) المصدر السابق ، ص ٣٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، الشماخي : جـ ١ ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(١٦٣) ابن الصغير : ص ٦٢ — ٦٣ .

(١٦٤) الشماخي : جـ ١ ص ١٢٧ .

توليهم الامامة ، وتشجيعهم لهذا الضرب من ضروب النشاط الاقتصادي بكل ما أمكنهم من قوة ، وبكل ماوسعهم من جهد ، لأن قوة دولتهم وثراءها كان في الحقيقة مرتبطا بالتجارة . وتحكي لنا المصادر الأباضية أن أول إمام لها وهو عبد الرحمن بن رستم كان يعمل بالتجارة وكانت لديه أمانات الناس وبضائعهم قبل أن تصير له الامامة (١٦٥) . وكان الامام الثاني وهو ابنه عبد الوهاب يعمل بنفسه في التجارة في حياة أبيه ، وكانت تجارته قائمة مع البصرة على قدم وساق . وكان التبادل التجاري شائعا بين البلدين في عهد أبيه وفي عهده . ويذكر ابن سلام بن عمر عن نفاث بن نصر النفوسي أن عبد الوهاب بعث الى الربيع بن حبيب إمام الأباضية في البصرة باثنى عشر ألف درهم أو دينار ، فاشترى له الربيع بها جهازا أي سلعا وتجارة من البصرة ، وأرسل بها أخاه الى تاهرت . فلما وصل اليها جمع عبد الوهاب تجار بلده فقاموا بشراء ماورد من سلع البصرة وتجارتها ، كما اشتروا لأخي الربيع مايحتاجه من سلع وتجارة في مدة ثمانية أيام ، عاد بعدها هذا الأخ البصري إلى بلاده (١٦٦) .

ولم يكتف عبد الوهاب بالمتاجرة مع البصرة وغيرها من بلدان المشرق مثل الحجاز واليمن عن طريق مصر بطبيعة الحال ، إنما أرسل بتجارته أيضا إلى بلاد السودان التي تقع جنوب الصحراء الكبرى ، فزادت أمواله واتسع ثراؤه حتى قال ''لولا أنا ومحمد بن جرني وييب بن زلغين ، لخرب بيت مال المسلمين ، أنا بالذهب ، ومحمد بن جرني بالحرث ، وابن زلغين بالأنعام'' (١٦٧) . وكان عبدالوهاب ذا ذهب

(١٦٥) أبو زكريا : ص ٥٦ — ٥٧ .

(١٦٦) الشماخي : جـ ١ ص ١٤٢ .

(١٦٧) المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٣٩ — ١٤١ ، ١٧٧ .

وفضة نتيجة لاشتغاله بالتجارة ، وكان ابن جرني فلاحا عظيما ذا انتاج زراعي وافر ، إذ كانت زكاته في السنة تقدر بآلاف الأحمال من البر والشعير ، وكان ابن زلغين ذا ابل وغنم تعد بمئات الآلاف (١٦٨) .

وقد كان عبد الوهاب حريصا في معاملاته التجارية ألا تشوبها شائبة تدخل الشك في طهارتها وفي ضرورة مطابقتها للأحكام الشرعية ، حتى إنه منع ابنه أفلح ذات يوم أن يقوم برحلة تجارية إلى بلاد كوكو التي تقع على منحنى نهر النيجر في بلاد السودان الغربي ، لأنه لم يستطع الاجابة عن سؤال واحد فقط من بين الأسئلة الكثيرة التي أجاب عليها والتي كان والده قد وجهها اليه ، والخاصة بالربا والبيع والشراء حسب القواعد الاسلامية ، فرأي عبد الوهاب أن ابنه لم يكتمل عنده الفقه الكامل بأحكام البيع والشراء ، مما يمكن أن يؤدي الى دخول شيء في ماله يكون مشكوكا في صحته وسلامته وطهارته (١٦٩) . وقد أدى هذا التحرز إلى إقبال الناس على التعامل مع التجار الأباضية والوثوق بهم ، ومن ثم نشطت تجارتهم كل النشاط .

وقد ازداد هذا النشاط نتيجة لما قام به الامام أفلح بن عبد الوهاب (٢٠٨ — ٢٤٠هـ/ ٨٢٣ — ٨٥٤م) من توفير الأمن والأمان للتجار وما يحملونه من سلع ، وذلك بتوفير الحراسة للقوافل والطرق التي تمر فيها هذه القوافل . فكان يرسل ابنه يوسف أبا حاتم في جيش مع وجوه زناتة ليحرسوا القوافل القادمة من المشرق ، والتي كانت تحمل معها من السلع والبضائع مالايكاد يحصى كثرة وضخامة (١٧٠) . وكانت

(١٦٨) سليمان الباروني : جـ ٢ ص ١٨٩

(١٦٩) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٢٠ ، سليمان الباروني : جـ ٢ ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

(١٧٠) ابن الصغير : ص ٧١ .

هذه القوافل تأتي الى تاهرت حيث يتم البيع والشراء ، وبعد انتهاء عمليات البيع والشراء تواصل هذه القوافل رحلتها متجهة الى بلاد المغرب الأقصى وبلاد الأندلس وبلاد السودان ، ثم تعود من هذه البلدان محملة بالسلع المختلفة الى مصر والشام والحجاز واليمن وبغداد وعمان وغير ذلك من بلدان المشرق (١٧١) ، مما دفع بالحركة التجارية الى قمة النشاط والازدهار .

جـ ـ مظاهـر ونتائـج ازدهـار التجـارة :

وقد جعلت هذه الحركة التجارية النشطة من تاهرت عاصمة كبيرة متألقة بين حواضر المغرب الكبرى في ذلك الوقت ، حتى أصبحت تسمى بالعراق الصغير ، أو عراق المغرب ، تشبيها لها ببلاد العراق التي كانت تزدحم بمختلف الأجناس والملل (١٧٢) ، وتزخر بشتى أنواع الأنشطة الاقتصادية والتجارية ، بحكم كونها عاصمة للدولة الاسلامية المترامية الأطراف . والحقيقة أن أباضية المغرب بصفة عامة كانوا على نفس هذه الصفة ، وكانت بلادهم على نفس هذا الحال من تباين الأجناس واختلاف التجار إليها وتنوع مظاهر الحياة الاقتصادية فيها وازدهارها الى حد كبير ، وقيام أهلها بالعمل في التجارة خاصة ، حتى اشتهروا بهذا العمل بين سائر الأمم . من ذلك ماقاله الادريسي عن أهل مدينة ورجلان من أنهم أباضية ، وأنهم مياسير وتجار أغنياء ، وأنهم يتجولون في بلاد السودان ويدخلون بلاد غانة ونقارة ويأتون منها بالتبر ويضربونه دنانير يتعاملون بها في تجارتهم(١٧٣) .

---

(١٧١) المصدر السابق ، ص ١٠٤ ، سليمان الباروني : جـ ٢ ص ٣٢٦ .

(١٧٢) محمد عيسى الحريـــري : ص ٢٣٤ .

(١٧٣) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ١١ ، ١٥ ، الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٤م ، ص ٦٤ ، ١١١ .

وقد استمر النشاط التجاري لهذه المدينة حتى عصر الحسن الوزان أي في بداية القرن السادس عشر للميلاد . إذ يشير الى أن سكانها في منتهى الغنى لعملهم فى التجارة ، كما يشير إلى أنه يوجد بينهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد ، لاسيما من قسنطينة وتونس الذين كانوا يحملون اليها منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان . ويشيد الحسن الوزان بأهل ورجلان التي يسميها وركلة أو ورجلة ، ويقول إنهم أهل كرم ويحسنون استقبال التجار ، لأن حياتهم لاتقوم إلا على مايأتيهم به هؤلاء التجار كالقمح واللحم والملح والشحم والمنسوجات والأقمشة والأسلحة والسكاكين وكل مايحتاجونه على الاجمال (١٧٤) . وهذا الغنى وهذه التجارة الرائجة لاتدل إلا على أن التجار الأباضية فيها قد عاد اليهم نشاطهم وحيويتهم بعد الدمار الذي تعرضت له مدينتهم على أيدي الفاطميين والزيريين ومن أتي بعدهم من أمم أو دول .

وتشير المصادر أيضا الى نشاط جزيرة جربة الأباضية السكان منذ القديم وحتى الآن . فقد قال الحسن الوزان أنها كانت ذات تجارة مع تونس ومع الاسكندرية ، وكان يأتي اليها التجار المصريون والأتراك والتونسيون (١٧٥) . وكذلك مدينة غدامس التي تقع في الجنوب الغربي من مدينة طرابلس على بعد خمسمائة كيلو متر ، والتي دخلها المذهب الأباضي في بداية القرن الثاني للهجرة ، فقد كانت هذه المدينة من أقوى مراكز الحضارة والتجارة حيث كان أكثر سكانها مهرة في التجارة والمتاجرة مع طرابلس وتونس والسودان ومصر ، وكانوا يتكلمون العربية والبربرية ، وبعضهم يعرف السودانية بسبب كثرة

---

(١٧٤) وصف افريقيـــا ، جـ ٢ ص ١٣٦ .

(١٧٥) المصدر السابـــق ، جـ ٢ ص ٩٤ ، ٩٥ .

أسفارهم الى بلاد السودان (١٧٦) .

أما مدينة زويلة (١٧٧) الأباضية السكان ، فانها كانت تربط شمال أفريقيا ببلاد الكانم والبرنو في حوض بحيرة تشاد . وكانت هذه المدينة موئلا لسائر التجار من جميع الآفاق . فقد كان تجار خراسان والبصرة والكوفة وغيرها يأتون اليها ، ومنها يرحلون الى البلاد المحيطة القريبة والبعيدة مثل الكانم والبرنو حول بحيرة تشاد ، وكوكو على نهر النيجر وغيرها (١٧٨) .

وبجانب أهل المدن أو سكان المدن الذين برزوا في النشاط التجاري ، فقد برز أيضا في هذا النشاط كثير من القبائل ، ومن أشهر هذه القبائل قبيلة هوارة . فقد كان أهلها من أغنى التجار ، وكانت قوافلهم من الجمال تدخل بلاد السودان محملة بقناطير الأموال من النحاس الأحمر والجلود والثياب الصوفية والعمائم والمآزر وأنواع الزجاج والأصداف والأحجار والأفاويه والعطر والآلات المصنوعة من الحديد . وكان التاجر الواحد من تجار هذه القبيلة يرسل عبيده ورجاله مع جماله التي كان لايقل عددها عن الثمانين جملا كلها محملة بأنواع السلع المختلفة ، مما حدا بسليمان الباروني لأن يقول بأنه لم يكن هناك من هو أغنى من أهل هذه القبيلة في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد ، لدرجة أنهم وضعوا على أبواب دورهم أو خيامهم

---

(١٧٦) الظاهر أحمد الزاوي : ص ٨٧ ، ٨٨ .

(١٧٧) تقع زويلة في الجنوب الشرقي من مدينة مرزوق بنحو ١٥٠ كم ، وتبعد عن مدينة طرابلس الى الجنوب الشرقي منها بنحو ٧٧٠ كم ، ويعبر عنها المؤرخون بزويلة السودان ، تميزا لها عن زويلة افريقية التي بناها عبيدالله المهدي أول خلفاء الفاطميين قرب مدينة تونس . انظر : الظاهر أحمد الزاوي : ص ٣٥ .

(١٧٨) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٦ ، ابن رسته : ص ٣٤٥ ، البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٠ .

علامات تدل على ثرائهم ومقادير أموالهم (١٧٩) .

وكما هو ملاحظ فان نشاط التجار الأباضية ، سواء كانوا من أهل المدن أو من قبائل الصحراء ، قد استمر بعد انتهاء عصر الدولة الرستمية في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م الى نهاية العصر العباسي ، بل الى نهاية العصور الوسطى . ذلك أن الأباضية في معاقلهم الأخيرة التي أشرنا الى بعضها مثل ورجلان ووادي ميزاب وجرية ونفوسة ، كانوا حريصين كل الحرص على ممارسة هذا النشاط ، وبرعوا فيه كل البراعة ، حتى إن الاقتصاد في كل من الجزائر وتونس ، كان يعتمد الى عهد قريب اعتمادا أساسيا على مواهب الأباضية في التجارة ، ولم تخل مدينة أو قرية في الجزائر وتونس على مدى قرون طويلة من الأيدي البارعة للتجار الأباضية (١٨٠) .

وقد حمل هؤلاء التجار متاجرهم الى بلاد السودان الغربي (١٨١) ، كما رحلوا الى مصر ، ولم تنقطع رحلاتهم الى مصر حتى عصر الحسن الوزان في بداية القرن السادس عشر للميلاد حيث أشار هذا الرحالة الى وجود عدد كبير من الصناع والتجار البربر في حي جامع ابن طولون بالقاهرة (١٨٢) . ونظرا لحرص هؤلاء التجار على جمع المال ، فقد كانوا يذهبون الى جميع الأقطار للاتجار ، فنراهم وكما يقول الحسن الوزان دائما وفي كل وقت في مصر والحبشة والجزيرة العربية وبلاد فارس والهند وتركيا (١٨٣) . وكان الناس في هذه البلدان

---

(١٧٩) الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ، جـ ٢ ص ٢٤١ .

(١٨٠) علي يحيى معمر : الأباضية بين الفرق الاسلامية ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٦م ، جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(١٨١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، تحقيق د . علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٨٥م ، جـ ٢ ص ٦٩٣ .

(١٨٢) الحسن الوزان : جـ ٢ ص ٢٠٨ .

(١٨٣) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٦ .

يحسنون استقبالهم ، لأنهم كانوا خبراء ماهرين في المهن التي يعملون بها ، كما أنهم كانوا يتشبثون بالقيم الأخلاقية الرفيعة ، من حشمة ووقار وأمانة في الحديث والمعاملة ، وعدم الجهر بالسوء من القول ، واحترام للوعود والعمل بكل مافي وسعهم لخدمة إخوانهم ، بجانب ماكانوا يتمتعون به من طيبة وصراحة وإخلاص (١٨٤) وكرم شديد ، حتى أن الواحد منهم في القرن الخامس للهجرة كان ينادي بأعلى صوته في المسجد بعد انتهاء صلاة العشاء هل من غريب ، هل من ضعيف ، هل بات أحد دون عشاء ، وينتظر حتى ينصرف الناس فيطوف على زوايا المسجد بعكازه يفتش عن أبناء السبيل والوافدين الغرباء (١٨٥) .

وهكذا ترى أن العلاقات بين أباضية عمان والبصرة وأباضية مصر والمغرب كانت مزدهرت ومتألقة في جوانبها المختلفة : السياسية والمذهبية والثقافية والعلمية والتجارية ، وذلك منذ أن ظهر المذهب في مصر وانتشر بين كثير من أهلها ، وظهر في بلاد المغرب وقامت له فيها دولتان ، الأولى هي دولة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري في طرابلس والقيروان (١٤٠ — ١٤٤هـ/ ٧٥٧ — ٧٦١م) ، والثانية هي الدولة الرستمية (١٦٠ — ٢٩٦هـ/ ٧٧٦ — ٩٠٨م) التي أقامها عبد الرحمن بن رستم الفارسي ، والتي شمل حكمها معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط .

ورغم القضاء على هاتين الدولتين ، الا أن الوجود الأباضي وكما رأينا استمر قائما في مصر وبلاد المغرب بدرجات وأشكال مختلفة ، ونتيجة لذلك استمرت العلاقات الثقافية والمذهبية والتجارية تسير في مجراها الطبيعي ، وتربط بين أباضية هذه البلاد وأباضية عمان

---

(١٨٤) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٦ ، ٨٧ .

(١٨٥) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤٠٤ .

والبصرة ، طوال عصور التاريخ الاسلامي وطوال العصور الوسطى . وقد تمخضت هذه العلاقات سواء كانت قائمة أثناء وجود دولتي المغرب الأباضيتين أم بعد انتهاء عصر هاتين الدولتين عن نتائج في غاية الأهمية ، فياترى ماهي هذه النتائج ؟.

٤ — نتائج العلاقات بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة :

أ — تدعيم الدولة الأباضية في بلاد المغرب وعمان :

- ترتب على قيام علاقات وطيدة بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة نتائج هامة ، من هذه النتائج تدعيم الدولة الرستمية الأباضية في المجالات السياسية والمذهبية والمادية والثقافية . ونتج عن ذلك أن سيطرت هذه الدولة على معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط ، كما صارت قوة يخشى بأسها ، ولم تتمكن الخلافة العباسية وهي في أوج قوتها وعظمتها وفي عصرها الذهبي أن تعصف بهذه الدولة الوليدة ، وانتهى العصر الذهبي لبني العباس وسيطر الترك عليهم ، ولم يتمكن هؤلاء أو أولئك من النيل من هذه الدولة التي لم تترك لبني العباس الا نفوذا على النصف الشمالي من ولاية افريقية (تونس) ، حيث قنع العباسيون والأغالبة الذين أصبحوا حكاما على هذا الجزء من هذه الولاية بعلاقات السلام والمصالحة (١٨٦) .

أما الأمويون في بلاد الأندلس فقد دفعهم عداؤهم لبني العباس الى مد يد العون والتأييد للرستميين لأنهم اعتبروا مجرد قيام دولتهم في

(١٨٦) محمد الطالبي : الدولة الأغلبية ، التاريخ السياسي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٣٨٥ ، شاكر مصطفى : جـ ١ ص ٦٩٨ ، جودت عبد الكريم يوسف : ص ٨٠ .

تاهرت ماهو الا شوكة في حلق الخلافة العباسية (١٨٧) . وكذلك الأدارسة الذين حكموا بلاد المغرب الأقصى فانهم رغم نسبهم الشريف ، ورغم حب البربر لهم والتفافهم حولهم ، إلا أنهم لم يتمكنوا من النيل من هذه الدولة الوليدة ، نظرا لما توافر لديها من قوة حربية واقتصادية ، ولما اشتهر به حكامها من عدالة وحسن جوار ، ولما كانت توفره للأدارسة أنفسهم من حماية ضد بني العباس وعمالهم في افريقية ، فقامت بينهما علاقات السلام والتعاون (١٨٨) .

كما نتج عن العلاقات التي قامت بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة أن انتشر المذهب الأباضي في كثير من أنحاء بلاد المغرب والصحراء والسودان ، وذلك نتيجة لقدوم العلماء الأباضية من عمان والبصرة الى هذه البلدان ، ونتيجة لسيل الكتب الأباضية الذي انهمر عليها من البصرة وعمان ، ونتيجة للتواصل الفكري واللقاء في موسم الحج في بلاد الحجاز ، وغير ذلك من العوامل التي دعمت المذهب وساعدت على نشره في هذه البلاد ، حتى احتفظ بوجوده فيها حتى عصرنا الحالي في بعض بقاع الجزائر وتونس وليبيا ، رغم ماتعرض له هذا المذهب وأتباعه من اضطهاد شديد عقب القضاء على الدولة الرستمية في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م على يد الفاطميين وأتباعهم من الزيريين الصنهاجيين ومن خلفهم من ممالك ودول (١٨٩) .

وفي هذا الصدد يخبرنا الاصطخري الذي توفي قبل عام ٣٥٠هـ أي بعد القضاء على الدولة الرستمية بأكثر من نصف قرن ، بأن الأباضية هم الغالبون على تاهرت (١٩٠) . وقد بلغ استقطاب المذهب للناس في ذلك الوقت أن مال اليه بعض حكام بني زيري الذي خلفهم الفاطميون على تونس وبلاد المغرب بعد رحيلهم الى مصر في عام

(١٨٧) صالح باجية : الأباضية بالجريد ، ص ١٠١ .

(١٨٨) محمد عيسى الحريري : ص ٢٠٣ ، جودت عبد الكريم يوسف : ص ١٨٢ ، ١٩١ — ١٩٢ .

(١٨٩) انظر ، ص ١١٣ — ١١٦ .

(١٩٠) مسالك الممالك ، ص ٣٩ .

٣٦٢هـ/ ١٩٧٢م . فقد تواترت الاشارات بأن المنصور يوسف بلقين ابن زيري الذي خلفه المعز على هذه البلاد ، أكرم علماء الأباضية وعطف عليهم ، حتى إنه قال لأحدهم ذات مرة ، إن ''رمحه وهبي وأن فرسه وهبي'' (١٩١) ، وذلك نسبة للامام عبد الوهاب ثاني أئمة الدولة الرستمية ، حيث اتصف بهذا الاسم أباضية المغرب تمييزا لهم عن بعض زملائهم الذين انشقوا عليهم وعرفوا باسم النكار كما سبق القول .

وقد ظل انتشار المذهب مستمرا حتى فترة متأخرة . فقد وردت بعض الأخبار بأن يوسف بن تاشفين سلطان المغرب والأندلس في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة قد اعتنق المذهب الأباضي فيما يحكيه لنا محمد يوسف أطفيش في خبر نقله عن ابن حيان العلامة الأندلسي الغرناطي المشهور (١٩٢) ، وان كان هذا الأمر مستبعدا نظرا لأن دولة ابن تاشفين قامت أساسا على دعوة دينية قام بها أحد علماء المالكية ، وهو الشيخ عبد الله بن ياسين .

وفي مجال القوة الاقتصادية والمادية ، فقد نتج عن العلاقات التجارية التي قامت بين أباضية المشرق وأباضية المغرب أن صارت ''تاهرت حرزا وحصنا لجماعة أهل الدعوة وسميت المعسكر المبارك'' ، وماذاك الا لما توافر فيها من الأموال وماظهر فيها من رخاء الحال وانتعاش الاقتصاد (١٩٣) ، حتى سميت بأنها بلخ المغرب (١٩٤) أو بغداد المغرب (١٩٥) ، أو عراق المغرب (١٩٦) . ومعروف أن بلخ كانت من أجل مدن خراسان وأشهرها وأكثرها خيرا وأوسعها ثراء

---

(١٩١) أبو زكريا : ص ٢٣٨ .

(١٩٢) رسالة ان لم تعرف الأباضية ، ص ٣٢ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(١٩٣) الدرجيني : جـ ١ ص ٤٦ ، الاصطخري : ص ٣٩ .

(١٩٤) المقدسي : ص ٢٢٨ . (١٩٥) القلقشندي : جـ ٥ ص ١ .

(١٩٦) سليمان الباروني : جـ ٢ ص ٤٩ .

وازدهارا وانتاجا ، اذ كانت غلتها أو منتجاتها تحمل الى جميع مدن خراسان وخوارزم (١٩٧) ، ومعروف أيضا أن بغداد والعراق بصفة عامة كانت من أغنى بلدان دولة الاسلام وأكثرها ثراء وعمرانا وسكانا وحضارة ، اذ أنها كانت قاعدة الدولة وحجر الزاوية فيها .

وكذلك كانت حال تاهرت فقد وصفها المقدسي بأنها قد ''أحدقت بها الأنهار والتقت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها العيون وجل بها الأقاليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب'' (١٩٨) ، كما وصفها بن الصغير المالكي في عصر أفلح بن عبد الوهاب بالازدهار وكثرة العمران ''حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة وأجروا الأنهر ، فابتنى أبان وحمويه القصرين المعروفين لهما بأملاق ، وابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم وغيره ، مما يطول ذكره . ولقد حدثني — والكلام مازال لابن الصغير — بعض من أثق به أن أبان وحمويه خرجا يوما الى قصورهما متنزهين ومعهما جماعة من إخوانهما ، فذكر بعضهم أنه قال لما أشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما ، فأعلموا سكان القصرين بقدومهما ، قال فتشوف من كان بالقصرين إليهما ، فوالله مارأيت شرافة من القصرين إلا وعليها ثوب أحمر وأصفر على الجدران كالبدور ، وانتشرت القبائل وعمرت العمائر وكثرت الأموال بأيديهم ، وكانت العجم (أي الفرس) قد ابتنت القصور ، ونفوسة قد ابتنت العدوة ، والجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم ، وأمنت الساحات وكثرت الأموال حتى أطغت أهل الحواجر والبوادي . ولقد حدثني غير واحد أنه كان للعجم مقدم يقال له ابن

(١٩٧) المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٥٠ .
(١٩٨) أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٨ .

وردة قد ابتنى سوقا يعرف به ، فكان صاحب شرطة أئلح إذا تخلل بالمدينة لافتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولايتخلله هيبة .. الخ'' (١٩٩) .

وقد وصفها القلقشندي بأنها ''كانت ذات أسواق عامرة ومزارع وضياع جمة ، ويمر بها نهر يأتيها من جهة الغرب ، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع فيه حتى إن الماء يخترق دور أهلها'' (٢٠٠) ، الى غير ذلك من الأوصاف التي جاءت عند كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين الذين تحدثوا عن مظاهر الثراء والازدهار الاقتصادي في تاهرت (٢٠١) .

ولم تكن مدينة تاهرت تعيش وحدها هذا الازدهار ، فقد عاشته أيضا بقية مدن الدولة ، لأنها كانت كما أشرنا من قبل محطات للتجارة ، وواحات خصبة بها البساتين والمياه والأرض الصالحة للزراعة ، مما يدل على ازدهار اقتصادي كبير أشار اليه المؤرخون المعاصرون حتى قصدها الناس من مختلف البلدان وأقاموا فيها واتخذوها وطنا ومسكنا (٢٠٢) .

واذا كانت الدولة الأباضية في المغرب قد بلغت القمة في عهد الرستميين في هذه المجالات ، فإنها أيضا تبوأت مكان الزعامة في المجال العلمي والثقافي بفضل علاقاتها في هذا المجال مع أباضية البصرة وعمان مما فصلنا فيه القول تفصيلا ، حتى صارت تاهرت كعبة للدراسات الأباضية ، ونشط على أرضها العلماء من الأباضية والسنة والمعتزلة

(١٩٩) أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٦١ — ٦٣ .

(٢٠٠) صبح الأعشى ، جـ ٥ ص ١١١ .

(٢٠١) لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع ، انظر ، سليمان الباروني في أزهاره الرياضية (جـ ٢ ص ٤٩ — ٨٥) حيث جمع في هذا الكتاب معظم ماقيل عن تاهرت في المصادر التاريخية والجغرافية .

(٢٠٢) ابن الصغير : ص ٣٦ ، ٦١ .

وغيرهم ، وجرت بينهم المناظرات وكثرت اللقاءات ، واشتغل كثير من أهلها بالعلم حتى صار فيها عدد وافر من العلماء ، يدل على ذلك أنه مات في موقعة مانو التي نشبت بين النفوسيين والأغالبة في عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م أربعمائة عالم ، كما قتل الأغالبة بعد مانو ثمانين عالما أباضيا في مدينة أباضية أخرى هي مدينة قنطرار (٢٠٣) .

وقد بلغ من كثرة العلماء بقرية تجديت التي تقع جنوب أريغ أن كانت المواشي تنفر إذا صلى علماؤها ورفعوا أصواتهم بتكبيرة الاحرام ، ذلك أنه كان بها مائة عالم ومائتان آخرون يحفظون مائتي كتاب ، وعدد كبير من الطلبة والفرسان (٢٠٤) وذلك في زمن السيطرة السياسية لغير الأباضية في بلاد المغرب ، مما يدل على حيوية هذا المذهب وعلى قوة صموده ، فلم يقض عليه كما قضي على المذهب الشيعي في مصرمثلا ، رغم تواجد هذا المذهب على أرضها مدة تزيد عن قرنين من الزمان ، ورغم أنها كانت مقرا للخلافة الفاطمية الشيعية ، ومركزا للدولة الفاطمية الواسعة التي ضمت مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن طوال هذه الفترة ، حتى قضي عليها صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م .

وكما أفادت العلاقات التي أقامتها البصرة وعمان مع أباضية مصر وبلاد المغرب هذه البلاد الأخيرة على هذا النحو ، فقد أفادت أيضا أباضية المشرق وخاصة أباضية عمان . ذلك أنها أمدت عمان بطاقة روحية كبيرة جعلتها تصمد أمام عتو الخلافة العباسية في أوج ازدهارها ، اذ أحس أباضية عمان بأنهم لايقفون في الميدان وحدهم ضد هذه الخلافة ، وكان قيام الدولة الأباضية في بلاد المغرب في عام

(٢٠٣) الدرجيني : جـ ١ ص ٨٩ ، ٩٠ ، الشماخي : جـ ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
(٢٠٤) الشماخي : جـ ٢ ص ١٣٩ .

١٦٠هـ/ ٧٧٦م فرصة انتهزها العمانيون وأقاموا الامامة الأباضية الثانية في بلادهم بعد ذلك بسبعة عشر عاما (٢٠٥) .

ذلك أن قيام الدولة الأباضية الرستمية في بلاد المغرب لابد أنه أشغل الخلافة العباسية عما يقع من أحداث في أطراف بلاد العرب الجنوبية وفي عمان بالذات ، خاصة وأن قيام الدولة الرستمية تبعه قيام دولة أخرى في بلاد المغرب في عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م عندما قامت فيها دولة الأدارسة في ذلك التاريخ . ولذلك لم يجد العباسيون مناصا من الاعتراف للأغالبة باستقلالهم الذاتي حتى يتقوا بهم هذا النفوذ المتزايد للقوى المناهضة لهم والمعارضة لسياستهم في بلاد المغرب (٢٠٦) .

أما في المشرق ، فانهم لم يجرءوا على ارسال أية قوات لمناهضة الدولة الأباضية في عمان بعد أن تعرضت حملتهم التي كانوا قد أرسلوها في عهد هارون الرشيد في عام ١٨٩هـ/ ٨١٤م للهزيمة المنكرة . وبذلك ازدهرت الدولة الأباضية في عمان لأكثر من قرن من الزمان ، ولم يقض عليها إلا عوامل التنافس والتفكك الداخلي الذي هيأ الفرصة لعامل العباسيين في البحرين محمد بن نور من القضاء عليها الى حين (٢٠٧) .

---

(٢٠٥) الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق عبد المجيد القيسى ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٠م ، ص ٤٥ .

(٢٠٦) انظــــر ، ص ١٠٤ .

(٢٠٧) الطبري : جـ ٨ ص ٣١٧ ، جـ ١٠ ص ٣٣ ، المسعودي : جـ ٤ ص ٢٧٥ ، الاصطخري : ص ٢٦ ، ما يلز : ص ٩٠ ــ ٩٦ ، جمال زكريا قاسم : استقرار العرب في ساحل شرقي افريقيا ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، عدد ١٠ ، سنة ١٩٦٧م ، ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧ .

ب ـ تحقيق الوحدة الفكرية بين أباضية عمان والبصرة وأباضية مصر والمغرب :

وقد نتج عن العلاقات بين أباضية مصر والمغرب وأباضية عمان والبصرة أمر آخر ، وهو تحقيق الوحدة الفكرية والمذهبية بينهما . فقد كان لهما موقف موحد ازاء المسائل الفكرية والمذهبية والسياسية التي عرضت لهما ، وبرز ذلك واضحا من خلال الاتصالات التي كانت تتم عن طريق إرسال الرسل ، ومن خلال اللقاءات التي كانت تتم بالزيارات المتبادلة أو باللقاء في موسم الحج في مكة المكرمة مما أشرنا اليه أثناء حديثنا عن العلاقات السياسية والثقافية .

ـ وقد أشار الشماخي الى هذه الوحدة الفكرية والمذهبية عندما تحدث عن التقاء العالم النفوسي نصر بن سجميمان بأئمة عمان وعلمائها في مكة أثناء موسم الحج ، وسألهم عن السخط والرضا ، فقالوا : فعلان ، فسألهم عن خلق القرآن ، فقالوا انه غير مخلوق (٢٠٨) ، وإن كانوا فى الحقيقة يعتقدون بخلق الله سبحانه وتعالى له ، ولكنهم قالوا ماقالوا ، أو توقفوا عن إبداء رأيهم فى هذه المسألة أو حتى عارضوها ، حتى لا تتخذ الدولة العباسية ـــ وكانت وقتها تعذب القائلين بعدم خلق القرآن وتعتدى على حياتهم ـــ من قول الأباضية بالخلق للقرآن سندا جديدا أو زريعة تبرر به صنيعها ضد هذه الطائفة التى اختارت أن تقف من الدولة موقف المعارضة ، ومن ثم يؤدى هذا الأمر إلى ظلم أكثر وإلى اضطهاد أعنف لهذا النفر من المسلمين الواقعين تحت سلطان الدولة وهيلمانها (٢٠٩) .

---

(٢٠٨) السيـــر ، جـ ٢ ص ١٣٧ .

(٢٠٩) أحمد بن حمد الخليلي : الحق الدامغ ، ص ١٠٦ ـــ ١٠٨ .

وهذا الموقف لأباضية المشرق لا يبدو متناقضا مع موقف أباضية المغرب إلا فى الظاهر فقط ، وفى فترة معينة ، ولم يكن إلا لما ذكر من أسباب . أما فى الواقع ، فإنهم لا يخالفونهم ، وإنما يسيرون معهم فى نفس الاتجاه القائل بخلق القرآن ، مما جعل الشماخي يتخذ من ذلك دليلا على أن الوهبية — أي جمهور الأباضية من غير الخارجين عليهم من النكار وغيرهم — مغربا ومشرقا مجمعون على أن السخط والرضا فعلان ، الا من خالف اجماعهم ، وعلى أن القرآن مخلوق الا من خالف اجماعهم ، أيضا ''فبعض أهل عمان خالف في خلق القرآن دون أهل العراق ومصر ودون أهل مكة والمغرب وسائر الأباضية ، وبعض أهل المغرب خالف في السخط والرضا'' (٢١٠) .

والشماخي هنا يوضح لنا أن أباضية المشرق والمغرب كانوا مجمعين على رأي واحد فيما يختص بهاتين المسألتين الا بعض أهل عمان وبعض أهل المغرب . وهذا شيء طبيعي وأمر ملحوظ في كل المذاهب والفرق ، ولاينتقص خروج البعض على هذا الاجماع من الوحدة العقائدية والفكرية والمذهبية التي جمعت أباضية المشرق والمغرب في صعيد واحد .

ومما يدل على هذه الوحدة الفكرية والمذهبية وعلى سيادتها عند جمهور أباضية المشرق والمغرب ، عدم رضا جمهور أباضية مصر ومشايخها بما فعله شعيب بن المعروف وجماعته من الخروج على ما اتفق عليه الأباضية في بعض النواحي الفقهية الخاصة بالمذهب وخالفهم فيها شعيب وأبو المؤرج عمر بن محمد ، وعبد الله بن عبد العزيز . وقد وفد أبو المؤرج الى عمان وحاججه الأباضية فيها في المسائل التي خالف فيها جمهورهم ، فاقتنع ''ورجع الى قول المسلمين وقبل الحق'' . وكذلك الحال بالنسبة لشعيب ومن قال بآرائه ، فقد عدل عن هذه

(٢١٠) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٣٧ .

الآراء ، ولكنه عاد اليها فيما بعد وخاصة بعد أن فشلت خطته ولم تتحقق أطماعه في الوصول الى السلطة في تاهرت بمساعدة ابن فندين . وطبيعي أن ابن فندين وجماعته يمثلون مايعرف بفرقة النكار التي افترقت عن جمهور الأباضية في بلاد المغرب ، ولكنها هي ومثيلاتها التي حكي عنها ابن الصغير وأبو زكريا (٢١١) وغيرهما من مؤرخي الأباضية في هذه البلدان ، مثل الخلفية والنفاثية ، فرق صغيرة لم تنل من الوحدة المذهبية التي ظللت أباضية المغرب والمشرق الى حد كبير ، بدليل أن هذه الفرق درست وانتهت ولم يبق إلا فرقة واحدة هي الفرقة المجمع عليها منذ القرن الثاني للهجرة والتي تعرف عادة بالوهبية والتي تمثل جمهور الأباضية وغالبيتهم والتي يعترف بها الأباضية ويقرونها حتى اليوم .

جـ ــ انتشار الاسلام بين البربر والسودان :

ومن أهم النتائج التي تمخضت عنها العلاقات بين أباضية المشرق والمغرب ، انتشار الاسلام بين كثير من البربر وخاصة في الصحراء الكبرى وبين السودانيين والزنج جنوب هذه الصحراء . اذ أنه مما لاشك فيه أن دعاة المذهب الأباضي القادمين من الشرق قد ساهموا مساهمة جليلة في بث الاسلام بين البربر والسودان وترسيخ أقدامه فيما بينهم . فعندما أظهر البربر روح التمرد ضد عمال بني أمية ، أقنع دعاة الأباضية هؤلاء البربر أن ما ينالهم من ظلم ليس من وحي الاسلام ، وانما هو من عمل الولاة الذين لايطبقون مبادئ الاسلام في المساواة

(٢١١) ابن غانم الخراساني : المدونة الصغرى ، جـ ١ ص ٧ ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٥٠ — ٥٢ لابن الصغير ، كتاب السير المعروف بتاريخ أبي زكريا ، ص ٨٨ — ١٠١ ، ١١٨ — ١٢٣ ، ١٣٨ — ١٤٧ ، ١٩١ — ١٩٣ ، ٢٠٣ — ٢٠٤ .

والعدالة والأخوة الاسلامية ، ولذلك لم يخلط البربر بين الدين وبين عمل هؤلاء الولاة الذين اعتبروهم ظلمة ، فثاروا عليهم فيما أشرنا من قبل في ثورات عارمة ، ولم تكن ثوراتهم ضد الاسلام كدين ، وانما كانت ضد الظلم وعدم المساواة ، ولذلك انطلقت هذه الثورات باسم الاسلام وانضوت تحت لوائه ولم تتخل عنه (٢١٢) .

وبعد أن استقر الأمر للاباضية في بلاد المغرب الأدنى والأوسط ، وقامت لهم دولة هناك ، انطلق دعاتهم يبثون الاسلام بين بربر الصحراء ، وانطلق تجارهم وكانوا من علماء الأباضية الى واحات هذه الصحراء ومنها إلى بلاد السودان ، يتاجرون وينشرون الاسلام بين الوثنيين الذين كانوا كثرة في هذه البلاد ، أو كانوا غالبية أهلها ، ساعدهم في هذا العمل العظيم أن اخوانهم من علماء المذهب ومن التجار أقبلوا من البصرة وعمان والكوفة والفسطاط وغيرها من بلدان المشرق بتجاراتهم الى بلدان المغرب ، مدركين أن تجاراتهم هذه لابد أن تجد الرواج السريع ، لأنهم كانوا يعلمون أن هناك مذهبا أباضيا هم الذين أرسلوا الدعاة لنشره وأن هناك دولة أباضية قامت ، وهم قد شاركوا في قيامها ودعمها ماديا وأدبيا وسياسيا وعلميا كما رأينا ، وأن هذه الدولة تعمل بكل مافي وسعها من جهد لتوفير الأمن والأمان ، لقوافل التجارة ، وأن معظم الطرق التجارية التي تربط شمال افريقيا ببلاد السودان الغربي والأوسط تقع في قبضة الأباضية (٢١٣) ،

(٢١٢) فرحـات الجعبيري : نظام العزابة ، ص ٧ .

(٢١٣) كان الطريق الذي يربط ليبيا بحوض بحيرة تشاد والذي يبدأ من طرابلس ويمر بفزان وزويلة ، يسيطر عليه أباضية جبل نفوسة وأباضية فزان (انظر ، جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص ٢٧٢) . والطريق الذي يربط تاهرت وبلاد الجزائر بأواسط نهر النيجر والذي يمر بورجلان وتادمكت ثم يصل الى كوكو على نهر النيجر ، يسيطر عليه أباضية هذه البلدان الثلاث : تاهرت وورجلان وتادمكت . أما الطريق الذي يربط المغرب الأقصى بأعالي نهر النيجر ونهر السنغال فقد كان يسيطر عليه صفرية سجلماسة وكان بهذه =

وأن أكثر التجار الذين يرتادون هذه الطرق هم من اخوانهم ممن يعتنقون المذهب الأباضي (٢١٤) ، سواء كان هؤلاء التجار من تاهرت أو ورجلان أو وادي ميزاب أو طرابلس وجبل نفوسة ، وهي معاقل الأباضية الأولى ، أو من الأباضية الوافدين من بلاد المشرق والذين وصلوا في رحلاتهم الى بلاد سجلماسة وبلاد السودان .

وقد ازداد تواجد الأباضية في الصحراء الكبرى وفي بلاد السودان بعد القضاء على الدولة الرستمية في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م على يد الفاطميين وماتبع ذلك من اضطهاد لهم على يد القوى السياسية الجديدة التي حكمت شمال أفريقيا ، فهاجروا جنوبا وازدادت هجرتهم ناحية الجنوب بعد هجرة قبائل بني هلال وبني سليم العربية الى تونس وشمال افريقيا بصورة عامة منذ عام ٤٤٣هـ/ ١٠٥٢م . فقد أرغمت هذه

= المدينة كثير من الأباضية الذين كانوا يبعثون زكاة أموالهم الى أئمة تاهرت أي أنهم كانوا يدينون لهم بالطاعة والولاء . (انظر ، ابن الصغير : ص ٩٧) . والطريق الرابع الذي كان يربط تونس ببلاد الهوسا في شمالي نيجيريا الحالية ، فهو الطريق الوحيد الذي كان يسيطر الأغالبة على بدايته ، ولكنه بعد أن يخرج من تونس كان يقع في أرض يسيطر عليها الأباضية ، لأنه يمر بغدامس أو ورجلان ، وكلاهما كانا ضمن الدولة الرستمية . (انظر خريطة رقم ٢) .

(٢١٤) هؤلاء التجار العلماء كثيرون ، منهم أبو نوح الصغير ، وأبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي الذي كان ذا ثراء كبير ، وحج وعاد وسافر الى تادمكت للتجارة (انظر ، الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٦٧) ، وأبو صالح جنون الذي كان يرحل الى ورجلان لبيع الابل ومنها الى تادمكت (الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٧٤ — ٣٧٥) ، وأبو يحيى بن أبي القاسم يونس الفرسطائي الذي قتل في موقعة مانو عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) ، وكان فقيها وتاجرا أباضيا كبيرا دعا الى الاسلام في احدى بلاد السودان وأسلم ملكها على يديه ، وله مسجد في فرسطاء (فرحات الجعبيري : البعد الحضاري ، ص ٤٥١ هامش ١٤ ، جودت عبد الكريم : ص ٢٨٣) ، وهارون بن أبي عمران بن سدرين الذي سافر الى غانة ووصل الى مدينة أغيارو من بلاد غانة وأقام بها حتى توفي هناك (الشماخي : جـ ٢ ص ١٢٧) ، والشيخ أبو طاهر اسماعيل بن علي النفزاوي الذي سافر الى غانة وجاور بمكة (الشماخي : جـ ٢ ص ١٣٥ — ١٣٦) ، وعمران بن الشيخ أبي عبدالله محمد رسم الذي سافر الى غانة (الشماخي : جـ ٢ ص ١٦١) . وقد تواصل قدوم التجار الأباضية منذ قيام الدولة الرستمية وبعد انقضاء عهدها ، وتوغلوا في بلاد السودان بل ان منهم من وصل في رحلاته الى أواسط افريقيا قرب خط الاستواء ، حيث اكتشف هناك تساوي الليل والنهار قبل اكتشاف الأوربيين لهذه المناطق بقرون عديدة .

انظر ، الشماخي : جـ ٢ ص ٨ ، علي يحيى معمر : الأباضية في الجزائر ، ص ٢٣٨ ، فرحات الجعبيري ، نظام العزابة : هامش ٨٣ ص ١١٩ ، ١٢٠ .

القبائل العربية المهاجرة ــ وكانت سنية المذهب ــ قبائل بربرية أباضية كثيرة مثل هوارة ولواتة ونفزاوة وغيرها من قبائل ليبيا وبلاد الجريد في تونس والجزائر على مغادرة بلادهم ، فاتجوا جنوبا ليسكنوا القفار المجاورة لبلاد السودان ، ومنها وصلوا الى منطقة السنغال والنيجر وإلى بلاد الكانم والبرنو في حوض بحيرة تشاد (٢١٥) .

وفي القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد ، يشير ابن بطوطة الى وجود البيضان بكثرة في بلاد السودان. والمقصود بهؤلاء البيضان هم التجار من البربر والمصريين وغيرهم من التجار من غير السودان ، ويقول في اشارة واضحة بأن أهل قرية زاغري في بلاد مالي ''يسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الأباضية من الخوارج ويسمون صغنغو ، والسنيون المالكيون من البيض ويسمون عندهم توري'' (٢١٦) . وقد سبقت الاشارة الى وجود الأباضية في مدينة زويلة التي تقع في أول بلاد السودان الأوسط في شمال الكانم والبرنو . وكان أهل هذه المدينة يدينون بهذا المذهب لعصور طويلة بعد أن سقطت الدولة الرستمية الأباضية .

اشارات كثيرة تدل على تواجد علماء وتجار الأباضية في بلاد السودان منذ أن ظهر المذهب الأباضي في مصر وبلاد المغرب وحتى نهاية العصور الوسطى . وكان هؤلاء التجار وكما قلنا من أباضية المغرب والمشرق . وقد تكاتف الفريقان على القيام بأعظم الأعمال والأفعال وأشدها قربى الى الله سبحانه وتعالى ، فبذلوا غاية جهدهم في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية بين البربر والسودان ، خصوصا وأن هؤلاء التجار اشتهروا بالصدق والأمانة حتى ان أمانات الناس كانت لاتجد

(٢١٥) الحسن الوزان : جـ ١ ص ٦٢ ، حسن محمود : ص ٦١ ، أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٨٣م ، جـ ٦ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، أندريه ميكيل : الاسلام وحضارته ، المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة ١٩٨١م ، ص ٢٦٨ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٧ .

(٢١٦) رحلة ابن بطوطة ، جـ ٢ ص ٦٩٣ .

مكانا آمنا الا عندهم ، كما اشتهروا أيضا بالقناعة والبعد عن الجشع والطمع وأكل أموال الناس بالباطل ، لأن ذلك يعد كبيرة من الكبائر التي تخلد صاحبها في النار كما ينص عليه مذهبهم (٢١٧) ، كما اشتهروا أيضا بالكرم الشديد هم وسائر البربر (٢١٨) .

وقد لفتت هذه الأخلاق الحميدة أنظار الوثنيين من السودان والبربر الى هؤلاء التجار فتأثروا بهم وبعقائدهم ، ودخلوا في الاسلام طواعية واختيارا قبل ظهور دولة المرابطين التي يعزى اليها البعض فضل ادخال هؤلاء البربر والسودان في الاسلام (٢١٩) . وعلى ذلك فقد كان نشر الاسلام والثقافة الاسلامية بين كثير من الوثنيين من بربر الصحراء وبين كثير من أهالي بلاد السودان الغربي والأوسط هو في الحقيقة من عمل التجار والعلماء والدعاة الأباضية ، سواء كان ذلك العمل في عهد الدولة الرستمية (١٦٠ ــ ٢٩٦هـ/ ٧٧٦ ــ ٩٠٨م) أم بعد سقوط هذه الدولة .

ففي عهدها ، كان هؤلاء الدعاة والتجار والعلماء يقومون بواجبهم في نشر الاسلام مؤيدين بسلطة هذه الدولة التي عملت كما رأينا على حراسة الطرق والقوافل وشجعت نشر الاسلام في الصحراء وماوراءها . وبعد سقوطها ، تحرر هؤلاء العلماء من مهام الملك والادارة التي كانت تستنزف الجهد والوقت وتحملهم على الانغماس في الحياة المادية طوعا أو كرها ، واتجهوا الى نشر تعاليم الاسلام بين الجماهير الساذجة وحملهم عليها قولا وعملا ، وخرجوا بتلاميذهم في قوافل ومعهم مدارسهم المتنقلة ، وكانت المدرسة الواحدة عبارة عن حمولة اثنى عشر جملا من الحصر ينصبونها كلما نزلوا مكانا فسيحا

---

(٢١٧) جودت عبد الكريـــم : ص ٢٨٣ .

(٢١٨) الحســن الوزان : جـ ١ ص ٦٠ .

(٢١٩) محمود اسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٦م ، ص ٣٩٩ .

آهلا بالسكان ، ثم يأخذون بعد ذلك في تعليم هؤلاء الناس ونشر الاسلام فيما بينهم (٢٢٠) .

وقد كثر تنقل هؤلاء العلماء المعلمين من الأباضية بين مختلف مدن المغرب وواحات الصحراء الكبرى وماوراء هذه الصحراء ، حتى إن شيخا منهم هو أبو يحيى زكريا اليراسني رحل الى سجلماسة ومنها الى ورجلان ، ثم اتجه منها الى جزيرة جربة في جماعة من أصحابه يبلغ عددهم خمسة وعشرين أو عشرين راكبا ، وذلك في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة (٢٢١) . ذلك أن علماء الأباضية كانوا أشد اهتماما من غيرهم بالقضاء على البداوة بين بربر الصحراء ، وذلك بتعليمهم وتهذيبهم ونشر الاسلام الصحيح بينهم . وعندما كانوا لايستطيعون اقناع حي أو قبيلة بترك البداوة ، كانوا يلجئون الى ادخال أنواع من وسائل التحضر اليهم تحقق مايهدفون ، فكانوا ينشئون لهم مايسمى اليوم باسم المدارس المتنقلة التي أشرنا اليها لتعليم أبنائهم ، وكانوا يتعهدونهم بالزيارة والوعظ والارشاد والتثقيف مرة بعد مرة (٢٢٢) ، مما أدى الى انتشار الاسلام الصحيح بينهم الى حد كبير .

أما أهالي بلاد السودان فقد انتشر الاسلام بينهم رعية وملوكا ، وذلك عن طريق التجار والعلماء من الأباضية وغير الاأباضية . ذلك أن قوافل التجار القادمة من مراكز الأباضية وخاصة تاهرت وورجلان وواحة الأغواط وغيرها أنشأت في الصحراء الافريقية كلها شبكة من المراكز التجارية النشطة ، كان معظم أهلها يدينون غالبا بالمذهب الأباضي وفي كل مركز من هذه المراكز التجارية كان الأباضية ينشئون زاوية كانت تستعمل مسجدا ومركزا لتلقي التجار ومكانا للمبيت والاقامة . وفي صحن هذه الزاوية كان التجار يقضون الليل ويقومون

---

(٢٢٠) الدرجيني : مقدمة ، جـ ١ ص ج .

(٢٢١) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٠٢ .

(٢٢٢) علي يحيى معمر : الأباضية بين الفرق الاسلامية ، ص ٢٥٢ .

بمعاملاتهم التجارية . وكان لكل زاوية شيخ هو في نفس الوقت رئيس للجماعة الأباضية والمكلف بتنفيذ أحكام الشريعة ، وعادة كانت الجماعات الأباضية تنشأ زاوية أخرى في قرى أو واحات جديدة . وهكذا شيئا فشيئا نشأت شبكة الزوايا الأباضية التي كان لها أكبر الأثر في نشر الاسلام في الصحراء الافريقية المدارية أي بلاد تشاد والنيجر ومالي وفولتا وكذلك في السودان النيلي في مناطق كردفان ووادي ثم في منطقة بحيرة تشاد نفسها التي قامت فيها دول اسلامية أهمها دولة الكانم والبرنو . ولذلك تخبرنا المصادر والمراجع بأن أحد ملوك زغاوة التي تقع شمالي الكانم وبحيرة تشاد ، قد أسلم على يد أحد مشايخ نفوسة الأباضية (٢٢٣) . فقد أرسل قاضي جبل نفوسة الأباضي عمروس بن فتح الذي كان من أعلم أهل زمانه في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، عالما أباضيا كبيرا الى هذه البلاد حيث استقر هناك وطاب له المقام ، فأسلم كثير من الزغاويين على يديه (٢٢٤) .

وعلى ذلك فقد وصلت الدعوة الاسلامية عن طريق تجار الدولة الرستمية وعلمائها وتجار عمان والبصرة الى هذه البلاد النائية ، وذلك على خلاف ماهو شائع من أن زغاوة ظلت على الشرك حتى قيام دولة المرابطين في منتصف القرن الخامس للهجرة . والواقع أن التجار والدعاة النفوسيين وغيرهم من رعايا الدولة الرستمية مؤيدين بجهود اخوانهم من أباضية المشرق هم الذين وضعوا البذرة الأولى لحركة انتشار الاسلام في تلك النواحي (٢٢٥) ، مما يتعارض تماما مع قول أحد الباحثين من أن هدف الرستميين وتجارهم كان هدفا تجاريا ، وأنهم

---

(٢٢٣) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٦ ، محمود اسماعيل : ص ٩٩ .
(٢٢٤) الدرجيني : جـ ٢ ص ٣٢١ ، محمود اسماعيل : ص ٢٢٩ .
(٢٢٥) محمود اسماعيل : ص ٢٩٩ .

لم يشغلوا أنفسهم بنشر المذهب في بلاد السودان (٢٢٦) . صحيح أنهم لم يشغلوا أنفسهم بنشر المذهب ، ولكنهم شغلوا أنفسهم بجانب التجارة بنشر الاسلام ، وهذا ماتؤيده كل الحقائق التاريخية . ذلك أن التجار كانوا دعاة اسلام في كل مكان وصلوا اليه سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

وقد أشار الشماخي الى أن أحد ملوك بلاد السودان ولايذكر اسمه ولا بلده على وجه التحديد ، قد اعتنق الاسلام على يد أحد هؤلاء الأباضية الدعاة الذين كانوا يسافرون الى هذه البلاد . هذا الأباضي الداعية هو أبو يحيى بن أبي القاسم الفرسطائي الذي كان والده أبو القاسم قد قتل في موقعة مانو في عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م . وكان أبو يحيى قد سافر الى بلاد السودان فوجد ملكهم ناحل الجسم خائر القوى ذليل النفس ، فسأله عن سبب ضعفه وانهيار قواه على هذا النحو ، فأجابه الملك بأن ذلك ماهو إلا لخوفه من الموت . فأخذ أبو يحيى يحدثه عن الله عز وجل وعن صفاته ، وعن الجنة والنار والحساب ، وما أعد سبحانه وتعالى للمطيع والعاصي ، ومازال يذكر له نعم الله تعالى وآلائه ورحمته ، حتى أسلم هذا الملك وحسن إسلامه (٢٢٧) .

وقد تحدثت المصادر القديمة عن أثر الأباضية في تحويل ملك سوداني آخر وهو ملك مالي الى دين الاسلام . فقد اعتنق هذا الملك الاسلام على يد أحد التجار الدعاة من الأباضية ، وهو أبو الحسن علي ابن يخلف بن يخلف النفوسي التميجاري النفطي (٢٢٨) الذي كان قد

(٢٢٦) جودت عبد الكريم : ص ٢٨٥ .   (٢٢٧) الشماخي : جـ ٢ ص ٦ ـــ ٨ .

(٢٢٨) التميجاري نسبة الى تميجار وهي بلدة في أواسط جبل نفوسة ، والنفطي ، نسبة الى نفطة ، وهي مدينة في جنوب تونس في بلاد الجريد . انظر ، علي يحيى معمر : الأباضية في تونس ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٦م ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

سافر الى غانة في عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م ، وانتهي في سفره الى مدينة مالي حيث كان ملكها وثنيا يعبد الدكاكير ، أي الأصنام . وكان هذا التاجر عالما تقيا مستجاب الدعوة ذا خلق حميد كثير العبادة محافظا على دينه . ولذلك اشتهر بين السكان بطيبة نفسه وحسن معاملته وأمانته وصدقه ، فوثقوا به وأحبوه ، واشتهر اسمه وذاع صيته حتى بلغ مسامع الملك ، فأحضره اليه ورأي منه صدق ماسمعه عنه ، فاستخلصه لنفسه وأكرمه غاية الاكرام ، وجعله مستشارا له ، فبلغ عنده هذا العالم التاجر الأباضي منزلة لم يبلغها أحد من وزرائه . ولما قضي هذا العالم التاجر حاجته وأزمع السفر والعودة الى بلاده ، شكا اليه الملك مادهمهم من قحط وما ألم بهم من مجاعة ، نتيجة لعدم سقوط المطر لفترة طويلة ، وأن الرعية قدمت الذبائح والقرابين للأصنام واستغاثوا بها فلم يغاثوا ، وطلب من الشيخ أن يدعو ربه لعله يغيثهم . فرد عليه الشيخ بأن ذلك لايجوز ، لأن أهل مالي يعبدون غير الله فكيف يغيثهم ! وعرض الاسلام على الملك فأسلم وعلمه الشيخ كيف يتوضأ ويتطهر ، ففعل وارتدى ثيابا طاهرة ، وخرجا سويا من المدينة الى أن وجدا ربوة عالية ارتقياها وقاما يصليان ويدعوان ، فما ظهر نور الفجر إلا وانهمر المطر بغزارة حتى حال بينهما وبين العودة الى المدينة ، ولم يعودا إليها إلا بواسطة زورق ، واستمر المطر ينهمر على هذا النحو سبعة أيام كاملة حتى فاضت الأودية بالمياه . عندئذ أمر الملك بتحطيم الدكاكير وأخرج السحرة من بلاده ، ودعا جميع أهل بيته ووزرائه وأهل مدينته الى الاسلام ، فاستجابوا لدعوته وأسلموا ، وأمر الملك ألا يدخل مالي إلا من آمن بالله ورسوله ، ومن رئي فيها من الكفار ليس عليه الا أن يخرج منها أو يكون القتل من نصيبه ، وطلب الملك من الشيخ أن يعلمه الصلاة وفرائض الدين وشرائع

الاسلام وأن يقرئه القرآن ، فأخذ يعلمه ويرشده ويلقنه مباديء الدين ، فصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته ، وانتشر الاسلام من هذه المملكة الى مايجاورها من بلاد (٢٢٩) .

وهكذا تحول شعب مالي الى الاسلام على يد أحد تجار ودعاة الأباضية ، ونتج عن ذلك أن انفتحت أبواب هذه البلاد على مصاريعها للتجار المسلمين من بربر وعرب ومصريين وغيرهم ، سواء كانوا من الأباضية أم من غير الأباضية . وقد سبقت الاشارة الى مارآه ابن بطوطة من وجود تجار الأباضية وغيرهم في بلدان هذه المملكة التي اتسعت حتى شمل نفوذها غربي أفريقيا كله في عصر ابن بطوطة ، أي في القرن الرابع عشر للميلاد . كما أشار ابن بطوطة الى تاجر آخر يعرف باسم مدرك بن فقوص كان قد قابله في مالي وتحدث عن إنعام السلطان منسا سليمان اليه ، لأن جد هذا السلطان كان قد اعتنق الاسلام على يدي جد هذا التاجر (٢٣٠) . وان كنا لانعرف أكان هذا الجد أباضيا أم غير أباضي ، إذ لم يشر ابن بطوطة الى هذه الناحية .

وكما قلنا فانه عندما قضي الفاطميون على الدولة الرستمية في عام ١٩٦هـ/ ٩٠٨م ، فر كثير من الأباضية الى الصحراء الكبرى وإلى بلاد السودان الغربي والأوسط ، ووصلوا في فرارهم الى مدينة كوكيا (كوكو) بالنيجر الأوسط ، حيث كان الاسلام في هذه المنطقة لايزال في بداية أمره محدود الانتشار ضعيفا ، فكان وجود الأباضية في هذه المدينة ذا أثر كبير في نشر الاسلام بها ، لدرجة أن ملك هذه المدينة

(٢٢٩) البكري : المغرب ، ص ١٧٨ ، الدرجيني : جـ ٢ ص ٥١٦ ، ٥١٨ ، الشماخي : جـ ٢ ص ١١٤ — ١١٥ ، صالح باجية : الأباضية بالجريد ، ص ٩٠ ، ٩١ ، على يحيى معمر : الأباضية في تونس ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢٣٠) رحلة ابن بطوطة ، جـ ٢ ص ٧٠٢ ، ٧٠٣ .

اعتنق المذهب الأباضي (٢٣١) ، وأسلم معظم أهل هذه البلاد على يديه وانتشرت فيها المساجد . وقد أكد البكري خبر اسلام هذا الملك ، فقد زار هذه البلاد في عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م وقال ان أهلها كانوا يدفعون الى مليكهم عند تنصيبه خاتما وسيفا ومصحفا يزعمون أنه مبعوث من عند أمير المؤمنين (٢٣٢) .

وكذلك كان الحال في مدينة غانة ، فقد تحدث عنها البكري وأشار الى أنها كانت منقسمة الى مدينتين ، احداهما وثنية يسكن فيها الملك وتسمى بالغابة ، والأخرى اسلامية بها اثنا عشر مسجدا ، وبها كثير من الأئمة والمؤذنين وحملة العلم . ورغم أن ملك غانة كان لايزال على الوثنية في ذلك الوقت ، الا أنه كان يتخذ وزراءه وصاحب بيت ماله من المسلمين ، وحرص على أن يبني في مدينته مسجدا يصلي فيه من يفد اليه من المسلمين (٢٣٣) . ولما جاء المرابطون بعد ذلك وفتحوا هذه البلاد في عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م ، وجدوا معظم أهلها وما يحيط بها من بلاد مثل مالي والتكرور وسلى وكوكو وغيرها قد أسلموا ، ولم يكن للمرابطين الا فضل استكمال هذه الحركة الاسلامية التي لم تنشأ على يدهم .

والحقيقة أن المرابطين كان لهم أثر آخر يتعلق بالمذهب الأباضي نفسه ، إذ يعزى اليهم عادة القضاء على هذا المذهب وعلى النزعات الشيعية التي كانت قد انتشرت في غربي أفريقيا قبل قدومهم ، وذلك بعد أن حمل هؤلاء المرابطون قبائل صنهاجة والبربر بصفة عامة على اعتناق الاسلام على المذهب المالكي . ولما وصلوا الى بلاد السودان

(٢٣١) محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، ص ٣٦ — ٣٧ .
(٢٣٢) البكري : المغرب ، ص ١٨٣ .
(٢٣٣) المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

الغربي انتشر هذا المذهب هناك على أيديهم (٢٣٤) ، ولم يبق للمذهب الأباضي في هذه البلاد الا جماعات صغيرة مازالت تدين به رآها بعض التجار والرحالة في العصور الوسطى مثل ابن بطوطة كما سبق القول ، كما رآها آخرون في العصر الحديث (٢٣٥) .

د — دعم حركة التعريب بين البربر :

ومن النتائج الأخرى التي ترتبت على توثيق أواصر العلاقات بين أباضية المشرق والمغرب ، تشجيع ودعم حركة التعريب في بلاد البربر . فقد أخذت هذه الحركة في هذه البلاد دفعة قوية نتيجة لامتزاج واختلاط التجار والعلماء المشارقة بالتجار والعلماء المغاربة من الأباضية سواء في موسم الحج ، أو بالانتقال المباشر كل الى بلد الآخر ، وبقيام علاقات المصاهرة بين هؤلاء الوافدين وبين البربر واقامة التجار والعلماء من الأباضية لسنوات طويلة بين هؤلاء البربر ، وربما حتى ينتهي العمر ، مما ترك طابعه القوي في مظاهر الحياة المختلفة حتى في الأسماء .

ذلك أننا نسمع أنه يوجد في بلاد المغرب أسرات ومدن كانت ولازالت تحمل أسماء عمانية . مثال ذلك مدينة أوزكي وهي احدى مدن الدولة الرستمية (٢٣٦) ، وكما يلاحظ فإن هذه المدينة تحمل نفس اسم المدينة العمانية الشهيرة ازكي . وهناك أيضا مدينة البصرة التي تقع في بلاد المغرب الأقصى ، وقد بنيت هذه المدينة في عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م تذكيرا ببصرة العراق (٢٣٧) . وهناك أيضا حزوى ، وهو

(٢٣٤) محمد الغربـــي : ص ٣٩ .

(٢٣٥) عبدالله بن يحيى الباروني : رسالة سلم العامة والمبتدئين ، ص ٢٣ .

(٢٣٦) المقدسي : ص ٢١٩ ، ويلاحظ أن فاس أو المغرب الأقصى به مدينة تحمل نفس الاسم (اوزكي) ، انظر ، المقدسي : ص ٢٢٠ .

(٢٣٧) الحســن الوزان : جـ ١ ص ٣١٠ — ٣١١ .

موضع معروف في ظاهر جبل فساطو (٢٣٨) ، ولعله تحريف لاسم مدينة نزوى العمانية الشهيرة التي كانت عاصمة لأئمة عمان في العصور الوسطى ، وقرية الحمران بجبل فساطو والتي تسكنها قبيلة أباضية تحمل نفس الاسم ، ومدينة جندوبة وغريان (٢٣٩) ، وخولان جنوب فاس بنحو ثمانية أميال (٢٤٠) ، وتادمكت في الشمال الشرقي من مدينة تنبكت ببلاد مالي ، وتاد تعني عند البربر هيئة ، أي أن هذه المدينة بنيت على هيئة مكة (٢٤١) ، ولذلك سميت مكة الجديدة .

وبجانب هذه المدن التي تحمل أسماء عمانية أو مشرقية نجد كذلك قبائل أو عائلات تحمل أسماء عمانية . مثال ذلك أسرة الغساني وأسرة الحارثي وأسرة الزبيدي وأسرة الزواوي والسالمي والراشدي ، وأسرة العماني التي نزحت كسابقاتها من عمان رأسا الى بلاد المغرب أو عن طريق الأندلس (٢٤٢) .

ونزوح هذه القبائل العمانية الى بلاد المغرب ليس بالأمر المستبعد . فقد سبقت الاشارة الى أن العلماء والتجار انهالوا على تاهرت وبلاد المغرب بصفة عامة ، وجاءوا من البصرة والكوفة ومصر وعمان وغيرها ، وسكنوها وبنوا فيها الدور والمساجد ''حتى لاترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين'' (٢٤٣) . كما سبقت الاشارة الى أن أهل مدينة

(٢٣٨) سليمان البـــاروني : جـ ٢ ص ١٣٧ .

(٢٣٩) المرجع السابق ، جـ ٢ ص ١٣٧ .

(٢٤٠) الحســن الوزان : جـ ١ ص ٢٩٣ .

(٢٤١) الحميــري : ص ١٢٨ .

(٢٤٢) عبد الهادي التازي : الصلات التاريخية بين المغرب وعمان ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨١م ، ص ١٨ .

(٢٤٣) أنظـــــر ، ص ١٣٦ .

زويلة التي تقع على مشارف بلاد الكانم والسودان ، كانوا أخلاطا من أهل خراسان والبصرة والكوفة وغيرها (٢٤٤) ، وكذلك مدينة كاوار ، فقد كان يعيش فيها ''قوم من المسلمين من سائر الأحياء'' (٢٤٥) والبلدان ، ولذلك فقد تخلق معظم سكانها من البربر بأخلاق البيض في ارتداء ملابس الصوف والقطن والبرود (٢٤٦) . وكان من عادتهم حمل الخنجر في أوساطهم ، وهي عادة عمانية كانت قد انتقلت الى جنوب بلاد المغرب (٢٤٧) ، ومنها الى هذه البلاد الموغلة في الصحراء . وما ذلك كله إلا مظهرا من مظاهر حركة التعريب التي كانت تسير بخطى حثيثة بين سكان هذه البلدان .

والتعريب لايتم كما هو معروف الا باتخاذ اللسان العربي والا بالكتابة باللغة والحروف العربية . وفي هذا الميدان فقد حققت اللغة العربية انتصارات ضخمة على لغة البربر نتيجة لعوامل عديدة منها تشجيع علماء الأباضية للسكان وللطلاب من البربر على تعلمها والحديث بها ، واستخدامها في الكتابة والتدوين . من ذلك ما أشار اليه الدرجيني والشماخي من أن أبا عمران موسى بن زكريا المزاتي الذي كان يعيش في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد ، وكان أحد أعلام المذهب ورءوسه في ذلك الوقت ، كان يشجع تعلم اللغة العربية والكتابة بها وتداول الكتب العربية . وقد سمعه الناس مرارا يقول في مجالس كثيرة ، إن ''تعلم حرف واحد من العربية كتعلم ثمانين مسألة في الفروع ، وتعلم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة ، ومن حمل

(٢٤٤) انظـــــر ، ص ١٩٢ .

(٢٤٥) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٦ ، ابن سعيد : ص ١١٤ .

(٢٤٦) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، المكتبة لتجارية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٠م ، ص ١١٤ .

(٢٤٧) عبد الهادى التـــازي : ص ١٨ .

كتابا الى بلد لم يكن فيه ، فكأنما تصدق بألف حمل دقيقا على أهل الغار ...'' (٢٤٨) .

وعلى يد الأباضية وغيرهم من تجار البربر والعرب والمصريين ، انتشر اللسان العربي أيضا بين سكان جنوب الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي والأوسط ، وان كان انتشارا محدودا بطبيعة الحال . دليل ذلك مايرويه لنا القلقشندي من أن منسا موسى سلطان مالي (٧٠٧ ــ ٧٣٣هـ/ ١٣٠٧ ــ ١٣٣٢م) كان يعرف اللسان العربي ويجيد الحديث بالعربية (٢٤٩) ، وأن أهل هذه المملكة كانوا يكتبون بالخط العربي على طريقة المغاربة (٢٥٠) ، أي بالقلم المغربي . وكان اتصال تنبكت وغيرها من مدن بلاد السودان الغربي والأوسط ثقافيا بمراكز الثقافة الاسلامية في الشمال مفيدا في نشر اللغة العربية والكتابة بها (٢٥١) .

وانتشار الكتابة باللغة العربية بين سكان بلاد السودان بصفة عامة أمر معروف ومشهور ، ولم ينل منه ويقف في سبيله الا الاستعمار الأوربي الذي نجح في محاربة اللغة العربية في هذه البلاد ، ونشر فيها اللغة الانجليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات الأوربية ، بعد أن تمكن من احتلال هذه البلاد منذ مطلع العصر الحديث .

وبجانب انتشار الاسلام وانتشار التعريب بين معظم البربر وكثير من السودانيين نتيجة للتعاون وللعلاقات الوطيدة التي ربطت بين أباضية المشرق والمغرب ، فإن هناك أيضا أثر آخر لهذه العلاقات .

---

(٢٤٨) الدرجيني : جـ ٢ ص ٤١١ ، الشماخي : جـ ٢ ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٢٤٩) صبح الأعشـــي ، جـ ٥ ص ٢٩٥ .

(٢٥٠) المصدر السابــق ، جـ ٥ ص ٢٩٨ .

(٢٥١) حسن محمـــود : ص ٢٥٠ .

ويظهر هذا الأثر في انتقال الفن المعماري المشرقي في البناء الى الدولة الرستمية والى أفريقيا الغربية وجنوب الصحراء ، يظهر ذلك في بناء المآذن المدرجة والمحراب المثلث . كما أن غياب المنبر والنقوش في بعض المساجد الموجودة في افريقية الغربية ، ماهو الا دليل واضح على الأثر الأباضي الذي لايزال موجودا عند الأباضية في وادي ميزاب في جنوبي الجزائر حتى الآن (٢٥٢) .

وهكذا نجحت الحركة الاسلامية النجاح كله بين بربر الصحراء وبين كثير من أهالي بلاد السودان الغربي والأوسط ، والفضل في ذلك يعود كما رأينا الى هذه العلاقات الوطيدة التي نمت وازدادت بين أباضية عمان والبصرة وأباضية مصر والمغرب ، نتيجة لما قام به أباضية عمان والبصرة من ارسال للدعاة ، ومن تقديم دعم مادي وسياسي كبير للدولة الأباضية ، التي قامت على أرض بلاد المغرب ، مما فصلنا فيه القول عند الحديث عن العلاقات السياسية ، وبما أرسلوا من قوافل للتجارة جابت مصر وأرض المغرب واتصلت ببلاد السودان كما فصلناه في الحديث عن العلاقات التجارية ، وبما أرسلوه من فقهاء وعلماء وأشياخ أتوا من عمان والبصرة متفقدين لحال اخوانهم ، ناشرين للعلم والحضارة ، موطدين لأواصر العلاقات مع علماء هذه البلاد وأهلها ، عن طريق اللقاءات والمناظرات وتبادل الزيارات كما رأينا ، أو عبر التلاقي في موسم الحج في بلاد الحجاز ، ومن خلال تقديم المشورة والفتوى ، وارسال الكتب الدينية وغير الدينية مما أشرنا اليه في الحديث عن العلاقات الثقافية ، مما يدل دلالة مؤكدة على أن الفضل في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية بين كثير من بربر المغرب وبربر الصحراء ،

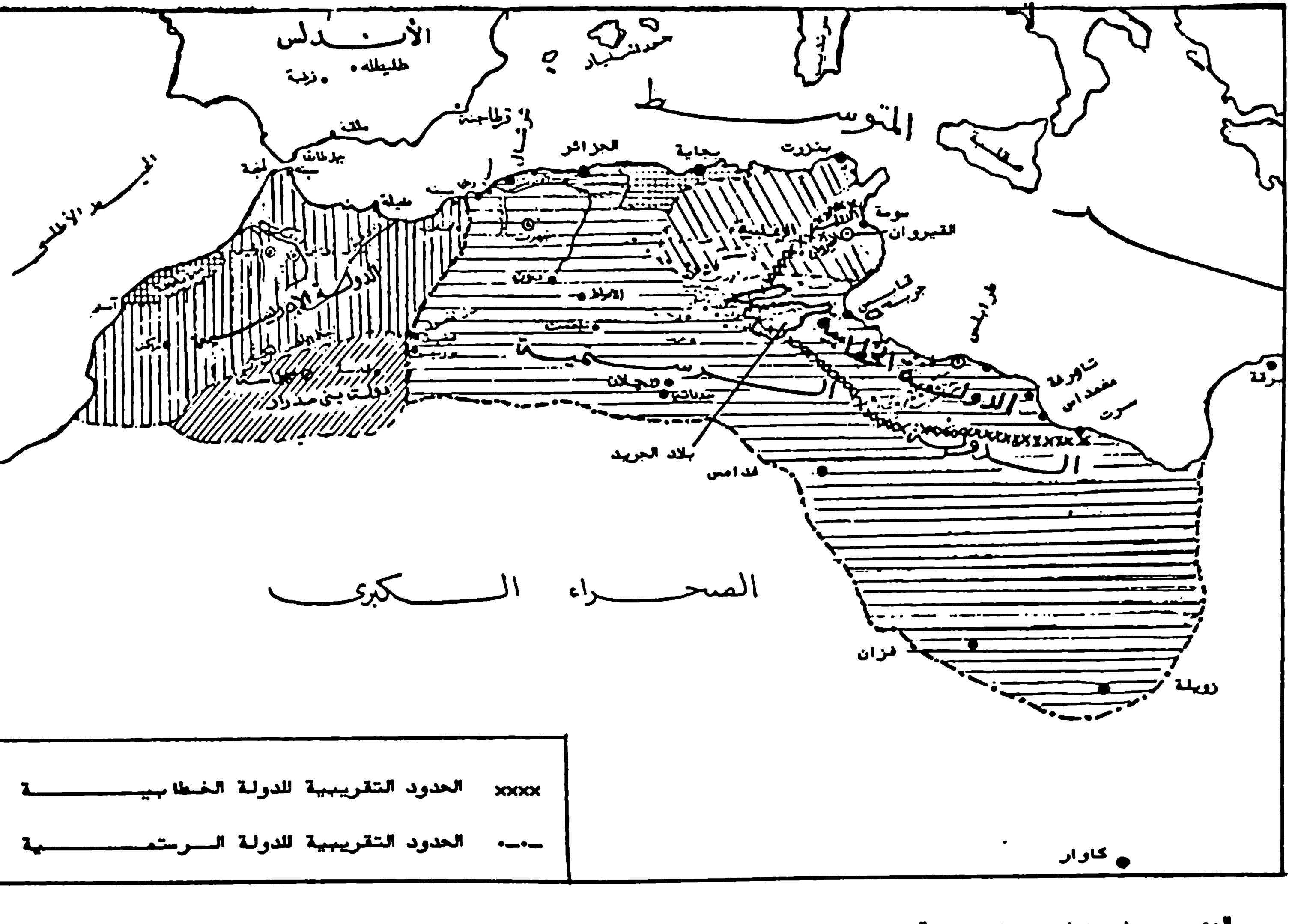
---

(٢٥٢) يوسف فضل حسن : الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية (بحث في كتاب العرب وأفريقيا) ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٤م ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

وبين كثير من سكان بلاد السودان الغربي والأوسط فيما يعرف الآن بالسنغال ومالي ونيجيريا والنيجر وتشاد ، يعود الى هؤلاء الأباضية من دعاة وتجار وعلماء ، سواء كان هؤلاء الأباضية قد أقبلوا من المشرق الى بلاد المغرب ، واشتغلوا هناك بالتجارة والعلم ونشر المذهب ونشر الاسلام ، واتصلوا ببربر الصحراء وبأهالي السودان الغربي والأوسط ، أم كان هؤلاء الأباضية من أباضية مصر وبلاد المغرب الذين تكاتفوا مع اخوانهم المشارقة في القيام بهذا الدور الهام وبهذا الإنجاز الكبير .

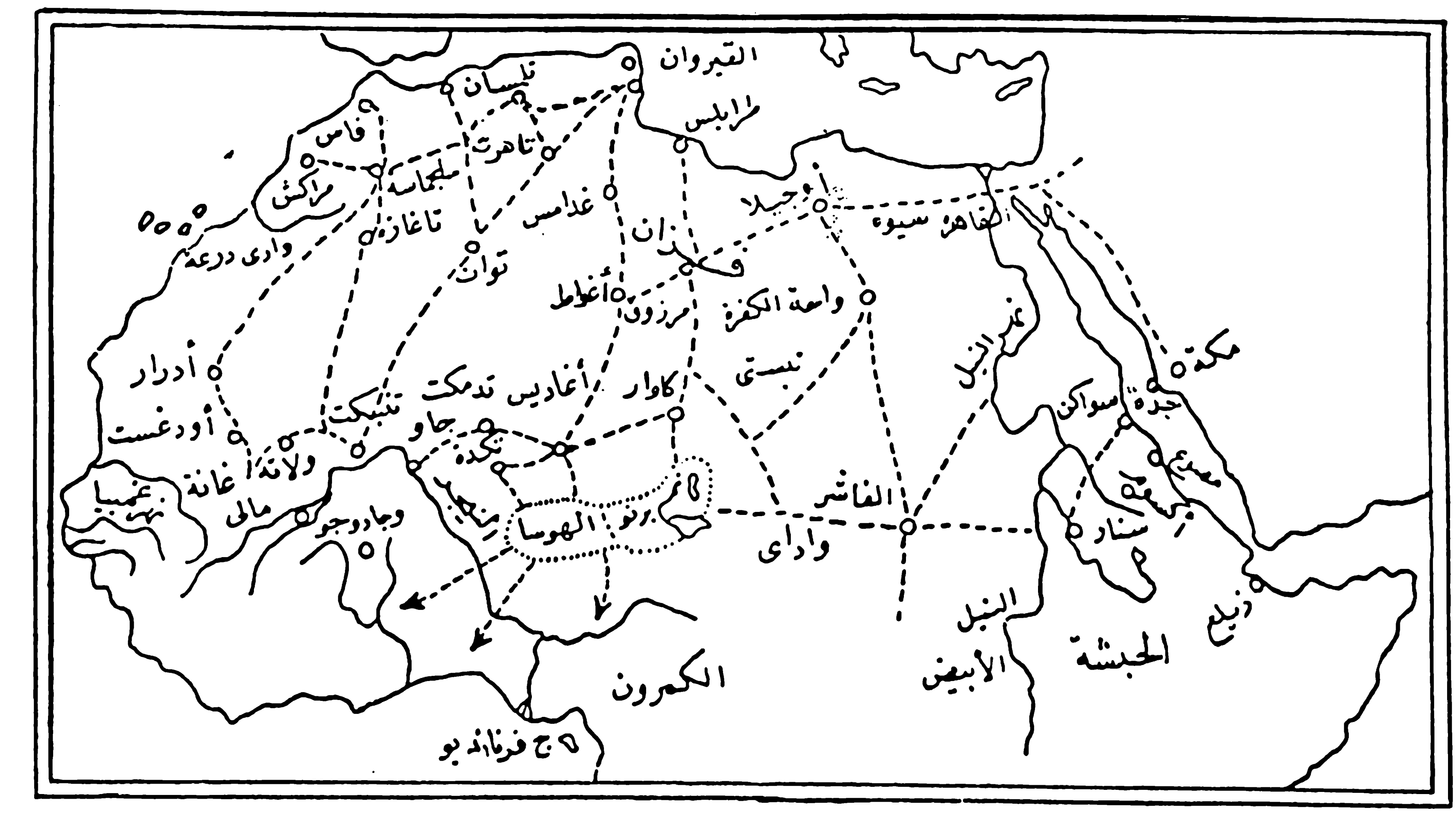
وبالفعل فقد كان دورا هاما وصفحة مشرقة لم تلقى العناية الكافية من الباحثين والكتاب المحدثين ، وماذاك الا لأن أحدا من الناس لم يعكف على دراسة العلاقات والروابط التي قامت بين أباضية عمان والبصرة ، واخوانهم من أباضية مصر والمغرب ، مما فعلناه أو حاولنا أن نقوم به عبر هذا الكتاب الذي تحدثنا فيه عن أباضية مصر والمغرب ، وماقام بينهما من علاقات مع اخوانهم من أباضية عمان والبصرة . ولعل فيما أفضنا فيه القول وفيما توصلنا اليه من نتائج مايفيد القاريء الكريم في استجلاء هذا الموضوع الهام من موضوعات تاريخنا الاسلامي الزاهر ، وهو موضوع لاشك جدير بالقراءة والبحث والدراسة والتأمل . واذا كنا قد وفقنا في بحث هذا الموضوع ودراسته ، فالتوفيق من الله وحده ، فله الشكر والحمد والثناء ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

خريطة رقم (١)



المصدر : د. محمد عيسى الحريري : مقدمات البناء السياسي للغرب الاسلامي (الدولة الرستمية) ، ص ٢٤٨ (بتصرف)

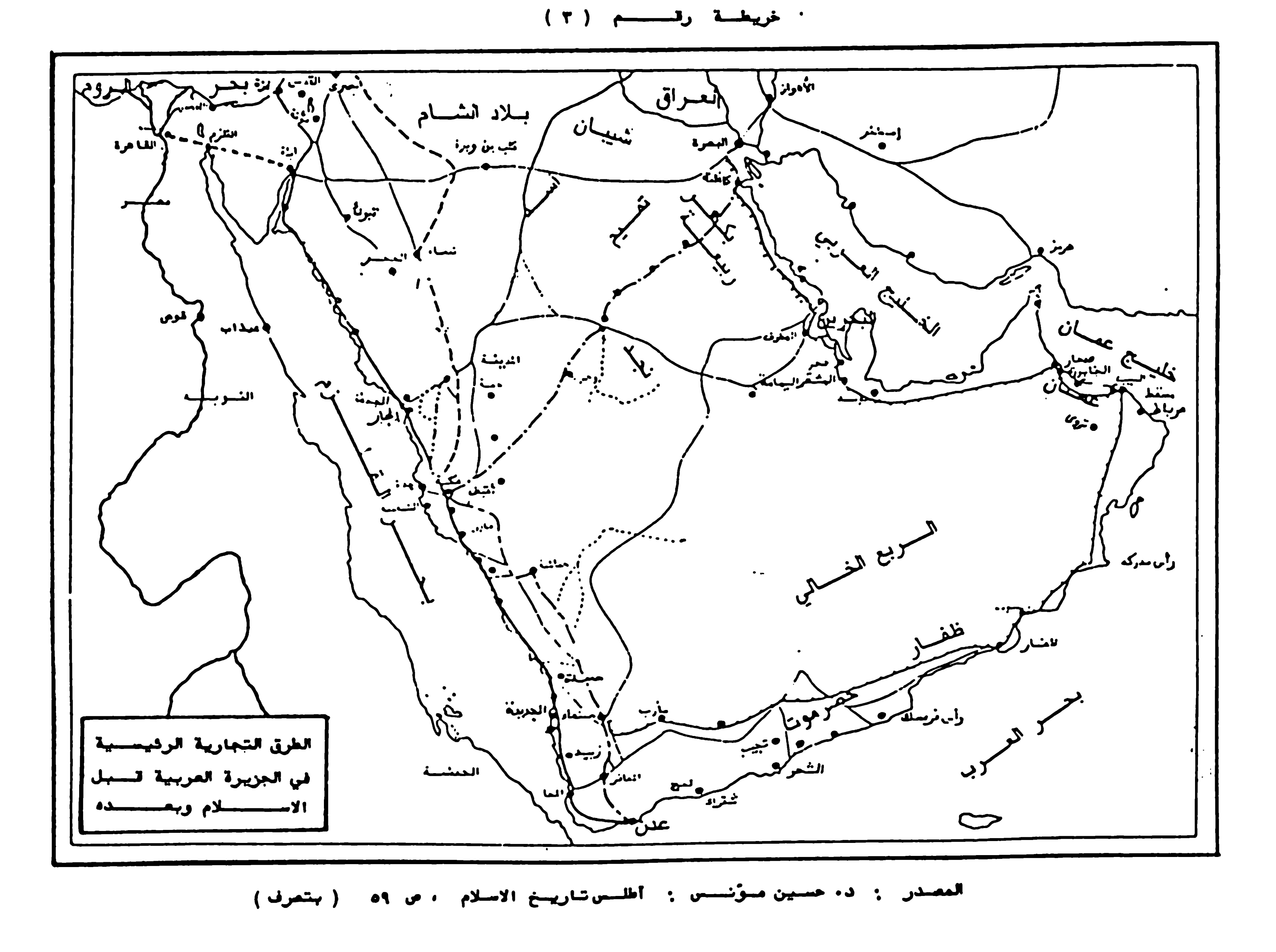
خريطة رقم (٢)



طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالى أفريقيا

المصدر : د. ابراهيم طرخان : دولة مالي الاسلامية ، ص ١٤٦ (بتصرف)

خريطة رقم (٣)



المصدر : د. حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٥٩ (بتصرف)

٢ ـ المصـــادر والمراجـــع

أ ـ المصـادر العربية القديمـة :

ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٣٣٨م) : علي بن أحمد بن أبي الكرم .

١ ـ الكامل في التاريخ ، ١٢ مجلد ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

الادريسي (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن ادريس الحسني .

٢ ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نسخة مصورة بجامعة القاهرة ، بدون تاريخ .

الازكوي (عاش في القرن ١٢هـ/ ١٨م) : سرحان بن سعيد .

٣ ـ كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، مخطوط بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي برقم ٥٧١ .

٤ ـ تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع الأخبار الأمة ، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي ، مسقط ، وزارة التراث ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

أبو اسحاق الحربي (١٩٨ ـ ٢٨٥هـ/ ٨١٣ ـ ٨٩٨م) : ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم .

٥ ـ مناسك الحج ، حققه د . حمد الجاسر تحت عنوان ''كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ،

دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

الاصطخري (توفي قبل عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي .

٦ ــ مسالك الممالك ، ليدن ، سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م) : أبو محمد أحمد .

٧ ــ الفتوح ، ٨ أجزاء في أربع مجلدات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي .

٨ ــ التاريخ الصغير ، تحقيق محمود ابراهيم زايد ، دار الوعي بحلب ، دار التراث بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

البرادي (عاش في القرن ٨هـ/ ١٤م) : أبو القاسم بن ابراهيم البرادي النفوسي .

٩ ــ الجواهر المنتقاة في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات ، مخطوط مصور موجود بمكتبة مسجد جامعة السلطان قابوس .

ابن بركة (عاش في القرن ٤هـ/ ١٠م) : أبو محمد عبد الله بن محمد ابن بركة البهلوي العماني .

١٠ ــ كتاب الجامع ، جزءان ، حققه وعلق عليه عيسى بن

يحيى الباروني ، مسقط ، وزارة التراث ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

بزرك (عاش في القرن ٣ ، ٤هـ/ ٩ ، ١٠م) : بزرك بن شهريار الناخذاه الرامهرمزي .

١١ ــ كتاب عجائب الهند ، جمع مادته بين عامي ٢٨٨ ، ٢٩٣هـ ، ليدن ، سنة ١٨٨٣ ــ ١٨٨٦م .

ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) : أبو عبد الله محمد عبد الله اللواتي الطنجي .

١٢ ــ رحلته المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جزءان ، تحقيق د . علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

أبو بكر الكندي (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) : أبو بكر أحمد بن عبد الله موسى الكندي .

١٣ ــ المصنف ، ٤٢ جزء ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مسقط، وزارة التراث ، سنة ١٩٨١م .

البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) : أبو عبد الله بن عبد العزيز .

١٤ ــ المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ليدن ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩١١م .

١٥ ــ جزيرة العرب ، جزء من كتاب ''المسالك والممالك'' . تحقيق ودراسة د . عبدالله يوسف الغنيم ، ذات السلاسل الكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي .

١٦ — فتوح البلدان ، تحقيق د . رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

جابر بن زيد (١٨ — ٩٦هـ/ ٦٣٩ — ٧١٤م) : جابر بن زيد اليحمدي العماني .

١٧ — رسائل جابر بن زيد ، مخطوط مكون من سبعة عشر رسالة مفردة ، بالمكتبة الاسلامية بروي ، مسقط .

الجاحظ (١٥٠ — ٢٥٥هـ/ ٧٦٧ — ٨٦٩م) : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

١٨ — البيان والتبيين ، أربعة أجزاء في مجلدين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

الجيطالي (عاش في القرن ٧ ، ٨هـ/ ١٣ ، ١٤م) : أبو طاهر اسماعيل ابن موسى الجيطالي النفوسي .

١٩ — قناطر الخيرات ، ثلاثة أجزاء ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) : أبو محمد علي بن أحمد .

٢٠ — الفصل في الملل والأهواء والنحل ، خمس مجلدات ، تحقيق ، د . محمد ابراهيم نصر ، د . عبد الرحمن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

الحسن الوزان (عاش في القرن ١٦م) : الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليو الافريقي .

٢١ — وصف افريقيا ، جزءان في مجلد ، ألفه عام ١٥٢٦م ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣م .

أبو الحسن البسيوي (عاش في آخر القرن ٤هـ ، وأول القرن ٥هـ) : الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن علي البسيوي .

٢٢ — جامع أبي الحسن البسيوي ، ٤ أجزاء ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

الحميري (ق ٩هـ/ ١٥م) : محمد بن عبد المنعم الصنهاجي .

٢٣ — الروض المعطار في خبر الأقطار ، جمعه عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م ، تحقيق د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٤م .

ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي .

٢٤ — صورة الأرض ، أو المسالك والممالك ، مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٧٩م .

ابن خرداذبة (ت حوالي عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) : أبو القاسم عبيدالله بن عبد الله .

٢٥ — المسالك والممالك ، ومعه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي

المتوفي عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م . مكتبة المثني ، بغداد ، بدون تاريخ .

ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) :
٦٢ ــ تاريخ العلامة ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن خلكان (٦٠٨ ــ ٦٨١هـ/ ١٢١١ ــ ١٢٨٢م) : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر .
٢٧ ــ وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ٧ مجلدات ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) : الامام المحدث أبو عمر خليفة ابن خياط شياب العصفري .
٢٨ ــ كتاب الطبقات ، برواية أبي عمران موسى بن زكريا التستري ، تحقيق د . اكرام ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

الدرجيني (ت ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) : أبو العباس أحمد بن سعيد .
٢٩ ــ كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

ابن رسته (عاش في القرن ٣هـ/ ٩م) : أبو علي أحمد بن عمر .
٣٠ ــ الأعلاق النفيسة ، ألفه عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م ، المجلد السابع ، طبع ليدن ، سنة ١٨٩١م .

الرقيشي (ق ١٢هـ) : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر .
٣١ — مصباح الظلام في شرح دعائم الاسلام ، مخطوط بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي ، برقم ٣٦٨ ، ونسخة أخرى صغيرة مكملة للأولى برقم ٧٩٢ .

أبو زكريا الأزدي (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) : أبو زكريا يزيد بن محمد ابن أياس بن القاسم الأزدي .
٣٢ — تاريخ الموصل ، تحقيق د . علي حبيبة ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ، سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

أبو زكريا (ت ٤٧١هـ) : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر .
٣٣ — كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا ، تحقيق اسماعيل العربي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

السراج (ت ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦) : محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج .
٣٤ — الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ٣ مجلدات ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م .

ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري .
٣٥ — الطبقات الكبرى ، ٨ أجزاء ، دار التحرير ، القاهرة ، سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

السعدي (عاش في القرن ١٣هـ/ ١٩م) : جميل بن خميس .
٣٦ — قاموس الشريعة الحاوي على طرقها الوسيعة ، ٩٢ مجلد ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ابن سعيد المغربي (٦١٠ — ٦٧٣هـ/ ١٢١٤ — ١٢٧٥م) : أبو الحسن علي بن موسى .
٣٧ — كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٠م .

أبو سعيد الكدمي (عاش في القرن ٤هـ/ ١٠م) : الشيخ أبو سعيد محمد ابن سعيد بن محمد بن سعيد الكدمي .
٣٨ — الجامع المفيد من أحكام أبي سعيد ، ٥ أجزاء ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
٣٩ — الاستقامة ، جـ ١ ، تحقيق محمد أبو الحسن ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ابن سلام الأباضي (عاش في النصف الثاني من القرن ٣هـ/ ٩م) :
٤٠ — الاسلام وتاريخه من وجهة نظر أباضية ، تحقيق ر . ف . شفارتز ، وسالم ابن يعقوب . دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

السمعاني (٥٠٦ — ٥٦٢هـ/ ١١١٢ — ١١٦٦م) : الامام أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي .
٤١ — الأنساب ، ٥ أجزاء ، تقديم عبد الله عمر البارودي ،

دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

الشماخي (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م) : أحمد بن سعيد بن عبد الواحد .
٤٢ ــ كتاب السير ، جزءان ، تحقيق أحمد بن سعود السيابي ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

ابن الصغير (عاش في القرن ٣هـ/ ٩م) :
٤٣ أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق د . محمد ناصر ، الأستاذ ابراهيم بحاز ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

الطبري (٢٢٤ ــ ٣١٠هـ)/ ٨٣٨ ــ ٩٢٢م) : أبو جعفر محمد بن جريـر .
٤٤ ــ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م) : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري .
٤٥ ــ فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، سنة ١٩٢٠م .

ابن عذاري المراكشي (عاش في القرن ٧هـ/ ١٣م) :
٤٦ ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . جـ ١ ، تحقيق ج . س . كولان ، أ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٣م .

أبو عبد الله الكندي (ت ٥٠٨هـ/ ١١١٤م) : محمد بن ابراهيم بن سليمان الكندي .

٤٧ ــ بيان الشرع ، ٧٢ مجلد ، مسقط ، وزارة التراث ، ١٤٠٤ ــ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٤ ــ ١٩٨٨م .

العوتبي الصحاري (عاش في القرن ٥هـ/ ١١م) : سلمة بن مسلم .

٤٨ ــ الأنساب ، جزءان ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

ابن غانم الخراساني (عاش في القرن الثاني الهجري وأول الثالث) : أبو غانم بشر بن غانم الخراساني .

٤٩ ــ المدونة الصغرى ، جزءان ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٥٠ ــ المدونة الكبرى ، جزءان ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ : ٩٧٦م) : علي بن الحسين .

٥١ ــ الأغاني ، ٢٤ مجلد ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار احياء التراث العربي ، سنة ١٩٦٣م .

ابن قتيبة (٢١٣ ــ ٢٧٦هـ/ ٨٢٨ ــ ٨٨٩م) : أبو محمد عبد الله ابن مسلم .

٥٢ ــ عيون الأخبار ، أربعة أجزاء في مجلدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

القفطي (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) : الوزير جمال الدين أبي الحسن علي ابن يوسف .

٥٣ ــ انباه الرواة على أنباه النجاة ، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي بالقاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) : أبو العباس أحمد بن علي .

٥٤ ــ صبح الأعشي في صناعة الانشا ، جـ ٥ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

القلهاتي (ق ٤هـ/ ١٠م) : أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي .

٥٥ ــ الكشف والبيان ، جزءان ، تحقيق وشرح د . سيدة اسماعيل الكاشف ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

الكندي (٢٨٣ ــ ٣٥٠هـ/ ٨٩٦ ــ ٩٦١م) : محمد بن يوسف .

٥٦ ــ ولاة مصر ، تحقيق د . حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

المبرد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) : أبو العباس محمد بن يزيد .

٥٧ ــ الكامل في اللغة والأدب ، جزءان في مجلد ، مكتبة العارف ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن مداد (ت ٩١٧هـ/ ١٥١١م) : عبد الله بن مداد النزوي .

٥٨ ــ سيرة ابن مداد ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٤م .

المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) : أبو الحسن علي بن الحسين بن علـي .

٥٩ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أربعة أجزاء ، شرح وتقديم د . مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

المقدسي (٣٣٥ ــ ٣٩٠هـ/ ٩٤٦ ــ ١٠٠٠م) : محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري .

٦٠ ــ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٧م .

مجهـــــــول :

٦١ ــ السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان ، جـ ١ ، تحقيق د . سيدة اسماعيل الكاشف ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

مجهـــــــول : (كاتب مراكشي عاش في القرن ٦هـ/ ١٢م) .

٦٢ ــ كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر د . سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ، سنة ١٩٨٦م .

مجهـــــــول : (عاش في القرن ١٢هـ/ ١٨م ، ولعله أبو سليمان ابن محمد بن عامر بن راشد المعولي كما ذكر صاحب تحفة الأعيان الشيخ نور الدين السالمي) .

٦٣ ــ قصص وأخبار جرت في عمان ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مسقط ، وزارة التراث ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ابن النديم (ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) : محمد بن اسحاق المعروف بالوراق .
٦٤ ــ الفهرست ، تحقيق د . ناهد عباس عثمان ، دار قطرى ابن الفجاءة ، قطر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م .

ابن النظر (عاش في القرن ٥هـ/ ١١م) : أبو بكر أحمد بن النظر العماني .
٦٥ ــ كتاب الدعائم ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٠م .

٦٦ ــ كتاب الدعائم ، جزءان ، شرح محمد بن وصاف الفقيه العماني ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٢م .

النويري (ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .
٦٧ ــ نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ ٢١ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الهيئةالمصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٦م .

ياقوت (٦٢٦هـ/ ١٢٣٠م) : الامام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي .
٦٨ ــ معجم الأدباء ، عشرين جزءا في عشرة مجلدات ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٠م .

٦٩ ــ معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

اليعقوبي (ت ٢٧٢هـ/ ٨٩٥م) : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي .

٧٠ — تاريخ اليعقوبي ، جزءان ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٧١ — صفة المغرب ، مأخوذ عن كتاب البلدان لليعقوبي ، ليدن ، سنة ١٨٥٠م .

ب — المراجع العربية والمعربة :

أحمد بن حمد الخليلي : (مفتى سلطنة عمان) .

٧٢ — الحق الدامغ ، مسقط ، ١٩٨٩ .

أحمد شلبي : (دكتور)

٧٣ — موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، جـ ٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٨٣م .

أحمد مهني مصلح وآخرون :

٧٤ — هذه مبادئنا . مسقط ، سنة ١٩٨٧م .

أرنولد ويلسون : (لفتنانت كولونيل سير أرنولد ويلسون) .

٧٥ — تاريخ الخليج ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، مسقط ، وزارة التراث ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

أندريه ميكيل :

٧٦ — الاسلام وحضارته ، المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة ١٩٨١م .

أيمن فـؤاد سـيد :
٧٧ ــ صفة افريقيا في المصادر العربية (بحث في كتاب العرب في افريقيا) ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٧م .

بروكلمـــان ، كـــارل :
٧٨ ــ تاريخ الأدب العربي ، جـ ٢ ، تعريب د . عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م ، جـ ٣ ، الطبعة لثالثة ، سنة ١٩٧٤م ، جـ ٥ ترجمة د . رمضان عبد التواب ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٣م ، جـ ٦ ترجمة د . السيد يعقوب بكر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣م .

جودت عبد الكريم يوسف : (دكتور) .
٧٩ ــ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة ١٩٨٤م .

جمال زكريا قاسم : (دكتور) .
٨٠ ــ استقرار العرب في ساحل شرقي افريقيا ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، عدد ١٠ ، سنة ١٩٦٧م .

حسن ابراهيم حسن ، طه أحمد شرف : (دكتوران) .
٨١ ــ المعز لدين الله الفاطمي ، دار النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٣م .

حسن أحمد محمود : (دكتور) .

٨٢ ـــ الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٦م .

حسين مؤنـــس : (دكتور) .

٨٣ ـــ أطلس تاريخ الاسلام ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٨٤ ـــ معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٠م .

رجب محمد عبد الحليم : (دكتور) .

٨٥ ـــ العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ، دار الكتاب المصري واللبناني بالقاهرة وبيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م .

٨٦ ـــ العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الاسلام منذ ظهوره الى قدوم البرتغاليين ، مسقط ، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .

زامبـــاور :

٨٧ ـــ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة د . زكي محمد حسن ، د . حسن أحمد محمود ، د . سيدة اسماعيل الكاشف ، حافظ أحمد حمدي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

سالم بن حمود بن شامس السيابي :
٨٨ ـ عمان عبر التاريخ ، ٤ أجزاء ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٢م .
٨٩ ـ طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباضي ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

سالم بن حمد بن سليمان الحارثي :
٩٠ ـ العقود الفضية في أصول الأباضية ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

سعيد عبد الفتاح عاشور ، عوض خليفات : (دكتوران) .
٩١ ـ عمان والحضارة الاسلامية ، مسقط ، سنة ١٩٨٧م .

سليمان الباروني :
٩٢ ـ الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ، جـ ٢ ، تحقيق محمد علي الصليبي ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

السيد عبد العزيز سالم : (دكتور) .
٩٣ ـ تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .
٩٤ ـ تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨م .
٩٥ ـ دراسات في تاريخ العرب ، جـ ٣ (العصر العباسي الأول) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .

سيدة اسماعيل الكاشف : (دكتور) .
٩٦ ــ مصر في فجر الاسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

سيف بن حمود بن حامد البطاشي :
٩٧ ــ تاريخ المهلب القائد وآل المهلب ، مسقط ، سنة ١٩٨٨م .

شارل بـــللا : (أستاذ في جامعة لسربون) .
٩٨ ــ الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ترجمة د . ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

الشاطر يصيلي عبد الجلـــيل :
٩٩ ــ تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع الى القرن التاسع عشر للميلاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٢م .

شاكر مصطفـــى : (دكتور) .
١٠٠ ــ دولة بني العباس ، جزءان ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٣م .

شكـــري فيصـــل : (دكتور) .
١٠١ ــ حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، سنة ١٩٨٢م .

صالح بن أحمد الصوافـــي : (دكتور) .
١٠٢ ــ الامام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة ، رسالة

ما جستير مطبوعة ، جامعة الأزهر ، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

صالـــح باجـــية :

١٠٣ — الأباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى ، دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

الظاهـــر أحمـــد الزاوي :

١٠٤ — تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٣م .

عبد الله بن يحيى الباروني النفوسي :

١٠٥ — رسالة سلم العامة والمبتدئين ، ألفها عام ١٢٩٠هـ/ ١٧٨٣م ، وطبعت في مصر عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م .

عبد المنعم ماجـــد : (دكتور) .

١٠٦ — التاريخ السياسي للدولة لعربية (عصر الخلفاء الأمويين) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السابعة ، سنة ١٩٨٢م .

عبد الهـــادي التازي : (دكتور) .

١٠٧ — الصلات التاريخية بين المغرب وعمان ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨١م .

عطيـــة القوصـــي : (دكتور) .

١٠٨ — محاولة العرب المسلمين كشف منابع النيل في القرون الأولى للاسلام ، بحث في كتاب العرب وافريقيا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٧ .

علي يحيى معمر :
١٠٩ ــ الأباضية بين الفرق الاسلامية ، جـ ١ ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
١١٠ ــ الأباضية في الجزائر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
١١١ ــ الأباضية في موكب التاريخ (الأباضية في تونس) ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة لأولى ، سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م .

عوض خليفات : (دكتور) .
١١٢ ــ نشأة الحركة الأباضية ، الأردن ، عمان ، سنة ١٩٧٨م .
١١٣ ــ الأصول التاريخية للفرقة الأباضية ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٢م .

فاروق عمر : (دكتور) .
١١٤ ــ الخليج العربي في العصور الاسلامية ، دار القلم ، دبي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

فرحات الجعبيري : (دكتور) .
١١٥ ــ البعد الحضاري للعقيدة الأباضية ، رسالة دكتوراه منشورة ، مسقط ، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .
١١٦ ــ نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة ، المعهد القومي للآثار والفنون ، تونس ، سنة ١٩٧٥م .

ماســــينيون :
١١٧ ــ خطط البصرة وبغداد ، ترجمة د . ابراهيم السامرائي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨١م .

مايلــز ، س . ب (١٨٣٨ ــ ١٩١٤م) .
١١٨ ــ حقائق تاريخية عن العرب والاسلام في افريقيا الشرقية ، دار الفتح ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

محمد جمال الدين ســـرور : (دكتور) .
١١٩ ــ الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأولى والثاني بعد الهجرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

محمــد الطالــبي : (دكتور) .
١٢٠ ــ الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي ، تعريب د . المنجي الصيادي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥م .

محمد عيســى الحريـري : (دكتور) .
١٢١ ــ مقدمات البناء السياسي للمغرب الاسلامي (الدولة الرستمية) ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣م .

محمــــد الغــــربي : (دكتور) .
١٢٢ ــ بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، سنة ١٩٨٢م .

محمد يوسف أطفيش : (١٢٣٦ — ١٣٣٢هـ/ ١٨٢٠ — ١٩١٤م) .

١٢٣ — رسالة إن لم تعرف الأباضية ياعقبى ياجزائري ، ذيلها عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي ، صححها قاسم بن سعيد الشماخي العامري ، ومصطفى بن اسماعيل العمري .

محمود اسماعيل عبد الرازق : (دكتور) .

١٢٤ — الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٦م .

مهدي طالب هاشم :

١٢٥ — الحركة الأباضية في المشرق العربي ، ونشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

نور الدين السالمي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) :

١٢٦ — تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، جزءان في مجلد ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

ولكنسن :

١٢٧ — بنو الجلندى في عمان ، مسقط ، وزارة التراث ، سنة ١٩٨٢م .

يوسف فضــــل حسن : (دكتور) .
١٢٨ ــ الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية (بحث في كتاب العرب وافريقيا) ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٧م .

الفهـــــرس

الفصـــل الثـــاني

صدر للمؤلف

* العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف .
  دار الكتاب المصرى واللبنانى ، القاهرة ، ١٩٨٥

* العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى .
  دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥

* الردة فى ضوء مفهوم جديد .
  دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥

* انتشار الإسلام بين المغول .
  دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٦

* دراسات فى تاريخ عصر النبوة والخلافة الراشدة .
  دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٧

* العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الاسلام .
  مكتبة العلوم ، مسقط ، ١٩٨٩

* الأباضية فى مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة .
  مكتبة العلوم ، مسقط ، ١٩٩٠

رقم الايـــداع ٩٠/٦٠